الكلمات التاسعة

بنور ال"لا" ننفي ما سواه،
بقوّة "إلّا" تثبت وحدته فينا.
تألهت النفوس بشهود غناه،
لك خشعت الوجوه أيا مولانا.
افتح خزائن اليواقيت القرءآنية،
املأ جيوب كتبنا بمعانيها العلية.
عرّفنا حقائق الأشياء بفكرة جلّية،
أيّدنا للإفصاح عنها بأحسن عربيّة.

......-......

لولا تعذيب قريش للنبي والمسلمين بمكة, لما خرجوا وهاجروا إلى الحبشة والمدينة ولو بعد ألف سنة من الدعوة والمجادلة. الفتنة أي التعذيب والقتل هي سبب إجازة الهجرة, لا الكفر بالدعوة. فإنه لو كان الكفر لوجب من أوّل يوم رفضوه فيه قطعاً وبعد إتمام البيان.
ينبني على ذلك: حتى لو كنا في أمّة تكفر بالدعوة كل الكفر, وتفعل كل شيء ما عدا فتنتنا أي التعذيب والقتل والإخراج من الديار وسرقة الأموال, فإنه علينا البقاء فيها إن أردنا ورأينا منفعة ولو بعد حين.

...

خير من نصر حرية الكلمة, الصوفية والمعتزلة.

...

كتبنا معمولة للذين يريدون التفكير وإثارة عقولهم وتثوير قرائحهم. وليس معمولة للذين يبحثون عما يوافق هواهم ويداعب عواطفهم أو يعزز من ركودهم ورقودهم. ليس لدينا بديهيات غير بديهية, ولا ما لا يجوز قوله ومالا يجوز التفكير فيه والبحث عنه. كل شيء قابل لكل شيء, وكل شيء يصح توجيه له أي شيء, حتى يحق الله الحق بكلماته ويشعّ على الظلمات بنوره.

...

كيفية التعامل مع الدولة المعتدية؟ أن تعتدي عليها كل الدول الأخرى, ولو بغير مباشر وبغير صفة رسمية حكومية. أي بأن يتم استهداف جميع أتباعها بداية من أعضاء حكومتها نزولًا إلى أسرهم والمقربين منهم نزولًا إلى أقاربهم وجيرانهم حتى يصل الأمر إلى أي تابع من أتباعهم ثم المحسوبين عليهم. وعلى الناس أن تتعاون في ذلك, ويجب أن تكون العمليات فردية شخصية, لأن أي تنظيم أو تجميع سيفتضح ولو بعد حين, بل لابد أن يتحفز الأفراد للقيام بالعمليات بأنفسهم, وكلما كانوا أستر وأكثر انزواءً ومجهولية كلما كانوا أفضل, لأن ذلك يربك العدو ويجعل عملياته البحثية فاشلة من قبل أن تبدأ لأن أساس البحث يقوم على تتبع الأنماط والتجمعات, ومبدأ الفردية في العمليات ليس فيه أنماط إذ كل فرد سيقوم بشيء بحسب إبداعه الشخصي, وليس فيه تجمعات إذ كل فرد عقله هو قائده وأساسه التنظيمي. فإذا وجدت الدولة المعتدية أن أعضاءها وأتباعها وحلفاءها المقربين يتعرّضون للعدوان المضاد من كل جهة بحيث لم تعد لهم أي سيطرة على الأوضاع, حينها سيضطروا اضطراراً إلى الكفّ عن عدوانهم. من أمثلة العمليات الفردية: طالب جامعي يدعو زملائه لحفلة ثم يضع السمّ في الطعام. موظف في شركة يطعن مسؤولًا في الاجتماع. عاهرة تخنق رئيساً وهو نائم بجانبها. وهكذا في كل مجال, مع وجوب إعلان كل واحد من هؤلاء بأنه فعل ما فعله بسبب عدوان دولة المقتول والمعتدى عليه على دولة أو أمة ما, إذ لولا ذلك سيتم اعتبار هذه العمليات منفصلة ومستقلة عن قضية العدوان ولن تحدث الأثر المطلوب.

...
المرأة التي لا تكون طالبة علم وسالكة في الطريقة الإلهية, هي في أحسن الأحوال مثل الزهرة. قال تعالى "زهرة الحياة الدنيا". والزهرة تموت قيمتها ولو بعد حين. كذلك هذه المرأة لا يمكن أن تكون إلا شخصاً له مدّة صلاحية معينة, يتم التمتع بها ثم الانفصال عنها والبحث عن زهرة غيرها.
لكن المرأة من أهل القرءان والباحثة في العرفان, هي مثل كوكب الزهرة. تشع وتبقى قيمتها ولو بعد موتها بألف عام. كما تجد أن أسماء العارفات والعاقلات والعالمات باق على ممر القرون إلى يومنا هذا.
فالمرأة الجاهلة مثل الزهرة, والمرأة العارفة مثل الزهراء. الجاهلة بعد فترة ستموت وعليها السلام. العارفة يبقى حبّها في القلوب ويردد أهل المشرق والمغرب وكل من يعرفها بعد ذكر اسمها "سلام الله عليها" و"عليها السلام".
لا يهم ما تشعر به, وما تريد من الآخرين أن يشعروا به تجاهك. المهم ما تكون عليه أنت في واقعك وحقيقتك. فحين ترغب المرأة الجاهلة أن تُعامَل بمثل معاملة المرأة العارفة, فهي كمثل الكلب الذي يُريد من الناس أن يعاملوه معاملة الإنسان, بكل بساطة لن يحدث. القضية ليست كلام ولا رغبات, القضية واقع النفوس واهتمامات العقول. وعاجلًا أم آجلًا, ينال كل إنسان ما يستحقّه, نسأل الله عافيته ولطفه.

...
مشروع: كتاب شرح على فصوص الحكم يجمع بين كل الشروح الموجودة على كل فقرة ومسألة من المتن, مع دراسة وتحليل الشروح أيضاً. أي شرح المتن بالشروح وشرح الشروح, بحيث يكون شرحاً كبيراً جامعاً لكل ما تم حتى الآن من تعليقات على فصوص الحكم.

....
مشروع: تركيب الأحاديث النبوية بالجمع بين كل الروايات. حين تجمع كل الروايات المتعلقة بحادثة واحدة, مثلًا كل روايات حديث النبي عن الخوارج وخصوصاً بعد قسمة الغنائم في حنين, سنجد أنه توجد 35 صيغة فقط للفقرة التي يصف النبي بها خروج الخوارج, "يخرج فيكم" و "سيكون في أمتي قوم", "هذا وأصحابه", "هذا وأصيحابه", إلى آخره. ونحتاج إلى مثل هذا الجمع والدراسة المقارنة بين الروايات بجمع تام والاستفادة من كل صيغة, فقد تكون الفروق جوهرية وخطيرة بين الصيغ, وكثير من المعارف مختبئة داخل تلك الصيغ. وفكرة هذا المشروع هي تخصيص أجزاء حديثية لمتون الروايات تحديداً بحيث يتم تفقيرها وتركيبها حتى تصير الصورة كاملة في عين القارئ. هذا عمل لم يتم بعد.

...
مشروع: فرز الفتوحات المكية. وذلك بوضع أجزاء خاصة لكل قسم محدد, وأهم الأقسام هي: القصص (المتعلقة بالشيخ في وقائعه الخيالية أو الأرضية). القرءان. النبي. أهل البيت. الصحابة. العلماء. أشخاص وكتب استشهد بهم الشيخ. معجم التأويل (كل صورة وباطنها حسب تأويل الشيخ). تعليق الشيخ على كتبه (على كلامه عموماً, على الكتب الخاصة كالذي قاله عن روح القدس في محاسبة النفس مثلًا). أصول الدين والملل. أصول الفقه. فروع الفقه على مذهب الشيخ. معجم التعريفات (وهل كل ما قام الشيخ بتعريفه, مثل تعريف الدين والأسماء والمقامات والأحوال). العلم (تعريفه عند الشيخ وأنواعه وشؤون كل نوع وكيفية حصوله واكتسابه). المعاد. مراتب الوجود. الشعر. الإمامة والسياسة. الأخلاق والآداب. المعارضات (وهو كل ما رفضه الشيخ وأعلن رفضه له وتبرّم به).
في هذا المشروع تيسير لدراسة قول الشيخ في كل باب, بالإضافة لحصول رؤية متكاملة وكذلك تيسير الفتوحات لعموم الناس كما أراد الشيخ للفتوحات أن يكون نافعاً للأمم جميعاً لا فقط المسلمين.

...

افتتحت السور القرءانية بخمسة عشر حرفاً, واختتمت كذلك بخمسة عشر حرفاً.

أما الفواتح من الأكثر وروداً للأقلّ (أ 39, و17, ي15, ق8, س ح 7, ت ل4, ب هـ ع 2, ك ص ن 1).

أما الخواتم من الأكثر وروداً للأقل (ن41, م أ 17, ر 10, ب ة5, ى د4, ه3, ظ ي ث ف س 1).

فكما ترى لا تتجاوز حروف الخواتم في مجموعة واحدة خمسة أحرف, كما أنه لا تتجاوز مجموعة السور التي لها نفس عدد الآيات الخمس سور وهي (11 آية: القارعة والعاديات والضحى والجمعة والمنافقون) ومجموعة أخرى مثلها. ونجد مجموعات في حروف الفواتح وحروف الخواتم والسور فيها واحد واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة, لكن لا تجد فوق الخمسة. كما أن الحروف النورانية لا تتشكل من أكثر من خمسة أحرف متصلة هي (كهيعص).

...

خمسة قالوا "أنا" في القرءان: الله (19 مرة). النبي محمد, إبراهيم, هود, موسى, نوح, يوسف (34 مرة). ملاك مريم (واحدة). ابن ءادم المقتول, زوج إبراهيم, صاحب يوسف, امرأت العزيز, جني سليمان, عالِم سليمان, مؤمن آل فرعون (مرات). كافر إبراهيم, إبليس, فرعون, كافر الجنّتين في سورة الكهف (9 مرات).

فإذن, الله والملائكة والأنبياء وأتباع الأنبياء والكفار. الكل قالوا "أنا".

بناء على ذلك: ذلك التعميم الباطل الذي يرفض قول الإنسان لكلمة "أنا" لا وزن له في كتاب الله. وإنما ورد النهي عن قول "أنا" أو الاستعاذة منها, حين يكون قائلها لا يشبه الأنبياء وأتباعهم, بل يشبه الكفرة وإخوانهم.

قلة التدبر في القرءان أهلكتنا.

...

في كتاب الأصول التسعة للشامي في الحديث النبوي:

76 رواية في مناقب علي بن أبي طالب. قبل المحقق منها 40 وشكك في 36.

57 رواية في مناقب عمر بن الخطاب. قبل المحقق 43 وشكك في 14.

أقول: أصرّ على أن يجعل مناقب عمر أكثر من مناقب علي, مع التقارب, بالرغم من كثرتها عند علي كمّاً وكيفاً, لكنه لم يلتفت للكيفية وركّز على الكمّية. صاحب الأصول التسعة رحمه الله أحسن في جمع الأحاديث, ولكن في كلامه عليها سنداً ومتناً شيء من..."الحنبلية السلفية" إن شئت.

...

لمعرفة معاني الأمور بدقة, لابد من جمع كل ما ورد فيها في كتاب الله ثم التأمل والتدقيق. واحذر من التسرع في الاستنباط قدر وسعك, واجعل جمعك شاملًا تاماّ.

...

شكل الأحرف النورانية هندسيا مكون من خمسة أشكال متداخلة:

تسعة الأضلاع من (ن, ق, ص, طه , يس, طس, , المص,المر,كهيعص) إذ وردت كل صيغة مرة واحدة.

وبداخل التساعي, يوجد سباعي من (حم عسق, حم, حم, حم, حم, حم, حم).

وبداخل السباعي, يوجد سداسي من (الم, الم, الم, الم, الم, الم).

وبداخل السداسي, يوجد خماسي من (الر).

وبداخل الخماسي, يوجد خطان متوازيان من (طسم).

فكما ترى, حتى شكله الهندسي, ينتهي إلى خمسة أشكال فقط, ولا يزيد على الخمسة, وهي سرّ الحفظ. والتساعي الأكبر هو أساس الآيات التسع الكبرى.

...

قال لي أحد الأصحاب مرّة: ما عجبت من أحد قدر عجبى منك مولانا ...حتى أننى فى أحيان كثيرة أظن أنك لايمكن أن تكون موجود في هذا العالم على وجه الحقيقة.

فقلت صادقاً غير متواضع: فضل الله واسع وأعجب منه تفضّل الله على أهل الغفلة والمعصية من أمثالنا. وبالمناسبة، ظنّك صحيح، إذ لا أحد فينا موجود في "هذا العالَم" على الحقيقة، وما هذا إلاعالم ظلال، والحقيقة الباقية في العالَم الأعلى، أشخاصنا فوق وظلالنا تحت. وعلى التحقيق التام: لا أحد فينا موجود على الحقيقة، إذ "الله هو الحق" وحده لا شريك له.

...

سألت:

اذا الله غير محدود و مطلق موجود في كل مكان ، محيط بكل شئ ..

فما سبب التنزيل اذ هو محيط بكل شئ؟

ولمذا استخدمت كلمة التنزيل في كل شئ اذا هو محيط بكل شئ؟

نعلم بان الله الاعلى و نحن في الدنيا من الدنو ، لكن هذا تعبير لوصف مكانة الله و مكان البشر و الدنيا

اذا الله محيط بنا فلمذا ينزل علينا

التنزيل كان من الله الى جبريل الى الرسول..

لمذا كلمة التنزيل خصيصاً لا كلمة ارسال او بعث او غيره ؟

اذا كان الجواب لان الله ينزل من الاعلى "العوالم" الى ان تصل الى الدنيا . فكيف يكون الله محيط بكل شي ولكن التنزيل يدل على انه ليس محيط و بانه في الاعلى فقط..

لمذا وقت ارسال شئ من عند الله لا يكون محيطا ايضاً ؟

أجبت:

كلمة تنزيل تدل على شيئين

الأول تعينات و تحديد و تجليات ذات الله بحسب مراتب الموجودات، يعني من الوجود المطلق الى الموجودات المقيدة. و هذا التنزيل لا يتم في زمان، فلا نجعل اللغة سببا للتوهم الباطل. إنما المقصود الترتيب العقلي من المطلق للمقيد. بهذا المعنى، تنزيل الله يعني ظهور الله في جميع مراتب الموجودات، و هذا معنى اسم الله "الظاهر".

الثاني تنزيل الروح في عالمي السماء و الأرض. مثل تنزيل القرءان. و هذا هو المقصود حين نتكلم عن الرسالة و النبوة. و حين نقول أن الله أنزل القرءان لجبريل و جبريل للنبي، فالمقصود إما الاشارة لان كل خير يحدث في الوجود إنما يرجع إلى أمر الله و إذنه، و إما أن "الله" هنا المقصود به تجلي من تجليات الله و هو خليفته في الكون اي هو الروح الأعظم الذي هو الخليفة في عالم العرش، و هذا الروح ينزل لجبريل و جبريل ينزل للملائكة حتى يصل إلى النبي. و في القرءان كثير من المواضع يتم فيها ذكر اسم "الله" لكن المقصود ليس فقط الله من حيث ذاته بل الله من حيث بعض تجلياته. مثلا قوله "أطيعوا الله و اطيعوا الرسول"، فمن المفهوم بقوله "اطيعوا الله" هو الطاعة لكتاب الله النازل، لأن كتابه احد

تجلياته. و هكذا. فأذن حين نقول الله نزل إلى جبريل ليس المقصود جوهريا إلا أن الحقيقة تبدأ مجردة والخير يبدأ مطلقا ثم يتنزل اي يتقيد ويتحدد ويتلبس بصور الأكوان حتى يبلغ مستقره ويصل إلى غايته.

الله متعالي بحقيقته، متجلي متنزل بنوره. و هذا معنى احاطته. و القرءان الذي اخبرنا ان الله "أعلى" هو القرءان الذي اخبرنا ان الله "هو الذي في السماء إله و في الأرض إله" و "اقرب إليه من حبل الوريد". فاحاطته تجمع بين كونه أعلى من كل شيء (العلو هنا ان حقيقته مطلقة وجامعة وأصل كل شيء وكل كمال) و مع ذلك هو متنزل في كل شيء بالايجاد والإمداد.

و القرءان استعمل كلمة بعث و إرسال أيضا. "بعث الله النبيين". "ثم أرسلنا رسلنا تترا". و لم يقتصر على لفظة الإنزال.

كل موجود سوى الله مقيد بمرتبة معينة. لكن الله وحده هو الحقيقة التي فوق كل شيء و في كل شيء و بها كل شيء. فلا يعرف الله من يريد ان يبحث عن موجود آخر ليقيسه به، لأن القياس يفترض وجود شيئين تتم المقايسة بينهما، فإذا كان لا يوجد من الشيء الا هو و هو الواحد الأحد فيستحيل القياس وتبطل المقايسة عقلا. الله معروف بذاته، ظاهر بنفسه، شرح حقيقته هو مجرد ذكر حقيقته ومن صفا قلبه أيقن به وبواقعيته.

...

قالت: ما معنى حنيف؟

قلت: جذر حنف له ثلاثة معان أساسية؛ المائل إلى الشئ أو عن الشئ والمبتعد عن الطريق، وَ الرجل الذي تلتوي رجله وتعوجّ للداخل أو الذي تنقلب قدمه فتصير بطنها ظهراً، والذي يجمع بين الأضداد ومنه الحَنْفاء وهي الأمَة التي تكلّ مرّة وتنشط مرّة أو سلحفاة الماء التي تستطيع العيش في البرّ والبحر فتجمع بينهما.

وبناء على ذلك، نفهم قوله تعالى باللسان العربي {حنفاء لله غير مشركين به}. فالحنيف هو المائل إلى الله والمبتعد عن غير الله.

وهو الذي يميل إلى طريق الله ويبتعد عن غير طريق الله. كما قال تعالى {وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة}.

وهو الذي ينظر في باطن الأمور ويتأمل في الداخل وحقائق الأشياء كما قال تعالى عن إبراهيم الحنيف {كذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين}.

وهو الذي يجمع بين الأضداد بمعنى أنه لا يميل للشرق فقط ولا للغرب فقط بل هو في مقام الزيتونة التي هي لا شرقية ولا غربية كما قال بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام في تأويل قوله تعالى {زيتونة لا شرقية ولا غربية} بأن المقصود بها هو إبراهيم وملّته التي هي لا يهودية ولا نصرانية.

الخلاصة إذن؛ الحنيف هو الإنسان الكامل.

....

قالت: لماذا خلق الإنسان ضعيفاً وليس قوياً؟

قلت: المقصود بالخلق الضعيف في الإنسان هو أنه مخلوق من تراب، أي جسمه من تراب وهو شئ ضعيف. لكن هذا لا يعني أن الإنسان من كل حيثية وجهة وزاوية هو كائن ضعيف، بدليل قوله تعالى {يزدكم قوّة إلى قوّتكم} و قوله {أعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة} و قول سليمان {لنأتينّكم بجنود لا قِبَل لكم بها}. هذا تفسير.

تفسير آخر أن الإنسان خُلِق ضعيفاً لأن فتوحات الله له كبيرة وكثيرة، فجعل أصله ضعيفاً حتى لا يتكبّر ويتجبّر ويتفاخر، فالإنسان له مقام عظيم وهو الخلافة، فهذه وحدها كفيلة بجعل الكثير من الناس ولو من حيث لا يشعرون يتكبّرون. فجعل له جسماً مخلوق من ضعف وشئ ضعيف وهو التراب حتى تتوازن نفسه ويشهد ضعفه فيذلّ لربّه ويحسن لأهل الطبيعة ومملكته. ومن هنا ورد عن بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام أنهم قالوا ما خلاصته؛ إن الله خلق الإنسان وجسمه يمرض وينام ويموت ومع ذلك فيه تكبّر وتجبّر فكيف لو خلقه لا يمرض ولا ينام ولا يموت. فإذن خُلق الإنسان ضعيفاً من باب العناية به وبمصيره ولجعله متوازناً في نفسه بين الشعور بالقوّة الباطنية واستشعار الضعف الظاهر.

...

قالت: ما الفرق بين الفطرة والصبغة؟

قلت:-

في اللغة؛ الفطر له ثلاث معان أساسية: خروج الشئ من شئ، وانشقاق الشئ، واختراع الشئ.

قال تعالى في الفطرة، سورة الروم الآية ٣٠ {فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون}. أقول: فالفطرة هي الدين وهي الخلقة الأصلية، أي الفطرة هي الدين النابع من الخلقة الأصلية لجوهر الإنسان، فهي الجامعة بين معنى الديانة ومعنى الخلقة. وحقيقة الفطرة تُعرَف بالعلم الباطني، لأن العلم الظاهري يعلمه الكثير من الناس كما قال تعالى في سورة الروم نفسها "لكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون". فأكثر الناس يعلمون ظاهر الدنيا ولا يعلمون باطن الآخرة. فحين تأتي آية الفطرة وتقول أن أكثر الناس لا يعلمون الفطرة والخلقة الأصلية والدين القيّم فنفهم أن الفطرة متعلّقة بالباطن وبالآخرة. والدنيا مستوى الفناء، والآخرة مستوى البقاء. فالفطرة متعلّقة بعالم الحقائق العالية والبقاء والديمومة والشئ الخالد، ولذلك هو قال {لا تبديل لخلق الله} لأن عالم البقاء العلوي الأشياء لا تتبدّل فيه، لكنها تتبدّل فقط في عالم الفناء السفلي. فالفطرة هي معرفة حقيقة النفس الخالدة، ومعرفة الدين أي العلوم والأحكام المبنية على أساس معرفة حقيقة النفس الخالدة.

والعلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى القرءاني هي التالي: النفس خرجت من عالم البقاء، ونزلت بالتجلّي لهذا العالم السفلي البدني بعد ذلك، والدليل في سورة التين، يقول تعالى "خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. ثم رددناه أسفل سافلين". فأحسن تقويم هي الفطرة، وهي في العالم الأعلى. ثم حصل الردّ لأسفل سافلين وهو العالم السفلي البدني الترابي. الروح هي أحسن تقويم، وهي أعلى المخلوقات من مرتبة العرش. وحقيقة حقيقة نورالنفس ومبدأ كمالها، ولذلك النفس التي تتعلّق بالروح تتزكّى، ولكن التي تتعلّق بالبدن وتنحصر فيه فإنها تتدسّى كما قال تعالى "أفلح من زكّاها قد خاب من دسّاها" وقال عن المؤودة "يدسّه في التراب". فروح الإنسان خرجت من الروح الأعظم الذي هو المربّي للمخلوقات دونه "نفخت فيه من روحي". والروح كالنفس هي من الأمور المخترعة التي أبدعها الله جلّ وعلا.

الخلاصة: الفطرة هي معرفة الروح وتعلّق النفس بالأمور الروحية وعلى رأسها العلم.

قال تعالى في الصبغة، سورة البقرة الآية ١٣٨ بعد ذكره للتوحيد والإيمان بكل الأنبياء {صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون}.

في اللغة: الصبغ هو الطلاء وهو الغمس. فالطلاء هو تغيير في ظاهر الشئ بوضع شئ عليه، والغمس هو استغراق الشئ في شئ آخر. فللصبغ معنيان، الأول وضع شئ على شئ، والثاني غمس شئ في شئ.

{صبغة الله} هي طلاء النفس بألوان كمالات الأسماء الحسنى التي لله. لأن النفس أساسها الفقر، وغناها وكمالها ووجودها بالله. فصبغة الله أي أننا نصبغ أنفسنا ونطليها بألوان أي معاني الأسماء الحسنى المختلفة. بعبارة أخرى، هي التخلّق بأخلاق الله.

{صبغة الله} هي غمس النفس في الله، أي في ذكر الله والاستغراق في تأمل أسمائه الحسنى، فكل اسم إلهي هو بحر، والنفس مثل الغوّاص أو السمكة التي تنغمس في هذا البحر فيحيط بها الاسم من كل الجهات، فلا يرى بعد ذلك إلا الاسم والأسماء الإلهية من كل الجهات كما قال تعالى "فأينما تولّوا فثمّ وجه الله".

{صبغة الله} تغيير ظواهر النفس بأسماء الله، والعمل بشرائع الله، والاستغراق في ذكر اسم الله.

{ومن أحسن من الله صبغة} ذكر كلمة "أحسن" إشارة للأسماء "الحسنى" ومعنى "الحسنى" هو أنها لا يوجد أحسن منها فهي التي بلغت المرتبة القصوى في الحسن، والحسن هو الكمال والجمال والتمام. ولأن كل حُسن مستمد في الحقيقة من الله، فلا يمكن أن يكون ثمّ صبغة أحسن من صبغة الله. وهذا هو الدليل على ما ذكرناه بخصوص الأسماء الحسنى.

وأما الدليل على ما ذكرناه من أعمال الطريقة أي ذكر الله، وأعمال الشريعة أي اتباع الأحكام الشرعية التي يتلبّس بها الإنسان وتطلي ظاهر حياته بألوان إلهية، فهذا الدليل في خاتمة الآية إذ يقول {ونحن له عابدون}. والعبادة هي الطريقة والشريعة، الطريقة هي العبادة الباطنة، والشريعة هي العبادة الظاهرة.

والدليل على أن الصبغة تشمل العلم والعمل، هو أن الآية فيها ثلاث فقرات، الفقرة الأولى هي {صبغة الله} وهي موضوع الكلام، ثم بدأ تعريفها فقال في الفقرة الثانية {ومن أحسن من الله صبغة} وهذا السؤال يتعلّق بالعلم، أي هو قضية علمية، لأن معرفة الأحسن من الأقلّ حسناً هو أمر راجع إلى العلم والتعقل. ثم ختم في الفقرة الثالثة بذكر العبادة {ونحن له عابدون} والعبادة أمر عملي سواء كان ظاهرياً أم باطنياً.

الخلاصة: الصبغة هي المعرفة والطريقة والشريعة الإلهية. ومعنى الصبغة أنها تطلي النفس بالكمالات الإلهية، وتجعل النفس تستغرق في تلك الكمالات، أي هي تغيير في ظاهر النفس ومحيطها. ولأن النفس لا يمكن أن تنفكّ في جوهرها عن العبودية والفقر إلى الله، فإن التغيير لا يمكن إلا أن يكون في الظاهر وفي المحيط، فحتى العالِم في نفس الوقت الذي هو فيه متلبّص بصفة العلم التي هي صفة من اسم العليم سبحانه، فإنه يبقى في حقيقته فقيراً إلى اسم العليم ويبقى جاهلًا في نفس الأمر من حيث النظر إلى نفسه. فمعنى {صبغة الله} يدلّ على استحالة تغيّر جوهر النفس الذي هو الفقر إلى الله، لكن الممكن هو حصول {صبغة الله} أي الطلاء بالله والغمس في الله.

...

قالت: لماذا اختار الله بأن يكون هناك خاتم للأنبياء ولم تستمر النبوة إلى آخر الزمان لتكون جميع الشعوب متعادلة وبما ان اسم الله "العادل"؟

قلت: هذا السؤال مبني على أن النبوة انقطعت بكل معانيها، ثم يسأل عن سبب هذا الانقطاع. فالأساس هو افتراض حدوث انقطاع للنبوة وعدم استمراريتها، وهذا الأساس غير صحيح. بل النبوّة

مستمرة إلى آخر الزمان بل وإلى يوم القيامة بل لا يمكن انقطاعها في الحقيقة. فالله حقّاً قائم بالقسط وهو العدل، وما كان ليمنع خيره عن الناس إن كان فيهم خيراً وقابلية. وقد كتبنا كثيراً في هذا الباب، وبيّنا أنه لا القرءآن ولا الحديث ولا كلام أهل العلم من المحققين يدلّ على حدوث انقطاع تامّ للنبوّة من كل الجهات، وهذا من الأخطاء بل الأكاذيب الإيمانية الشائعة جدّاً في الأمّة وفي عوامّها تحديداً.

والنبوّة بمعنى الإنباء عن الحقائق الوجودية وحصول الفيض الإلهي للخلق، هو أمر مستمر لا ينقطع. فإن الله بيده الخير و{يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء}. وقد لعن الله في القرءآن الذين يقولون بحدوث هذا الانقطاع وزعموا أن يد الله مغلولة.

والنبوّة بمعنى الإخبار بالأمثال والحديث باللغة الخيالية البرزخية التي تجمع بين نور العقل وصور الجسم، فهذا أمر مستمرّ سواء بالعلماء الذين يعقلون أو بالرؤيا التي قال النبي عنها أنها من أجزاء النبوّة وقال النبي في الأحاديث الصحيحة التي يقرّ بها الجميع أن كلّما كان الإنسان أصدق حديثاً كلّما كانت رؤيته أصدق بالتالي نبوّته أعلى درجة، ولذلك قال النبي أنه بقي من النبوّة "المبشّرات" في أحد الأحاديث بالتالي حتى النبي لم يقل أن النبوّة انقطعت من كل الجهات وبكل المعاني. وما مكاشفات الأولياء والعرفاء وما يحدث للعلماء والفقهاء المحققين إلا دلائل على هذا المعنى، وهذه أكثر من أن يحصيها إنسان في كتبنا وعلماء أمّتنا ولله الحمد.

وقد أخبر بعض العلماء الصادقين المصدقين أنه رأى رب العزة في المنام وحدّثه بأشياء، ورؤية النبي في المنام واليقظة أيضاً والتحديث بأشياء أكثر من أن تُحصى في الأمّة، وأثبت القرءآن إمكانية وحدوث تكليم الملائكة للصالحين وتنزّلهم عليهم {إن الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة}.

قال الله أنه يكلّم البشر بثلاث طرق "وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء}. وحيث أن من سمات الله الذاتية هي الكلام، كما أن من سماته الذاتية القدرة والعلم، فيستحيل أن ينقطع كلام الله كما أنه يستحيل أن تنقطع قدرة الله أو علم الله. وسنّت الله لا تتبدّل ولا تتغيّر ولا تتحوّل. وفي كتب العلماء إخبارات كثيرة-ولا يزال أهل الله إلى يومنا هذا يتذوقون هذه المعاني- عن حدوث وحي إلهي مباشر لهم مثل قول النفري رضي الله عنه {قال لي} في كتابه المواقف والمخاطبات أو قول أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه رأى رب العزة في المنام وسأله عن أفضل ما يتقرّب إليه الناس به فقال الله {بكلامي} فقال أحد {بفهم أو بغير فهم} فقال الله {بفهم وبغير فهم}. غير ذلك من الوحي في اليقظة والمنام الشائع. والكلام من وراء الحجاب حدث أيضاً كثيراً، ومن وراء حجاب مثل تكليم الله لموسى من وراء حجاب النار، وقال ابن عربي رضي الله عنه أن الله كلّمه من وراء حجاب الماء في إحدى المرّات. وأما الكلام الإلهي بإرسال رسول، من الملائكة أو من البشر، فمن الملائكة توجد قصص كثيرة صحيحة وثابتة في الماضي والحاضر عن أناس وأولياء لله كلّمتهم ملائكة مثل قول ابن عربي أن أحد الملائكة جاءه وأعطاه سورة الشعراء ليبتلعها فابتلعها فصار من الشعراء، وأما رسول من البشر فمثل الوقائع الكثيرة التي يذكرها الشيخ ابن عربي التي كلّمه فيها رسل غير سيدنا محمد أو الرسول الأعظم الذي هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة جدّاً عند الشيخ محيي الدين وغيره في الماضي والحاضر. فكل طرق تكليم الله للناس بعد نزول القرءآن موجودة ومتحققة. وقال سيدنا علي عن الأولياء في خطبة معروفة يصفهم فيها فيقول {كلّمهم في ذات عقولهم} أي أن الله يكلّمهم في ذات عقولهم ويخاطبهم في فكرهم.

وأما معنى الخاتمية، فهو على التحقيق يرجع إلى معنى الأولية ومعنى الجامعية. أي أن النبي هو أوّل الأنبياء ومن نوره استمدّ الأنبياء والأولياء، وأن النبي هو صاحب النبوّة الجامعة لكل معاني وكمالات النبوّة التي كانت لأي نبي من الأولين والآخرين. فكما أن الدائرة نقطة خاتمتها هي نقطة بدايتها، كذلك النبي هو الخاتم لأنه الأول الفاتح كما قال سيدنا التيجاني رضي الله عنه في صلاته {اللهم صلّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق}. فكما أن الكتاب الذي نزل على نبينا محمد هو الكتاب الجامع لكل معنى وخير كان في كل كتاب نزل، بل الفاتحة وحدها جمعت كل ذلك، فإن النبي نفسه جامع لكل الكمالات التي كانت لكل نبي وتكون لأي نبي وولي وإن كان الأولياء بعد نزول القرءآن لا يقال عنهم أنبياء حتى لا تضلّ أفهام عامّة الناس، وهكذا أجاب بعض أهل التحقيق. وبعضهم يسمهم "أنبياء الأولياء".

قال تعالى في القرءآن "وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى". فأشار بذلك إلى أن الإنسان كلّما تجرّد عن الهوى، وكلّما كان نطقه ليس عن الهوى، بحسب هذه الدرجة، يكون كلامه ونطقه وكل شأنه هو من الوحي وشبيه بالوحي بل من نور الوحي. كلّما قلّ الهوى، كلما كان النطق وحي يوحى. ولذلك يُروى مثلًا أن السيدة عائشة رحمها الله حين سمعت كلام الحسن البصري رضي الله عنه قالت "من هذا الذي كلامه يشبه كلام الأنبياء".

وأما عن ما هو الشئ الذي انقطع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجاب الشيخ محيي الدين بأن الذي انقطع هو الإتيان بشريعة جديدة. أي لا يمكن أن يأتي أحد بشريعة عملية وأحكام فقهية تخالف وتناقض ما جاء به الرسول عليه السلام. أقول: حتى هذا فإنه لم ينقطع باب الوحي فيه بالكلية، لأن التشريع الذي جاء به النبي ينقسم إلى أصول وفروع، الأصول هي المقاصد والغايات، الفروع هي الوسائل والمظاهر التي يفترض أنها تحقق تلك المقاصد. وقد تكون الوسيلة تحقق مقصداً معيّناً في ظروف معينة، فإذا تبدّلت هذه الظروف كان الأخذ بتلك الوسيلة بحجّة أنها من الشريعة يعتبر عملًا باطلاً وتحريفاً لشرع الرسول، فالرسول ما حكم بما حكم به إلا بناء على تلك الظروف، فإذا تبدّلت الظروف الرسول ما كان ليحكم بنفس حكمه ذاك. فإذا فهمنا ذلك، كان وضع صور وأحكام جديدة تحقق مقاصد الشريعة الرسولية لكنها تخالف بعض الصور التي حكم بها الرسول في ظروف خاصّة، فحينها تحتاج الأمّة إلى صور شرعية جديدة، والفقهاء أقرّوا هذا المعنى، وقالوا أن طريق تحصيل تلك الصورة الجديدة هو الاجتهاد الفكري، أما نحن فنقول أن طريقة الأعظم هو الكشف الإلهي أو الوحي الرباني أو الإلقاء العلوي أي نقول بإمكانية حصول وحي من درجة ما لإعطاء الصورة المناسبة، وأما استعمال الرأي الشخصي البحت في هذا الباب فهو في أحسن الظنون يعتبر درجة متدنية فيها ما فيها وحتى لو قلنا به فإنه لا ينقض إمكانية بل الاحتياج إلى الوحي، لأن الشرع من الله والعبد لا يكلّف نفسه بنفسه حسب الأصل. والأمثلة كثيرة في الأحاديث النبوية وفي كلام الفقهاء المجتهدين الكبار عن أحكام شرعية تبدّلت صورتها لما تغيّرت ظروفها، أو عن أحكام رسولية لم يأخذ بها الفقهاء الكبار لأنهم فهموا أن المخاطب بتلك الأحكام هم فقط الذين حكم الرسول بها لهم وليس كل شخص بعدهم مهما شابهت حاله حالة أولئك ببادئ الرأي. الخلاصة: حتى فهم الشريعة قد يحتاج إلى وحي، وحتى وضع صورة جديدة تناسب الظروف الجديدة قد يحتاج إلى وحي. ولا يوجد في القرءآن أو السنّة شئ يمنع من ذلك، بل كل المبادئ المعرفية التي على أساسها نقرر وجوب إتيان نبي عموماً وإتيان النبي محمد خصوصاً هي

نفسها المبادئ التي توجب إتيان نبوّة بعد نزول القرءآن بوجه أو بآخر، حتى لو قلنا نوع من النبوّة لفهم القرءآن ذاته إذ "من قال في القرءان برأيه فليبتوأ مقعده من النار".

فإذن، السؤال يفترض انقطاع النبوّة، ثم يبني على ذلك. والجواب النبوّة لم تنقطع، فالسؤال غير صحيح.

...

الله يشكرني فإذن أنا موجود، أنا أتلذذ فإذن الله موجود.

...

سؤال {لماذا} لا يصحّ إلا في قضية يوجد أكثر من احتمال لتفسير وجودها وحدوثها، أما حين لا يوجد إلا "احتمال" واحد، فحينها نكون قد وصلنا إلى نهاية سؤال "لماذا" ولا يصحّ السؤال بعد ذلك لأن ذلك الواحد هو التفسير المطلق لكل "لماذا". فإذا انتهت الاحتمالات انتهت التساؤلات عن العلل، بهذا يحكم العقل.

...

آدم قبل المعصية كان يأخذ من المصدر {وعلّم آدم الأسماء}. آدم بعد المعصية صار يأخذ من المظهر {وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة}.

لولا المعصية لما عرف آدم أنه موجود وله حقيقة ربانية متجلية فيه. فالمعصية كشفت السرّ. فما عصى ظهر فقره {بدت لهما سوأتهما}، وعرف بالتالي أنه كان غنياً {إني جاعل في الأرض خليفة} {اسجدوا لآدم}. المعصية والكفر من أكبر الأدلة على جود الله ووجود الإنسان. (نعم، "جود الله"، وليس "وجود الله").

العاصي آية جود الله، التقي آية وجود الله.

قالت:كيف يكون العاصي سبب لجود الله ؟ ولمذا العصيان تحديداً هو سبب لجود الله؟

قلت: لأن العاصي لله إنما يعصي الله بالقدرة التي وهبه الله إياها. فلولا أن الله جاد عليه بصفة القدرة وصفة العلم وصفة حرية الاختيار لما استطاع أن يعصي الله. فإذن العصيان شاهد على أن الله جاد وأنعم على الإنسان بتلك الصفات الكمالية. والعصيان ليس "سبب" جود الله, جود الله سبب "العصيان" أي سبب إمكانية العصيان وتحققه. الطاعة شاهد على جود الله, العصيان شاهد على جود الله, وليس فقط العصيان.

قالت: تقصد بكلمة جود الله كرمه؟

قلت: نعم.

...

لولا أننا نعطي الله شيئاً وينال منّا شئ، لما كان الله شاكراً ولا شكوراً. ونحن نعطيه معرفته بذاته في مرآة ذواتنا وهي الغاية من خلقه للخلق. الغاية من الخلق في الخالق، لا هي في الخلق ولا في مصلحة الخلق. فالإنسان ليس المخلوق الوحيد حتى تقول أن الله خلقه لينعمه ويدخله الجنّة، ثم بعض الناس سيدخل النار خالداً فيها. من يحاول تفسير وجود الخلق بمصالح الخلق أو غير ذلك لأنه يتوهم أن جعل العلة في الخالق تعني أنه مفتقر إلى خلقه وكأنه ناقص في ذاته، فإنه يخترع الأباطيل ولا يفسّر شيئاً. {وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدونِ} فها هي لام العلّة، والعلّة هي العبادة، وهي توجّه الخلق له وهذا معنى أنها مرآته. الزعم بأن الخلق لا قيمة له ولا شئ هو زعم باطل وإفك كبير وسحر عظيم. الشكر

مقابل العطاء، فكما أننا نشكر الله لأنه يعطينا، كذلك الله يشكرنا لأننا نقدّم له الخير بمجرّد وجودنا وكينونتها، لأن علمه محيط فلابدّ أن يعلم نفسه بكل طرق العلم ولا طريق للعلم إلا بذات المعلوم أو بمرآة غيره، والله يعلم نفسه بنفسه ويريد أن يعلم نفسه بغيره وهذا الغير هو الموجودات والمكوّنات والمخلوقات. فكل موجود مرآة خاصّة للحقّ تعالى.

تنبيه: شرح الشيخ محيي الدين هذا المعنى في فاتحة الفصّ الآدمي.

تنبيه آخر: هذه المعرفة الكبرى والسرّ الأكبر إما أن تعرفها بكشف وتجريد، فإن لم تفعل فلا يوجد إلا معرفتها بشئ من التشبيه ولا يوجد مثال أحسن في هذا العالَم من مثال المرآة وإن غير مطابق للمعنى من كل الجهات لأن حقيقة الله واحدة فلا يمكن ضرب أمثال لها إذ لا يصحّ المثل إلا بالتماثل ولا مثيل له سبحانه. فمن لا يفهم بالتجريد، وينتقد التجسيد، فليذهب إلى جحيم الجهل إذ ما ثمّ مزيد.

...

أرسل لي أحد الأصحاب الذين هاجروا إلى أميركا، يسأل عن قولنا {الطواف عبادة العرفاء}، وذكر تعجّبه من كون الطواف في مكانين في لوس أنجلوس هما أحبّ الأماكن إليه وهما كالحديقة.

فأجبته:

سلام فيصل حبيبي، الحمد لله أنا بخير وإن كنت أعاني من الاختناق بسبب عيشي في هذه البلد الخانقة للحرية والكلمة.

بخصوص (الطواف عبادة العرفاء) وتجربتك التي ذكرتها. فالمكانين الي وضعت صورتهم، فيهم اهم ثلاث خصائص لراحة الإنسان المعنوية: جنة وسكينة و حركة دائرية (طواف). أما الجنة الأرضية فهي ظلال الجنة الأخروية التي هي موطننا الأصلي الحقيقي، فنجد راحة لان نفوسنا تستجيب لروحانية المكان و لو كنا لا نعي سبب راحتنا. أما السكينة فكذلك لأن الهدوء النابع من السكون و النظافة ونية صناعة مكان يكون ملجأ النفوس في المدينة الصخبة، كل ذلك يؤثر في الأجواء الباطنية المكان و التي تتأثر بها النفس.

أما عن الطواف تحديدا. الحركة الدائرية أتم الحركات واطيبها للنفس، وذلك لأسباب متعددة:

منها ان الدائرة لا بداية لها و لا نهاية و كل نقطة فيها مساوية لكل نقطة اخرى فهي حقيقة واحدة متصلة، وهذه الصفة تعكس صفة الله تعالى الذي لا بداية له و لا نهاية و حقيقته واحدة.

ومنها ان الإنسان قد ينسى نفسه في الطواف لأنه لا توجد زوايا يقف عندها، فيتحرك حركة متصلة ميسرة سهلة وبالتالي ينفتح المجال له للاستغراق في باطنه والأعمال العقلية و الروحية، لأنه يصير باتصال الحركة السهلة كأنه ثابت مستقر في نفس الوقت الذي هو فيه متحرك نشيط وبالتالي يجمع الطواف بين فائدة الثبات وفائدة الحركة، و الجمع بين الأضداد من صفة الله تعالى الذي يجمع بين الأضداد فهو الأول و الآخر و كذلك هو الظاهر و الباطن.

ومنها ان حركة الكواكب والنجوم دائرية إلى حد ما. "كل في فلك يسبحون". و كما ان تشبه الإنسان في حركاته وتصرفاته بالكلاب و البهائم يجعله يشعر بالسفالة، فكذلك تشبه الإنسان بالكواكب بجعله يشعر بالقوة و الرفعة و السمو.

وبناء على ذلك، من احسن أعمال من عرف المعاني السابقة هو ان يطوف ويجعل حركته طوافا حتى لو كان في غرفته و مكتبه، فتنتفع بذلك ظواهره وبواطنه بإذن الله.

أما عن الكعبة فرمزها الأساسي هو ان يكون الله و.نوره و كتابه وطلب العلم هو مركز حياتك و المعيار الأكبر الذي عليه تقيس كل اهدافك و ترتيباتك. وشعيرة الطواف هي التعبير عن اتخاذك لذلك المركز بلغة الجسد.

...

{يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذّكر إلا أولو الألباب}.

هذه الآية تشهد بأن النبوّة والرسالة لم تنقطع بل أصلها مستمرّ. لأن الحكمة هي النبوّة والرسالة. وبيان ذلك؛ النبوّة هي الخبر، الرسالة هي الأمر، والحكمة هي الجمع بين الخبر والأمر.

وأما كون النبوّة هي الخبر، أي الإخبار عن موجود أو الإخبار عن الوجود، والذي يتم التفاعل معه بالتصديق أو التكذيب فما بين ذلك من شكّ وريب، فهو في مثل قوله تعالى (من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير) وقوله (تنبئهم بما في قلوبهم). ولذلك لا يرد في الكتاب العزيز: أطيعوا النبي. لأن النبي لا يُطاع من حيث هو نبي، لكن يمكن الإيمان به والتصديق بما جاء به.

وأما كون الرسالة هي الأمر، أي الأمر بإيجاد شئ، ففي قوله تعالى {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ}. فالأمر يُطاع ويُعصى.

نعم، يوجد اتصال بين النبوة والرسالة، لكن التمييز بينهما واقع وهو ما ذكرناه.

وأما كون الحكمة في الجمع بين النبوّة والرسالة، فلو نظرنا في الآيات التي وصفها الله بأنها من الحكمة، مثل آيات سورة الإسراء التي قال فيها (ذلك مما أوحى إليك ربّك من الحكمة)، سنجد أن كل آية فيها نبوة وفيها رسالة، أي فيها خبر وفيها أمر، فيها علم وفيها حكم. بل حتى لم ختم قال (ذلك مما أوحى إليك ربّك من الحكمة ولا تدع مع الله إلهاً آخر فتُلقى في جهنّم). فقوله (لا تدع مع الله إلهاً آخر) هو أمر بعدم الشرك أي نهي، أي حكم، أي رسالة. وقوله (فتُلقى في جهنّم) هو خبر وإعلام بحقيقة ونتيجة وجودية ستترتب على مخالفة الأمر السابق بعدم الشرك. وهكذا في بقية الآيات.

ولذلك قال الله (ولما جاء عيسى بالبيّنات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتّقوا الله وأطيعونِ) وقال المسيح أيضاً (مصدّقاً لما بين يدي من التوراة ولأحلّ لكم بعض الذين حُرِّم عليكم). فإذن جاء بالبيّنات، هي النبوّة، التي تبيّن عن الوجود والتبيين إعلام وإخبار. وأما تحليل بعض المحرمات فهو أمر شرعي عملي لأن الحلال والحرام يتعلّق بالعمليات لا العلميات بالخصوص.

قال أهل التفسير في تفسير الحكمة في قوله تعالى {يؤت الحكمة}:-

١-الإصابة في القول والفعل.

٢-المعرفة بالقرءآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدّمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله.

٣-الفقه في القرءآن.

٤-الكتاب والفهم فيه.

٥-ليست بالنبوّة ولكنه القرءآن والعلم والفقه. (قول مجاهد).

٦-العقل في الدين.

٧-العقل.

٨-المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له.

٩-الفهم.

١٠-خشية الله. لقوله "إنما يخشى الله من عباده العلماء".

١١-النبوّة. (الحسن، السدي، أبو العباس بن عطاء).

١٢-الحكم وفصل القضاء.
١٣-ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم المستنبط من الآيات.
١٤-العلم اللدني.
١٥-إشارة لا علّة فيها.
١٦-إشهاد الحق على جميع الأحوال.
١٧-تجريد السرّ لورود الإلهام.
١٨-النور المفرّق بين الإلهام والوسواس.
١٩-التي تشير إلى فضل الله.

٢٠-الحسنة.
٢١-إدراك أنوار بواطن القلوب أسرار عجائب بواطن العيوب.
٢٢-ما حفظته الأرواح من ألواح الملكوت، تلقّف العقول إلهام الأحكام من علل الجبروت.
٢٣-الأدب الرباني لتهذيب الخلق الإنساني.
٢٤-معرفة الأخلاق والاطلاع على غيوب النفس ودقائق الشيطان والعلم بفرق حديث النفس والعدو ولمسة الملك وارشاد العقل وبصيرة القلب دفعه الهام الحق ونطق الروح ورمز السر وانواع خطاب الحق ومعرفة اقتدار الخلق ومداواة حرض الباطن ودفع الوسوسة والمعرفة باحوال الخلق والمقامات ووقائع المكاشفات وانوار المشاهدات وادراك منازل المعرفة ودرجات التوحيد وما يليق بهذه الحقائق مثل معرفة دقائق الرياء وشك النفس والخطرات المذمومة والبلوغ الى علم اللدنى والكرامات والفراسات الخاصة وروية الغيب بالغيب والمحادثة والمخاطبة والمكالمة مع الحق جل اسمه فى اسرار الخلوات وانوار المناجاة ومن يؤتى هذه الدرجات فقد اوتى خلافة الانبياء والرسل ودرجة الملائكة الكرام وهذه منزلة الاعلى من منازل الاولياء ومرتبة العليا من مقامات الاصفياء وهو خير الدنيا والآخرة.
٢٥- صرف الحكمة ادراك مراد الحق من رموز خطابه وامتثال ما ادركه له.
٢٦-زم الجوارح ودفع الخواطر والسكون فى الطوارق وفى الجملة ما تلتفت الروح الناطقة من الحق سبحانه من خصائص الكلام والاشارات الالهية.
٢٧- المعرفة بافعاله فى المصنوعات والآيات.
٢٨-شهود السر على اسرار شواهد الملكوت ورؤية غرائبها.
٢٩-ولوج السر قباب الغيب واطلاعه على خزائن الملكوت برؤية العيان الا بالدلائل والبرهان وتحصيله علوم الربوبية بلا واسطة الشواهد وانشراحه باقتباس انوار القربة وانفساخه بادراك خطاب الخاص واندراجه مرقات الصفات وبسطه فى مشاهدة الذات واذا بلغ السر مدارج الربوبية عرف مراد الحق عز وجل فى مجارى احكامه ورای فى الشواهد صرف الالوهية بنعت جريان القدرة لان الحكمة فى هذه المواطن من بلوغ الروح سر عين الجمع وهو صفة الاتحاد
٣٠- الحكمة من صفة الحق سبحانه الخاصة الذاتية القديمة ولا تدركها الا بشرط الاتحاد واذا اراد الله تعالى ان يهدى عبدا من عباده الى مقام الحكمة البس روحه تلك الصفة حتى تصبر ربانية صمدانية مطلعة على جميع الاشياء ظاهراً وباطنا وتفرست المغيبات وتدرك حقائق الاشياء بتلك الصفة الخاصة وهذه كلها مستفادة من قوله تعالى { وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً } وقال تعالى فى بعض اخباره التى اخبر نبيه عليه السلام لا يزال العبد تقرب الى بالنوافل حتى كنت سمعه الذى يسمع بى

وبصره الذى يبصرنى ولسانه الذى ينطق بى وقلبه الذى يعقل بى فاذا كان جميع وجوده مستغرقا فى روية خالقه فكيف لا يطلع على مكنونات الغيب ومطلعه بنعت صفة الخاص هو الله تعالى.

٣١-أن يحكم عليك خاطر الحق ولا يحكم عليك شهوتك.

٣٢-كنز الله.

٣٣-نور الفطنة.

٣٤-مجمع العلوم كلّها وأصلها السنّة.

٣٥-هي أربعة اشياء العلم والحلم والعقل والمعرفة.

٣٦-الغنى.

٣٧-أشرف الأشياء وأخصّ الصفات لأنها أخصّ صفات الله ولا ينالها إلا من اتّصف بصفات الله.

أقول: فلو تأملت في هذه الأقوال، ستجد أنها جعلت الحكمة أرفع الأشياء والصفات، وأنها جامعة بين العلم بالغيب والشهادة، والعمل بالحسن والصالح والدين، والتخلّق بكل خُلُق حسن والدعوة إليه بلسان الحال والمقال والأفعال. باختصار، هي كل خير علمي وخُلُقي وعملي، كلّه من لدن الله سواء كان بغير واسطة أو بواسطة، وكذلك هو النبوّة والكتب الإلهية. فكل ذلك باق في الأمّة، مستمرّ غير منقطع بإذن الله وفضله وحمده، يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

والقول الوحيد المنقول عن مجاهد الذي ينفي عن كون الحكمة هنا هي النبوّة، يعارضه ما ورد من أقوال ثلاثة غيره على الأقلّ ممن يثبتون أنها النبوّة. بالإضافة لبقية الأقوال التي تشير إلى معاني النبوّة وحقائقها وأسبابها ومظاهرها وآثارها.

والذين قالوا أن الحكمة هي القرءآن، يكون قولهم مؤيداً لما ذكرناه من وحيث أن القرءآن مظهر النبوّة، وكذلك الذين قالوا أن الحكمة هي فهم القرءان فإن هذا يؤيد ما ذهبنا إليه سابقاً من كون فهم القرءآن والسنّة أيضاً تحتاج إلى إيتاء خاصّ من الله تعالى وتنوير حيّ مباشر جديد منه سبحانه. والحمد لله رب العالمين.

...

قال لوط (هذا يوم عصيب). وصف اليوم بأنه (عصيب) وهو وصف كيفي وليس كمّياً, لأن اليوم من حيث هو كمّ قد يُقاس بأنه (24) ساعة تقريباً على اعتبار الساعة بالسرعة الشائعة لتغيّر الثواني وعدد الدقائق, وهذا هو الوصف "الموضوعي" لليوم, لكنه كما ترى مبني على مقياس اعتباطي وغير دقيق. بينما وصف لوط مبني على كيفية اليوم بالنسبة له, أي هي تجربته الذاتية لموضوع اليوم وحقيقته الوجودية.

لماذا قال (يوم عصيب)؟ أي من أين جاءت حقيقة (عصيب)؟ الملائكة جاءوا ليدمّروا قوم لوط. لماذا؟ لأن قوم لوط فسقوا. لماذا؟ لأنهم اتبعوا الشهوات بغير حق. لماذا؟ لأنهم نظروا إلى أبدانهم ككل وجودهم واعتبروا اللذة هي المطلب الأقصى. لماذا؟ لأنهم احتجبوا عن الأمور المتعالية والروح ومعاد النفوس. لماذا؟ لأنهم جهلة. لماذا؟ لأنهم لم يقبلوا نور الله. لماذا؟ لأن استعدادهم يمنعه. لماذا؟ الاستعداد غير مجعول وهو مبني على الأعيان الثابتة الأزلية, فلا يوجد احتمالية هنا لأكثر من تفسير بل هو تفسير واحد إذ علم الله واحد لا يتغيّر والله يخلق بحسب علمه. فإذن وصف اليوم هو نتيجة لسلسلة رأسها

الأعيان الثابتة السرمدية في علم الذات الإلهية, هذا سببها الحقيقي. أما سببها الظاهري فهو عقل وعمل الإنسان.
فأيام الناس على قدر عقولهم ولون أعمالهم. وإن كانت في التأويل الأخير عقولهم بحسب علم ربّهم فيهم. فالزمان عبد الإنسان, لا الإنسان عبد الزمان. "سخّر لكم ما في السموات". ومن هنا قال سيدنا علي عليه السلام "إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان".

قالت: معنى سرمدية؟
قلت :الأزلي ما ليس له بداية زمانية. الأبدي ما ليس له نهاية زمانية. السرمدي هو الأزلي الأبدي في آن واحد. هكذا هو في أحد التعريفات التي يستعملها بعض العرفاء والفلاسفة الإسلاميين.

...

قالت: لماذا النفس أمّارة بالسوء إذا كانت الفطرة من الأساس من عند الله والإنسان فيه من صفات الله لكن بطريقة مقيّدة.
قلت: "إن النفس لأمّارة بالسوء" هذا كلام امرأت العزيز التي أمرتها نفسها بالسوء لأنها كانت جاهلة. هذا ليس كلاماً لله يصف به كل النفوس. فالمقصود النفس الساقطة التي لم تتزك ولم تتطهر.
قالت: فالسوء يأتي للإنسان من الخارج. مثل الشيطان. لكن الإنسان الجاهل يأتيه السوء من نفسه ومن الشيطان.
قلت: نعم. الجهل أساس جذب النفس السوء الخارجي وانبعاث السوء الداخلي. كما قال تعالى عن الذين لا يذكرون الله "ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين"؟ أوّلًا يترك ذكر الرحمن ثم بعد ذلك يقترن به الشيطان, يصير بينهم مثل عقد القران والنكاح, الشيطان هو الذكر والنفس هي الأنثى وتبدأ النفس بتوليد الأوامر السيئة والخواطر الكئيبة والقبيحة.
قالت: إذاً النفس من الأساس غير أمّارة بالسوء فلماذا رفضت ذكر الله وتخلف عنه؟ إذا كان الإنسان جاء الدنيا بالفطرة الإلهية.
قلت: النفس في الأساس لا هي أمّارة بالحسن ولا أمّارة بالسوء. لكنها وسط قابلة للأمرين. كما قال "فألهمها فجورها وتقواها". النفس إذا استمدت قيمها من الروح كانت أمّارة بالحسن. وإذا استمدت من البدن كانت أمّارة بالسوء, لأن البدن أناني, فاني, جبان, ضعيف, وجاهل لأنه ظاهري وحواسه سطحية لا تثقب الوجود وتشاهد أسراره وسننه. الفطرة معناها الروح وشؤونه, ارجعي للمقالة التي كتبتها عن ذلك.

...

قالت: من أسماء يوم القيامة "يوم الدين" لماذا يسمى بيوم الدين؟ دِين وليس دَين.
قلت: لأنه في الآخرة تظهر القيمة الكاملة للدين. لأن كل أعمال الدين ترجع إلى حقائق أخروية وغيبية في النهاية. ففي ذلك اليوم تظهر الحقيقة للجميع.

...

من كفّر المعتزلة فقد باء بالكفر.

...

تمسّك الحداثيون في هذا الزمان بالمعتزلة, زور على زور. ما كان المعتزلة إلا أهل دين وعبادة وورع وتعظيم شديد للقرءان والرسول وشرائع الإسلام.

...
(إحصاء التفاسير: فهرسة للتفاسير الموجودة في موقع التفسير الأردني)
(100هـ-200هـ) تفسير مقاتل بن سليمان, زيد بن علي, سفيان الثوري, المخزومي. (4)
(200-300) التستري, الحبري, الصنعاني. (3)
(300-400) الطبري, السمرقندي, فرات الكوفي, الهواري, الطبراني, الماتريدي, النسائي, ابن أبي زمنين, السجستاني. (9)
(400-500) الماوردي, الثعلبي, السلمي, الفشيري, علي بن إبراهيم القمي, الطوسي, الواحدي, مكي بن أبي طالب. (8)
(500-600) الزمخشري, الطبرسي, البغوي, ابن عطية, ابن الجوزي الأول والثاني. (5)
(600-700) الفخر الرازي, القرطبي, البيضاوي, ابن عبدالسلام, البقلي, ابن عربي/الكاشاني, النجمي, عز الدين الحنبلي. (8)
(700-800) ابن كثير, النسفي, الخازن, أبو حيان, القمي النيسابوري, الحلبي, الغرناطي, الأندلسي, الجيلاني. (9)
(800-900) المحلي-السيوطي, الفيروزآبادي, ابن عرفة, الثعالبي, ابن عادل, البقاعي. (6)
(900-1000) السيوطي, أبو السعود, الأعقم. (3)
(1000-1100) الفيض الكاشاني, صدر المتألهين. (2)
(1100-1200) إسماعيل حقي, البحراني. (2)
(1200-1300) الشوكاني, ابن عجيبة, الألوسي, الصاوي. (4)
(1300-1400) الطباطبائي, الجنابذي, إطفيش الأول والثاني, الخليلي, سيد قطب, ابن عاشور, الشنقيطي, الشعراوي, الطنطاوي, القطان, المنتخب, الجزائري, أسعد حومات, الصابوني الأول والثاني, السعدي, رشيد رضا, جمال الدين القاسمي. (17)
ثم أقول: هذه بعض التفاسير الموجودة للقرءان, مع العلم بأن التفاسير المكتوبة في القرن الأخير أكثر من 17. فلابد من إنشاء إحصائية أوسع وأدق, ووضع كل التفاسير في متناول الدارسين والمتأملين.
وفوائد هذا الإحصاء كثيرة: منها أنك لو درست آية بالتسلسل الزمني لبروز التفاسير ولو تقريباً ستجد مدى اتفاق واختلاف العلماء في فهمها ليس فقط بذكر الاتفاق والاختلاف ولكن بمشاهدة كيف استفاد اللاحق من السابق. ومنها أننا حين نجد فترة برزت فيها الكثير من التفاسير قد نرى في ذلك دلالة على حركة علمية معينة. ومنها مشاهدة جزء من اهتمام المسلمين بالقرءان على اختلاف فرقهم ومشاربهم فيه. ومنها ملاحظة أشد الفرق والمذاهب اعتناء بتفسير القرءان وأقلّها في ذلك ثم البحث عن سبب العناية والإهمال في كل فرقة ودعوة أهلها إلى مزيد عناية به من هذا الوجه. ومنها أهمية هذا الإحصاء في إنشاء الكتاب الجامع لتفسير القرءان والذي دعونا إليه من قبل والذي نجمع فيه كل أقوال العلماء في كل آية وكلمة وحرف فيه ويكون كالبحر الذي تصبّ فيه أنهار التفاسير ماءها.

...
يجوز السؤال والبحث عن حقائق ما في السماء, بدليل (يسألونك عن الأهلة). ويجوز البحث في كيفية إنفاق الأموال وتوزيع الثروات بدليل (يسألونك ماذا ينفقون). ويجوز التدقيق في السياسة وقضايا القتال والتعامل مع الخصوم بدليل (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه). ويجوز السؤال عن اللهو والتسلية والبحث في حيثياتها بدليل (يسألونك عن الخمر والميسر). ويجوز السؤال عن حال الضعاف وكيفية

العناية بهم في المجتمع بدليل (يسألونك عن اليتامى). ويجوز السؤال عن القضايا المتعلقة بالجماع وكيفية الإحسان فيه ويجوز تعليم ذلك بدليل (يسألونك عن المحيض). ويجوز السؤال والبحث في أصول وكليات الفقه والشرائع والقوانين بدليل (يسألونك ماذا أُحلّ لهم). ويجوز السؤال عن الغيب والباطن وما فوق الطبيعة وما وراء الحسيات بدليل (يسألونك عن الساعة). ويجوز النقاش حول كيفية إنفاق الأموال العامة ومصارف الرؤساء والأعمال الخيرية المالية بدليل (يسألونك عن الأنفال). ويجوز السؤال وطلب تعقل الأمور الروحية والقدسية والعلوية بدليل (يسألونك عن الروح). ويجوز السؤال عن المثل العليا والحوادث الماضية والتاريخ ونقد الأمثال التي يتخذها الناس بدليل (يسألونك عن ذي القرنين). ويجوز السؤال عن مصير الأشياء والتدقيق في التناسق المنطقي ومعقولية العقائد الدينية بدليل (يسألونك عن الجبال).

الخلاصة كل ما تحدث عنه القرءان فهو أمر يمكن العلم به بالتالي يجوز طلبه والبحث فيه.

...

(السور التي لها نفس عدد الآيات حسب المصحف)

التي لها 3 آيات, 3 سور (الكوثر والعصر والنصر).

التي لها 4 آيات, 2 سور (الإخلاص وقريش).

التي لها 5 آيات, 4 سور (الفلق والفيل والمسد والقدر).

التي لها 6 آيات, سورتان (الناس والكافرون).

التي لها 7 آيات, سورتان (الماعون والحمد).

التي لها 8 آيات, 5 سور (الشرح والتكاثر والتين والزلزلة والبينة).

التي لها 11 آية, 5 آيات (القارعة والعاديات والضحى والجمعة والمنافقون).

التي لها 12 آية, سورتان (التحريم والطلاق).

التي لها 18 آية, سورتان (التغابن والحجرات),

التي لها 19 آية, 3 سور (العلق والأعلى والانفطار).

التي لها 20 آية, سورتان (البلد والمزمل).

التي لها 22 آية, سورتان (البروج والمجادلة).

التي لها 28 آية, سورتان (نوح والجن).

التي لها 29 آية, 3 سور (التكوير والفتح والحديد).

التي لها 30 آية, 3 سور (الفجر والملك والسجدة).

التي لها 40 آية, سورتان (القيامة والنبأ).

التي لها 45 آية, سورتان (ق وفاطر).

التي لها 52 آية, 3 سور (الحاقة والقلم وإبرهيم).

التي لها 54 آية, سورتان (فصلت وسبأ).

التي لها 60 آية, سورتان (الذاريات والروم).

التي لها 75 آية, سورتان (الزمر والأنفال).

التي لها 78 آية, سورتان (الرحمن الحج).

التي لها 88 آية, سورتان (ص والقصص).

التي لها 111 آية, الإسراء ويوسف).

الحاصل: أن في القرءان المجموعة الأوسع هي ذات السورة الواحدة, ويوجد ذوات الاثنين والثلاثة والأربعة والخمسة, ولا يوجد فوق الخمسة مجموعة, وهذه من العجائب فإن الخمسة كحدّ قد ظهرت مرّة أخرى.
تكملة: ذوات السورة الواحدة من الأقل إلى الأكثر (الهمزة9, الممتحنة 13, الصف 14, الشمس 15, الطارق17, الليل21, الحشر 24,الانشقاق25, الغاشية26, الإنسان30, لقمان34, الأحقاف35, المطففين36, الجاثية37, محمد 38, عبس 42, الرعد 43, المعارج 44, النازعات46, الطور49, المرسلات50, الشورى53, القمر55, المدثر56, الدخان59, النجم62, النور64, العنكبوت69, الأحزاب73, الفرقان77, يس83, غافر85, الزخرف89, النمل93, الواقعة96, مريم98, الحجر99, يونس159, الكهف110, الأنبياء 112, المؤمنون 118, المائدة120, هود123,النحل128, التوبة129, طه135, الأنعام165, النساء176, الصافات182,آل عمران200,الأعراف206,الشعراء227,البقرة286.
جمع: ذوات السورة الواحدة (53), ذوات السورتان (16), ذوات الثلاث سور (5), ذوات الأربع سور (1), ذوات الخمس سور (2).
أعجوبة أخرى: ذوات الأربع سور هي مجموعة واحدة, فهي أقلّ مجموعة وفيها السور التالية (الفلق والفيل والمسد والقدر) أي السور التي لها خمس آيات. فأقل مجموعة فيها عدد آيات يساوي عدد سور أكبر مجموعة أي ذوات الخمس سور.
مشروع: ترتيب سور المصحف بحسب الأقلّ عدد أحرف حتى الأكثر. وكذلك ترتيب آخر يكون بناء على عدد الكلمات. وإن كان الأوثق هو عدد الأحرف إذ قام القرءان على الأحرف. "الم.ذلك الكتاب لا ريب فيه".

...
مشروع: إعادة كتابة كتاب القاضي عبد الجبار رحمه الله "تثبيت دلائل النبوة" وتهذيبه وتجريد حججه وترتيبها بنحو معقول مع حذف كل تطويل وحشو وتخليص الحجّة بعد فهم كل الاعتراضات الواردة عليها وجواب القاضي عنها, ثم تقديمه لجمهور هذا الزمان.
...

بالكلام والسلاح يكون الفلاح. ومن رفع السلاح في وجه غير المعتدي فهو الشقي. وما تقيّدت الأقاويل إلا بالأباطيل.
قال القوم لنبيهم (إنا لنراك فينا ضعيفاً, ولولا رهطك لرجمناك). فالنبي والرسول قد يكون ضعيفاً في الدنيا, وقوّته برهطه لا بنفسه. والرهط إن كانوا بعض الأمّة فهي الجاهلية, وإن كانوا هم كلّ الأمّة فهي الإسلامية ,وتكون كذلك بكون الشريعة هي الحاكمة لا أهواء الحاكمين, وتكون الشريعة مُطلِقة للبيان والتبيين.
...
(الأوّل في القرءان)
ذُكر الأول في 27 موضعاً من كتاب الله.
1-أول بيت وضع للناس للذي ببكّة.
2-أول من أسلم وأول المسلمين, النبي.

3-الخلق الأول, لكل النفوس المنفردة.
4-أول المؤمنين بعدم رؤية الرب جهاراً في وقته, موسى.
5-أول بادئ بالعدوان على المسلمين وقت الرسول, قريش.
6-أول قعود عن الجهاد مع النبي, في المنافقين.
7-أول يوم تأسيس المسجد.
8-دخول المسجد في سورة الإسراء, والوعد الأول.
9-الفاطر الأول للنفوس.
10-أول ملقي في المعركة بين موسى والسحرة.
11-الخلق الأول, للسموات والأرض عموماً.
12-أول العابدين, النبي.
13-أول قوم عيسى.
14-أول الأمم في النار.
15-اسم الله الأول.
16-أول الحشر.
17-النهي عن كون أهل الكتاب أول كافر بما نزل على النبي.
18-الإيمان بالكتاب أول مرة.
19-أول المؤمنين بالله في مصر فرعون وقت موسى, السحرة.
الحاصل: الأول اسم من أسماء الله, وتظهر هذه الأولية في الخلق والنفس والمسلمون وبيوت الله وكتاب الله ومتعلقات بالإيمان بالله ورسل الله والأيام وبداية عمل الشيء الذي له تالٍ.
فكل ما سوى الله, أوّله غير آخره. إلا الله فأوّليته هي عين آخريته في الحقيقة. وكل مظاهر الأولية من الخلق إلى النفس إلى العيد إلى الإيمان إلى كل شيء إنما هي تجليات لاسم الله الأوّل. فلأن الله أوّل توجد أوّليات.
وهذا البيان شاهد قرءاني آخر على تجلي أسماء الله في الموجودات. أسماء الله تفسير الموجودات وعلّتها وسببها ومبدأها وأصلها, أسماء الله هي أوّل كل شيء.
...
قالت: لماذا لا توجد دولة ملحدة اليوم؟
قلت: لأن الإلحاد نفي، وإقامة الدولة إيجاب، والنفي لا يفعل شيئاً ولا يوجب شيئاً. وأما إقامة الدولة على مبادئ مادّية بحتة فإنه يستحيل إقامة مثل هذه الدولة حسب أفكار الملاحدة عادة، وما يتبنونه من أفكار في هذا الباب لا يمكن تبريرها وتفسيرها بناء على أفكارهم وأصولهم. مثلًا يريدون دولة فيها مساواة بين الناس، لكن هذه المساواة مسألة ميتافيزيقية وليس مادية، ولو نظرنا فقط للجانب المادّي في الإنسان والحيواني والطبيعي فيه، كما يُفترض أن ينظر الملحد المعاصر، فإنه يستحيل أن نصل إلى وجود مساواة توجب تلك المساواة في الدولة والتصويت، ولا يوجد سبب مادّي معقول يجعل صوت خبير سياسي عمره تسعين سنة يساوي صوت (أي القوة على الانتخاب) شاب عمره ١٨ سنة لا يكاد يعرف الفرق بين العقل والبصل والغزل. فضلًا عن الفروق الأخرى. وعلى هذا المنوال. بالإضافة لأن إيجاب القيم والقوانين والأخلاق العامّة لابدّ أن تنبعث من مبادئ مشتركة، وهي مبادئ في نهاية المطاف سترجع إلى رؤية وجودية وأفكار فلسفية، بالتالي يستحيل الاتفاق عليها بين العامّة بل لا يوجد تبرير "إلحادي"

لتلك المبادئ والرؤى، ولو أخذنا بالنهاية المنطقية للرؤية الإلحادية فإننا لن نكاد نستطيع إقامة تجمع إنساني معتبر فضلًا عن دولة إقليمية تستطيع العيش في هذا الزمان ومع مثل هذه الأصناف من البشر الموجودة اليوم. الإلحاد جيّد للشغب، وجيّد للسوق من وجه، وليس إلاّ. وأخذ الإلحاد على محمل الجدّ والذهاب به إلى أقصى مداه سينتهي إما بالحروب والدمار وإما بالاستغلال العنصري وإما بالانتحار الجماعي وإما بالفردانية القبيحة المتطرفة والنفاق العامّ، وكلّما انتشر الإلحاد في مكان لابدّ أن تجد هذه الأمور الأربعة بدرجة أو بأخرى. إلا أن من فوائد الإلحاد (الغربي-اليساري تحديداً) للحياة العامّة في بعض الحالات هو فتح المجال لحرية التعبير والنقاش المبني على الفكر، وهذا أمر جيّد دوماً لكنه غير مقتصر على الملاحدة ولا يتفرع بالضرورة عن الإلحاد من حيث هو كذلك.

...

دندنة الغرب (اليسوعي والأحزاب اليمينية تحديداً) ضد الإسلام والمسلمين بأنهم أهل عنف وقتل وبناء على نصوص القرءان والأحاديث، وأن المسلم يريد قتل الكفار وفضيلته في ذلك، هذه الدندنة غير مبنية على الفكر ولا العقل ولا الدين ولا أي شئ من هذا القبيل. كبارهم على الأقلّ يعلمون أن هذا الكلام سخيف جدّاً، فهم يعلمون مدى تحريج الشرع على العنف عموماً والقتل خصوصاً، ويعلمون أن الكثير من غير المسلمين- من "الكفار"-يتواجدون في بلاد المسلمين ومنذ نشأة هذه الملّة وأثناء بسط سيطرتها العالمية تقريباً وقدرتها على فعل ما تشاء برعاياها من مسلمين وغيرهم، ومع ذلك لا هم تعرّضوا للقتل ولا يحزنون، والوهم الذي يشيعونه اليوم وسط الجبناء من شعوبهم بأن "المسلمين جاءوا ليحتلوا أوروبا وأمريكا ويأخذوا أرضنا منّا ويريدون قتلنا وتطبيق الشريعة" (تنبيه: قارن مع قول فرعون "ليخرجكم من أرضكم" لتعلم المصدر العلوي لتلك الأوهام وسلفهم الطالح في هذا الأسلوب الرخيص) هم يعلمون أنه مستحيل حالياً على الأقل وفي المستقبل المنظور والمتوقع-هذا عن الاحتلال (فالقوم جاءوا بفيزا أو هجرة مشروعة حسب معاييركم ! فكيف تقبلونهم ثم تحاربونهم ؟ أهكذا تكون الضيافة الحسنة والمعاملة "الحضارية"). وأما عن إرادة قتلهم، فلماذا يذهب شخص ويعبر المحيطات ليقتل كافراً إن كان الكفار يجاورونه في بلاده ذاتها حيث يستطيع أن يقتله ويتعرض للقتل أو للسجن في بلاده فهو خير له من الغربة (طبعاً نحن نتزّل بعنف الآن لمستواهم السافل في هذا الحوار السريع للوصول إلى ما نريد قوله) ثم لو قمتم بعملية حسابية بسيطة-بما أنكم تحبّون "العلم" الذي هو الأمور الكمّية المحسوبة عندكم بالأخصّ-فستبيّن لكم خلاف ذلك؛ اجمعوا عدد المهاجرين، وعدد الذين تعرّضوا للقتل على أيدي "الإرهابيين"، ثم انظروا النسبة واعتبروا المهاجرين وأهل بلادكم من المواطنين الذين أسلموا مثلهم مثل الغذاء الذي تخافون أن يسممكم، ثم انظروا النسبة وتعاملوا مع إخوانكم في البشرية كما تتعاملون مع الأغذية على أقلّ تقدير، فإن وجدتهم النسبة حتى ١٪ فأنا أقول لكم اطردوهم من بلادكم جميعاً، ولن تجدوا حتى ذلك ولا عشر معشار ذلك. وأما عن تطبيق الشريعة، فالشريعة عبادات ومعاملات، وقسم العبادات منها أنتم تقرّون لكل شخص بحقّه في تلك الممارسة وتقبلون حتى وجود عبدة الشياطين-بزعمهم-حسناً، فاعتبروا المسلمين كعبدة الشياطين إن شئتم واتركوهم وعباداتهم وسلوكياتهم الخاصة وكيفية لباسهم وأكلهم وشؤونهم. وقسم المعاملات، كالبيوع والحدود، فإن بعضها يستطيع المسلم حسب الحدود المرضية في بلادكم أن يقوم بها بناء على أن العقد قانون المتعاقدين ونحو ذلك وينبني الاتفاق على اتفاق الأطراف وأنتم (أقصد الأحزاب اليمينية عموماً) تؤيديون قلّة تدخّل الحكومة في السوق. لكن الحدود وبقية الأمور التي يذكرها الذين يريدون إدخال الفزع في قلوب العوام عندكم ضدّ المسلمين، فالجواب عليها من وجهين باختصار؛ الأول أن الذين يريدون إدخال هذه الحدود الفقهية (وهم بعض

المسلمين هناك لا كلّهم)في القوانين عندكم لا يريدون إدخالها عن طريق عمل انقلاب على الحكومة ولكن يريدون إدخالها بالوسائل المشروعة التي يتم إدخال أي قانون بها حسب دستوركم، فلماذا تؤاخذون من يسلك بالطرق الدستورية المشروعة، ارفضوه وحاربوه بالطرق المشروعة أيضاً كالكلام والمناظرات والتصويت وما شابه وكفى، يوجد في بلادكم آلية مرسومة لكيفية إقرار القوانين وهم يسيرون بناء على تلك الآلية فلا حرج عليهم في ذلك ولو أرادوا إدخال شريعة جنكيز خان لا فقط شريعة القرءآن. الوجه الثاني هو أنكم تغفلون عن القوانين القاسية والعقوبات الشديدة في بلادكم، سواء في الوقت الراهن أم في الماضي. ففي بعض البلاد كان يوجد ولعله إلى الآن يوجد القتل بالكرسي الكهربائي لمرتكبي بعض الجرائم. الكرسي الكهربائي ! الكرسي الكهربائي الذي يشوي دماغ الإنسان وأعضائه الداخلية ! هذا قد قبلتم به أو قبل به أجدادكم من فترة. وكذلك لو نظرتم في العقوبات التي لا زالت تحكم بها محاكمكم ستجدون أنها أشدّ وأعنف من أي شيء تصوّره عقل فقيه قبل ألف سنة في الإسلام. مثلًا، الحكم بدخول السجن لمدة ٢٠ سنة، على شاب حائز على بعض الحشيش، السجن عندكم الذي هو جهنّم المصغّرة أو مؤسسة الاستعباد المعاصرة، فقط من أجل حمل بعض الحشيش. وعلى هذا القياس، ولعل أهل القانون عندكم يمكن أن يزوّدوكم بقائمة الأعمال التي تعتبرونها جرائم تستحقّ العقوبة البدنية والمالية سواء في الحاضر أو الماضي القريب الحداثي كفيلة بتبيين أن البضعة جرائم التي يعتبرها دعاة تطبيق الشريعة الإسلامية-حسب رأيهم-هي قائمة صغيرة جدّاً وشروط تطبيقها صعبة ونادرة والظروف التي تسمح بتطبيقها محددة ومقيدة. فأنتم في خوفكم من الإسلامويين عندكم كالذي يخاف من الذباب وتحيط به الثعابين أو الذئاب. هذه خلاصة خوفهم ووهمهم والردّ عليه. لكن كل ذلك معلوم عند كبارهم وأهل الفكر فيهم. فلماذا مع ذلك يشيعون كراهية المسلمين والخوف منهم؟ الجواب هو التالي: الغرب (البروتستانتي خصوصاً ولو كان ملحداً) يحتاج دائماً إلى شخص أو شيء أو فئة ليعارضه حتى يستطيع توحيد الناس خلفه. مثل العبيد؛ دائماً يفكّر بردّة الفعل، لا الفعل. مثل الجهلة؛ لا يملك مبادئ توحّد بالعقل لكن يملك مخاوف بدنية تُجمّع. في أمريكا الشمالية مثلًا، كان عدوّهم هو الهنود الحمر من السكان الأصليين لتلك الأراضي. وبالرغم من كل الفرق والفروق بين المهاجرين البيض لتلك الأراضي، فإنهم استطاعوا تجميع أنفسهم ومحاربة السكان الأصليين "المتوحشين" و "الوثنيين". ثم قضوا عليهم وسيطروا على البقية الباقية منهم سيطرة محكمة. بعد ذلك، توحّدوا لمحاربة البريطانيين، "الدكتاتور" وجنوده "أصحاب المعاطف الحمراء". وقاتلوهم مثل أي عصابة وميليشيا "همجية" يمكن أن تفعل اليوم (وتذمّ أمريكا المليشيات اليوم بالمناسبة). وانتصروا عليهم، و "تحرروا" وأقاموا الحكومة الفيدرالية. ثم هدأت الأوضاع قليلًا، وإن كانت تشتعل تحت السطح، ولم يكن يوجد عدوّ خارجي، ماذا نفعل؟ لابدّ من توفير عدوّ من الخارج؟ ماذا؟ لا يوجد؟ حسناً، لنحارب بعضنا البعض ! واشتعلت الحرب الأهلية عندهم بين الشمال والجنوب وقُتَل مئات الآلاف منهم في تلك الأيام التي كان معدّل موت الرجال عادة في الخمسينات من عمرهم، فضلًا عن كون أسلحة القتال ليست الصواريخ الكيماوية كاليوم لكنها كان عموماً ببنادق صعبة إعادة الحشو بالرصاص وبالسيوف والخناجر، وخاضوا في دماء بعضهم حتى تقيأت الأرض من شدّة شربها لها. انتصر الشمال، ثبت توحيد الولايات، وتم "تحرير العبيد" (نعم، هكذا الأمريكان يحتاجون دائماً لعذر مهما كان كاذباً وشكلياً لجلب شيء من الراحة لضمائرهم بعد خوضهم في دماء الناس). حسناً، والآن ماذا سيفعلون؟ من سيحاربون؟ من العدوّ الجديد؟ لا شيء جادّ حتى وصلنا إلى الحرب "العالمية" الأولى، ففعلت الحكومة الأفاعيل لإقناع أو إسكات كل مخالف لفكرة الحرب والتجنيد الإجباري

في حينها، وداسوا على حقّ التعبير المكفول بالبند الأول للدستور، وداسوا على التعديل الرابع عشر من الدستور الذي يمنع التشغيل الإجباري إلا للمجرمين المدانين وبعد محاكمة عادلة، وسجنوا بعض الدعاة لرفض الحرب وحصلت حملات تشويه لسمعتهم، حتى دخلوا الحرب، وانتصروا. ثم بعد ذلك بدأ الدبّ الروسي الشيوعي بالبروز، والذي كان جائزة كبرى للحكومة الأمريكية لأنه عدوّ كبير وقوي ويبدو أنه لن يموت عاجلًا، وازدادت المكافئة حين برز هتلر في ألمانيا، وهكذا اشتغل الأمريكان أحسن اشتغال وجمع الصفوف من أجل "الحرب العظيمة" حتى دخلوا في الحرب العالمية الثانية، وانتصروا. وبعدها خرجت أمريكا كأقوى دولة في الأرض. فهل بعد أن تكون أقوى دولة وتملك أسلحة نووية ولا يحاسبك أحد حتى على إلقائها على المساكين و المدنيين في اليابان فقط من أجل استعراض عضلاتك أمام الروس وأمام العالَم ولعله أيضاً من أجل تجربتها على بشر حقيقيين ورؤية آثارها القريبة والبعيدة المدى، هل بعد ذلك ذلك لا يزال عندك "عدو" و "بعبع" تستطيع استعماله لإرهاب شعبك وتوحيد صفوفهم حول أي شئ تريده منه؟ نعم يوجد، الروس! وما أدراك ما الروس. الخطر الأحمر، الخطر الأكبر، الوحش الكبير، ذو الجمّ الغفير. وبدأ ما يُعرَف بالحرب "الباردة"، وحرارتها تذيب النفوس. وأنوا ع من الهستريا ضد الشيوعيين انتشرت في أمريكا.....(فاصل إعلاني: خلال كل قصّتنا هذه، لم يكن المسلم في أمريكا أو في كندا أو في بريطانيا أو في فرنسا، يساوي شيئاً يذكر، وكان القرءآن معروفاً وكل شئ معلوماً، ولم يكن يوجد خطر إسلامي ناشئ من القرءآن والسنة بعد، ولا أن القرءان بذاته يقتضي ذبح المسلمون للكفار، ولا شئ من هذا الهراء الذي استنتسخوه من تجربتهم مع الشيوعية تحديداً). فالشيوعي عدو للحضارة، عدو للإنسانية، عدو لكل ما هو جميل، بيئته قاتمة، سوداء، قبيحة، الناس جيا ع، حقوق الإنسان مهدورة، كل ما هو سلبي قائم في الشيوعية (على الطريقة اليسوعية عموماً: الله روح نور والطبيعة شيطان وظلام، من لم يكن معي في ضدّي ويضادّ كل ما أنا عليه، حدود مطلقة، مجوسية ومزدكية معاصرة). فالرأسمالية هي النور التام، والشيوعية هي الظلام التام. انتبهوا من الشيوعيين، حتى لو كانوا من المواطنين فهؤلاء خونة، وانتهبوا من المهاجرين الشيوعيين فهم جواسيس يريدون تحويل بلادنا إلى الشيوعية والسيطرة على مراكز القوّة والسياسة وفرض الأجندا (الشريعة) الشيوعية علينا، وكتابهم المقدس الذي هو البيان الشيوعي لنبيهم كارس ماركس يأمرهم بكل ذلك وهم يطبقونه حرفياً كأتبا ع مخلصين (وكأن كل شيوعي كمبيوتر والبيان الشيوعي هو ماكروسوفت ويندوز القديم، تحميل كامل وتفيذ مطلق بسلبية تامة). وعلى هذا النمط استمرت الحرب "الباردة" بين الفريقين، حتى كادت تصل إلى حرب بالصواريخ النووية الحارّة جدّاً على أيام جون كندي المقتول. وبعد ذلك في بداية التسعينات انتهى الخطر الشيوعي الجدّي. حسناً، من العدوّ الجديد؟ لم يبق أحد، إلا المسلمين! خصوصاً لأن الأمريكان كانوا يريدون البترول في منطقتنا، وهذه منفعة جديدة، لكن القضية ليست فقط قضية بترول، لكنها قضية توحيد الصفوف وإرهاب شعوبهم بأكبر قدر ممكن من التوحيد والإرهاب. لكن لا يوجد شئ جدّي يجعل الأمريكان يرتعبون من المسلمين، والغرب عموماً. فإلى تلك الفترة، لم يكن المعروف عن المسلمين عموماً وعن العرب خصوصاً إلا أن المسلمين يتبعون ديناً باطلًا جاء به نبي شهواني دموي، وأن العرب يعيشون في الصحراء ويشربون البترول مع التمر. لا يوجد شئ مرعب حيال مجموعة من الناس الذين يتبعون ديناً باطلًا ونسخة محرّفة من ديننا-حسب زعمهم، ولا شئ مخيف في سيوف البدو أمام صواريخنا. هنا بدأ تصوير إيران الخميني و عراق صدّام حسين بأنه عدوّ لدود وعظيم ومخيف، في بداية التسعينات، لكن الهزيمة السريعة الميسرة في حرب الخليج الأولى للعراق وانزواء إيران كانت

كافية لإضعاف ذلك التأثير. الشعب يريد شيئاً "ملموساً" ومباشراً. ولا يوجد شئ ملموس أفضل من تفجير القنابل وإدخال طائرتين في مبنى التجارة العالمي في نيويرك. فسواء كان ذلك الأمر مدبّراً أو مصادفة أو كان معلوماً أنه سيحدث ولم تتخذ الإدارة الأمريكية شيئاً لأنها تريده أو لأنها جاهلة مستهترة أو أي نظرية أخرى تريد اتخاذها، لكن الشئ الوحيد المعلوم هو أن هذه الهجمة (وأخواتها الصغيرات في أوربا على مر السنين بعد ذلك) مع التضخيم الإعلامي الرهيب لكل ذلك، حتى أنه ليُخيّل لك بأن صاروخين نووين كالذين أنزلهما الأمريكان على هيروشيما وناغازاكي في اليابان وقتلا مئات الآلاف من الناس مع بقية الآثار المدمرة اللعينة إلى يومنا هذا لآثار الإشعاع النوي المسببة للتشوهات الجنينية، قد نزلا على نيويورك، لا مقتل ثلاثة آلاف شخص تقريباً في حادثة لا تساوي شيئاً مقارنة بما أنزله الأمريكان بالعراقيين في حرب الخليج الأولى ولا في فيتنام ولا في أي من حروبهم السابقة واللاحقة. ثم ما حدث في بريطانيا أو فرنسا أو سبانيا من حوادث متفرقة وضغيرة نسبياً، ولا تساوي شيئاً بالقياس إلى ما أوقعه غير هؤلاء الإسلامويين المتأسلمين بنفس تلك البلاد من أهل تلك البلاد. كل هذا لا يهمّ. المهم هو هذا: تم خلق عدو جديد للغرب كلّه! بعبع جديد يحوم في سماء الغرب. شبح ماركس بعد أن وضعوا القرءآن في يده. وهذه المرّة العدوّ يمكن مدّ العداوة معه إلى ما لا نهاية. لأنه ليس مكوّناً من قبائل متفرقة تعيش حياة بدائية كالهنود الحمر وتميل للمسالمة ولو على حساب كرامتها وحياتها مثلهم. ولا العدو الجديد مستعمر أو طاغية مباشر يحكم الغرب ويريدون التخلّص منه، بل هم الذين يمدّون بلاده بالسلاح ويشترون منه البترول وغيره ويبيعون منتجاتهم في أسواقه ويستقبلون أولادهم للدراسة في جامعاتهم، يعني علاقة حبّ يُراد لها أن تظهر بصورة علاقة حرب، وهذه تحتاج إلى بروفيسورية في التسويق، لأنك يجب أن تكذب عينك وأذنك وتغلق دماغك وتعتقد بما يضاد كل الشهادات الحسية والعقلية من أجل أن تقتنع بأن بين حكومتك الغربية وبلادك وبين البلاد "الإسلامية"توجد عداوة حقيقية أو خلاف يستحق أن يُسمّى "عداوة" ويجب أن تخشاه وتأخذ حذرك منه بالنحو التعصبي والعنصري الذي يريده بعض الناس في بلادك. لكن ما المانع، نغلق أعيننا ونصدق بإيمان خالص ! نعتقد بالشئ ونقيضه، ما المانع، ومن قال أن العقل يحكم بشئ أصلًا، والمعرفة نسبية على كل حال والمهم ما تشعر به. وهكذا تستمر رواية الغرب البروتستانتي الذي لا يكفّ عن العقدة البروتستانتية حتى حين يلحد ويتعلمن، لابد من وجود شئ يمارسون المعرضة ضدّه، اسمهم نفسه يدلّ على المعارضة. ولا تقل "لكن فرنسا واسبانيا الكاثوليكية غالبا أو العلمانية أيضاً فعلت نفس الشئ وخرج فيها أعداء للإسلام كما في أمريكا وبريطانيا" وجواب اعتراضك يكمن في اعتراضك. والمفتاح كلمة (كما). ففرنسا واسبانيا وبقية البلاد غير البروتستانتية الجمهور والأصول تابعة للبلاد القوية التي لها أصول بروتستانتية. ومهما كان، ستجد أن حدّة معارضة الإسلام والمسلمين في أمريكا مثلا أكثر من فرنسا دائماً. السياسة واحدة حتى لو لم تكن بروتستانياً وخلاصتها هي التالي: قد قمنا بنسف كل ما يوحّد بين الناس من الأعلى فلا يبقى إلا أن نحاول توحيدهم من الأسفل، أي من خلال تخويفهم بشئ ما سيتعرض لأبدانهم وأهلهم بالأخصّ. والرواية الواقعية تقف اليوم عند حدّ عداوة الغرب للمسلمين. لكن لا يخفى أن هذه العداوة تحمل تناقضاً قويّاً في ذاتها. لأنها كما قلنا في علاقة الغرب بالمسلمين توجد جميع أمارات الحبّ، يوجد قبول للمواطنين أي لا يوجد سياسة حكومية رسمية لاضطهاد المسلمين كما كان عند الألمان أو الأوروبيين عموماً ضد اليهود مثلًا رسمياً أو عرفياً، كما يوجد قبول للمهاجرين من البلاد المسلمة ولهجرة المسلمين تحديداً، يوجد في أمريكا وحدها أكثر من ١٥ عشر ألف مسجد،

المذاهب المسلمة كلها حاضرة في الغرب الأوروبي والكندي والأمريكي، الطرق الصوفية منتشرة، المسلمون يجتمعون وينشرون ويدعون في الشوارع وفي المؤتمرات العامة التي قد يجتمع فيها الآلاف. يوجد من المسلمين أو الأصول العربية من يشغل مناصب عامّة ومهمة في الحكومات والمؤسسات والشركات. ومع كل هذا الحبّ، يدقّ بعض الناس طبول الحرب. ولا يفهم أولئك المرضى أن ما يفعلونه أخطر من كل ما يتوهمونه. لأن المسلمين قد تغلغلوا في كل مكان، وكيف تعادي فئة قد تغلغلت في كل مكان، يجب أن يكون ظهرك إلى الجدار حتى تقاتل بأمان مَن يهجم عليك من أمامك، أما أن تسند ظهرك على رجل وتضع في يده سكيناً ثم تشتمه وتعلن الحرب عليه، فأنت تعلن غبائك أولًا وثانياً نهايتك!

...

ما شيّب رسول الله قوله تعالى من سورة هود "أقم الصلاة طرفي النهار". لكن شيّبته الآية التي قبلها "فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا". قدّم الله ذكر عدم الطغيان وعدم الركون للذين ظلموا, على ذكر إقامة الصلاة. فعدم الطغيان هو أن لا نرتكب الطغيان, وعدم الركون للذين ظلموا هو أن لا نركن للذين يرتكبونه, أي لا نبيح لأنفسنا الظلم ولا نستريح للظلمة. بعد ذلك تستطيع أن تقيم الصلاة حقّ الإقامة. الذي قام به عموم الأمراء على مرّ التاريخ هو مخالفة قوله تعالى "لا تطغوا". والذي قام به عموم الفقهاء على مرّ التاريخ هو مخالفة قوله تعالى "ولا تركنوا إلى الذين ظلموا". وعلى علماء هذا الزمان أن يجمعوا بين العدل في الإمارة والإخلاص للفقاهة, وأن يضعوا الترتيبات اللازمة والأحكام الموجبة لعدم الطغيان وعدم الركون للذين ظلموا حتى لا تمسّنا نار الدنيا قبل نار الآخرة ويُسلّط علينا العذاب ومن ورائه الحجاب.

...

قال النبي صلى الله عليه وسلم "الفتنة من هاهنا" وأشار بيده نحو المشرق.

نقول: يختلف القوم في تحديد معنى هذه الإشارة النبوية, فالبعض يفهم أن المقصود هم الخوارج الذين خرجوا بالعراق أيام علي عليه السلام على أساس أن العراق في المشرق. والبعض يفهم أن المقصود هم الخوارج المعاصرين أي الوهابية ودعاة السلفية الذي خرجوا من نجد على أساس أن نجد في المشرق. والبعض يجمع بينهما. وكل ذلك عندنا غير سليم على هذه الصورة, لسببين.

الأول أن المشرق الجغرافي ليس سبباً ولا ظرفاً ضرورياً لنشوء الفكر الخارجي. بل قد ينشأ من أي بقعة جغرافية ولا تلازم بينهما. وقد نرى أن الخوارج يخرجون بالمغرب الجغرافي بدلًا من المشرق.

الثاني وهو الأهمّ, ما كان النبي لينبهنا على فتنة خطيرة قيل فيها ما قيل بمجرّد الإشارة إلى بقعة جغرافية, أو وضع إشارة مبهمة جدّاً.

وبناء على ذلك, سألت الله تعالى معنى هذا الحديث فألقى في خاطري ما يلي: المقصود "المشرق"! أي الشمس حين تشرق. بمعنى أن الفتنة هي شروق الشمس وذلك لأن أكبر فتنة وأساس الفتن ورأس الخطايا هي الدنيا وحبّها وزينتها واللعب واللهو فيها والتفاخر بصورها وهيئاتها وأموالها. وكل ذلك راجع إلى ظهور صور الدنيا للعين في الأصل. وسبب هذا الظهور هو الشمس التي تشرق من المشرق. فأشار النبي إلى أساس كل الفتن بأن أشار نحو مشرق الشمس واكتفى بهذه الإشارة ليبيّن أصل الفتنة فقال "الفتنة من هاهنا" فالذي يبرز "من ها هنا" ما هو إلا الشمس عينها. فالإشارة واضحة غير مبهمة, والدلالة عميقة وتامّة. وهذا المعنى مأخوذ أيضاً من قصة ملكة سبأ وعبادة الشمس التي هي عبادة الحسّ. في الليل وحين يكون الناس في بحر الظلام التام الطبيعي, لا تظهر الفروق الدنيوية بين

الناس عموماً حسب الصور التي هي العمدة في التمييز. وتبدأ الفتن والمفاتن بشروق الشمس. "الفتنة من هاهنا".

وعلى ذلك, لو تأملنا في مفهوم الخوارج سنجد أنه راجع إلى حبّ الدنيا, أي الحب الذي يعمي عن الآخرة لا الحبّ الذي هو مظهر من مظاهر الآخرة والتجليات الأسمائية. فنرى في بعض الروايات أن السبب الذي دعا ذلك الخارجي ليتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لم يعدل في قسمة الغنائم كان لأنه تعرّض للرسول ليعطيه من الأموال فلما لم يعطه شيئاً قال ما قال, أي غطّى رغبته في المال مثله مثل أي محبّ للدنيا وراغب فيها بمظاهر التقوى وحب العدل وإرادة وجه الله.هو طلب الدنيا بالدين, هذه خلاصة الخوارج الذين تحدّث عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولذلك, من ثبت زهده وتديّنه وسلامة يده من دماء الأبرياء, لا يصحّ اتهامه بأنه من الخوارج مطلقاً. ولكل إنسان حظّ من الخوارج بقدر اتصافه بصفاتهم التي شرحها النبي صلى الله عليه وسلم.

...

"ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل". هي رؤيا أراها الله نبيّه عليه السلام. وتأويلها في النبي والأمة هي ردّ كيد خصومها عنها, وليس فيها ردّ كيد خصومها منها عنها.

...

إن كان لموسى توراة في الأرض، فهي التوراة التي يتكلّم عنها ومنها وبها علماء الزوهار العظام رضي الله عنهم وأرضاهم. لا يجمع الملل إلا صفوة الأمم، وعلماء الزوهار الشريف هم صفوة الملّة العبرانية.

...

أرسل لي أحد الأصحاب صورة من حزب البحر وفيها "روي عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه". ثم قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. سألني أحدهم: كيف نقول لشخص أو عالِم بعد ذكر اسمه "رضي الله عنه" كما نقوله بعد ذكر أسماء الصحابة رضوان الله عليهم، هل يجوز ذلك؟ وكيف نعرف أن الله قد رضي عن هذا الشخص أو العالِم حتى نقول "رضي الله عنه"؟

قلت: العامّة يدعون والخاصّة يعلمون.

يعني العامّة الذين لا صلة مباشرة لهم بالغيب، هؤلاء حين يقولون "رضي الله عنه" فإن قصدهم هو الدعاء له بأن يرضى الله عليه. كما تقول في الميت "رحمه الله". فهل أنت تعلم أن الله رحمه، وما أدراك لعله رجمه. أنت بقولك "رحمه الله" تدعو له بالرحمة وليست تخبر عن الله بأنه رحمه.

الخاصة على فريقين: أهل النظر وأهل المكاشفة.

أهل النظر، ينظرون في أسباب رضى الله التي أخبرنا عنها في كتابه وعلى لسان رسوله، فيفهمون هذه الأسباب. ثم ينظرون في الأشخاص فيطبقون عليهم تلك المعايير. فمن وجدوها فيه حكموا له بأن الله راض عنه. هذا إخبار عن الله بوسيلة كلام الله فهماً وتطبيقاً. كما أننا حين نجد شخصاً يقتل مؤمناً عمداً ونطبق عليه قوله تعالى في القاتل العمد، نحكم بأنه ملعون. أو نجد شخصاً يحكم بغير ما أنزل الله عناداً فنحكم عليه بناء على الآيات القرءآنية أنه من الظالمين والكافرين. كما في السلبيات كذلك في الإيجابيات. فحين نجد آيات الرضوان منطبقة على شخص ننزلها عليه ونحكم برضوان الله عليه. لكن بعض الناس يحسن تنزيل السلبيات ويستغرب وينكر تنزيل الإيجابيات. "قل كلٌ يعمل على شاكلته".

أما أهل المكاشفة، فيلقي الله في قلوبهم ذلك العلم. وهم من المؤمنين حقاً الذين ينظرون بنور الله.

تكملة:

مثلًا قال تعالى في سورة المائدة {هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم، لهم جنّات تجري من تحتها الآنهار خالدين فيها أبداً، رضي الله عنهم ورضوا عنه}. فالله يرضى عن الصادقين. فكل من ظهرت عليه أمارات الصدق فهو داخل فيهم عندنا. ومن تلك الأمارات ما بيّنه تعالى في سورة التوبة {والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه}. والسبق شرحه رسول الله فقال {سبق المفرّدون} وهم أهل ذكر الله. والأولية من مظاهرها لزوم الصفّ الأول في الصلاة. والمهاجر قال النبي أنه "من هجر السوء". والأنصار هو "من نصر الله ورسوله ودينه". وهكذا نعلم من اتبعهم بكون أخذ عندهم بالسند أو بالتخلق بأخلاقهم وفهم علومهم. فمن وجدنا فيه الصدق وذكر الله والجهاد والعلم والدعوة والورع وأهل الولاية كما في آية حزب الله، كلها أو بعضها، بدرجة أو بأخرى، جاز أن نقول فيه رضي الله عنه وأرضاه. فكما أنك تأخذ هذه الآية وتطبّقها على أشخاص لم يذكرهم الله بأسمائهم لكنك تعتبر أن وصف مهاجر وأنصاري ينطبق عليهم، فكذلك نحن من باب أولى وبدلالة حقيقة هذه الكلمات لا فقط صورتها ننظر أين تنطبق هذه الأوصاف ونحكم بالرضا لأصحابها ونؤمن به لهم وندعو لهم به،

...

قال: لماذا يذكر علماء التفسير فضائل السورة قبل الشروع في تفسير السورة بينما تذكر أنت أن الأنسب ذكر فضائل السورة بعد الفراغ من تفسيرها؟

قلت: إن كانت الغاية هي إثارة الرغبة, فلنذكر فضيلة السورة في البداية. إن كانت الغاية هي إفادة المعرفة, فلنذكر فضيلة السورة في النهاية. قبل الشروع في الدراسة نحتاج إلى الرغبة, فبعض الناس تكفيه الرغبة العامّة في القرءان, وبعض الناس يحتاج إلى الرغبة الخاصة في كل سورة من سور القرءان. فحين كنّا ممن تكفيه الرغبة العامّة في القرءان وممن يطلب إفادة المعرفة كأصل عام, دعونا إلى ذكر فضيلة السورة في النهاية لأن المعاني الواردة في أحاديث الفضائل لن تتبيّن لك إلا بعد فهم السورة أو فهم شيء منها أو ستضطر لشرح معاني الفضيلة أن تشرح السورة وهذا شروع في التفسير الذي يُفتَرض أنه مرحلة لاحقة على ذكر الفضيلة. الكل خير, لكننا ذكرنا الأعلى. ومسلك أهل التفسير من قبلنا هو الأعلى إذا أخذناه على أنه إعطاء لمفاتيح السورة في بدايتها, أي لو درسنا حديث الفضيلة سنجد فيه بعض أهم مفاتيح السورة ذاتها فكأنها مقدّمة مجملة لدراسة السورة, ومن هذا الوجه هي جامعة بين إثارة الرغبة وإفادة المعرفة فيكون مسلكهم أشرف مما دعونا إليه ويكون ما دعونا إليه داخلاً في مسلكهم ولله الحمد. الخلاصة التي نريدها هي أن نأخذ أحاديث فضائل السور على محمل الجدّ, وعلى أنها تفيد علماً لا أنها موضوعة لمجرد إثارة الرغبة والشهوة للسورة.

...

خير الناس المعتزلة: تأخذون منهم الفكر والحرية والدين والعربية.

...

قال: كيف تدعو إلى حرية التعبير المطلقة ويوجد أناس يدعون الآخرين للعنف والإرهاب وارتكاب الجريمة بواسطة الكلام؟

قلت: هل يدعون لذلك في العلن أم في السرّ بحيث لا تصل إليهم آذان السلطة؟

قال: بالتأكيد يدعون في العلن, إذ لو كان في السرّ فلا يهمّ وجود حرية تعبير أم لا.

قلت: هل هم أقلّية أم أكثرية في البلاد؟

قال: هم أقلية.

قلت: هل تقييد الحرية التعبير سيحول بين هؤلاء وبين دعواتهم للعنف وإيصالها لأشباههم؟
قال: لا يحول بينهم وبينها ولكن سيقيد انتشارها.
قلت: إذن لا يجوز نقض حق الأكثرية وانتقاصه من أجل الأقلية الشاذة. ثم بما أنهم يدعون لذلك في العلن ويصل كلامهم للسلطة, فتستطيع السلطة أن تعيّن الرقباء وتدخل الجواسيس للتأكد من عدم تحوّل تلك الأقوال إلى أفعال والقبض عليهم في أوّل جرم يرتكبونه. وبما أن تقييد حريتهم في التبيين لن يحول بينهم وبين نشر دعواتهم بل سيؤدي إلى تعزيز قيمتها بين أشباههم وأنهم مظلومون مضطهدون, فلا داع للتقييد من هذا الوجه. الخلاصة هي أن نترك من يريد أن يقول ليقول ما يشاء وإذا كان أحدهم يدعو إلى ارتكاب جريمة فأقصى ما يحق للسلطة العادلة فعله هو تعيين رقيب ليتابعهم وأن توضع عليهم علامة حمراء للحذر منهم. وهذا عين الإنصاف لكل الأصناف.

...

في بعض البلاد, مثل بلادنا هذه: تجرّع مرارة الظلم وضياع الحقوق أهون من تجرّع مرارة والدخول في كآبة طلب الحقوق بواسطة القضاء. لعنة الله على من ظلمهم فسيح وعدلهم قبيح.

...

ظاهرة شائعة في كلام الصحابة أنهم ينادون بعضهم بأسمائهم, ويتكلمون حتى عن أبائهم بأسمائهم المجردة. فتجد عبد الله بن عمر مثلًا يقول عادة "قال عمر" و "فعل عمر" وليس: قال أبي وفعل أبي. وكذلك عائشة تقول "قال أبو بكر" و "فعل أبو بكر" وليس: قال والدي وفعل والدي. لماذا؟ لأنهم كانوا يشهدون كل الكمالات لله ويتقون من نسبتها للعبد عادة وإن كانوا يرونها فيه لكنهم يجعلون العبودية ظاهرة والربوبية باطنة. وكذلك لأنهم كانوا يشهدون فرديتهم المطلقة, فلا يخاطبون غيرهم من حيث أن لهم بهم صلة ظاهرية, بل من حيث استقلاليتهم الفردية النفسية الروحية بناء على كونهم يحيون الآخرة اليوم "لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرّة".

...

ظاهرة شائعة في تاريخ علماء المسلمين: الجمع بين الفقر وبين حيازة أدوات الكتابة والكتب. وهذا أمر عجيب لا أعرف له نظيراً. كثيراً ما نقرأ عن عالم ليس في بيته قوت يومه ومع ذلك تجده يؤلف الكتب ويقرأ من كتب يملكها. توفير آلة الكتابة أمر شائع في الأمة في الماضي, حتى مع عدم توفر المعيشة الميسرة لهم. فكأن آلة المعرفة كان أرخص من المعيشة ! أي تعظيم للعلم وشؤونه هذا !

...

قال لي أحد الزملاء يوماً: لماذا لا تتكلم ولا نكاد نسمع صوتك؟
قلت: حين تمشي في الشارع ترى التراب ملقى في الكثير من الأمكنة صحيح؟
قال: نعم.
قلت: هل رأيت مرة الذهب ملقى في كل مكان؟
قال: لا.
قلت: فذاك.

...

وحي الله للمخلوقات ما دون الملائكة حكم، ووحيه للإنسان حكم وعلم. ففضّل الإنسان كالملائكة بالعلم، وفضله على الملائكة إنما كان بعلم فاضل. فالعلم أساس الفضل مطلقاً.

فمن وحيه تعالى للسماء والأرض {ائتيا طوعاً أو كرهاً} وليس إلا حكم وأمر ليس فيه تعليل ولا تسبيب ولا تفهيم لغاية أو مقصد أو حكمة. وكذلك ما ورد في قصّة نوح {يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي} وليس فيه تسبيب ذلك مطلقاً.

ومن وحيه تعالى للنحل {إذ أوحى ربّك إلى النحل أن اتّخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون فاسلكي سبل ربّك ذللا}. وليس إلا الأمر والحكم كذلك، أمر باتخاذ وأمر بالسلوك.

ومن وحيه تعالى للنار {كوني برداً وسلاماً على إبرهيم}. وهو حكم مجرّد ليس فيه ذكر لسبب الكينونة كذلك على هذاالرجل تحديداً.

وهذا كلّه في قوله تعالى {ومن ءاياته أن تقوم السماء والأرض بأمره}. فهو يأمر وهي تسلم وتطيع.

أما وحيه سبحانه للإنسان فليس كذلك. بل يمزج بين الحكم والعلم والتفهيم والتسبيب والتعليل. ولذلك كل من يسعى لجعل الإنسان مجرّد مسلم لأمر الله وليس عالم بسبب الله فهو كافر بالله كافر بالإنسان كافر بالقرءآن. والذين يزعمون أن ليس لله علّة في أحكامه، ولا مقصد في أوامره، هؤلاء رؤوس الكفرة وأئمة الضلال، وهم الذين يسعون لجعل الناس أنعاماً وبهائماً في حظائرها. ثم بعد ما يقررون تلك المعاني الباطلة ويحرفون كلام الله ورسوله، ويعتاد العامة على عدم التعقل والفهم فتضمر عقولهم، يبدأ القوم أنفسهم بالصياح من جهل العوام أو يسخرون منهم بأنهم كالأنعام. جعلوهم على شاكلة ثم يذمّونهم بها. ألا ساء ما يزرون.

...

ذكر الشيخ محيي الدين في كتابه عن الأسماء الحسنى عن اسم العلي جل جلاله، في التعلّق {افتقارك إليه في تحصيل درجة في القربة منه ليس فوقها درجة ينالها سواك}. كيف نصل إلى درجة لا ينالها سوانا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أن أعلى درجة في الجنّة وهي الوسيلة لا تنبغي إلا لعبد واحد ويرجو أن يكون هو وطلب منّا أن ندعو له ليكون صاحب تلك الدرجة. فكيف ذكر الشيخ ابن عربي ذلك؟

الجواب من وجهين:

الوجه الأوّل الأعلى أن النبي في الحقيقة ليس {سواك}. لأن النبي نبي بنور الله الواحد. ونور الله الذي في النبي وفاض على المؤمنين هو نور واحد، بالتالي ما يناله النبي من درجة ونعيم يشعر كل مؤمن كأنه هو الذي نال تلك الدرجة والنعيم، بسبب وحدة النور وبسبب حب النبي صلى الله عليه وسلم. السوى يعني الغيرية، والغيرية تباين الحقائق، فحيث تكون الحقيقة واحدة لا سوى، ولأن حقيقة النور واحدة في النبي وفي المؤمنين كما قال تعالى {يوم يقول النبي ولذين ءامنوا معه ربّنا أتمم لنا نورنا} فهي دعوة واحدة على قلب واحد لنور واحد جامع متوحد، فالآية لم تقل على لسان النبي مثلًا: أتمم لي نوري ونور الذين ءامنوا معي. فيفصل بين النورين ولو بنحو من الفصل. بل جاءت متوحدة {أتمم لنا نورنا}.

الوجه الثاني أن الشبع يُعمي عن السوى. حين يصل الإنسان لأعلى درجة تحتملها ذاته، ويمتلئ وادي استعداده بماء السماء كما قال تعالى "أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها"، فإنه لا يبالي ولا يشعر ولا يلتفت ولا يحقد ولا يحسد ولا ينظر إلى ما في الوديان الأخرى. مثل ذلك مثل الجائع، هو جائع لأن معدته فارغة، فلو خرج ورأي الطعام في أيدي الناس قد تمتد عينه إليه ويطلب ذلك ولعله يحسدهم أو يحقد عليهم إن كانت نفسه خبيثة أو تخابث مع طول الحرمان. وقد تكون معدته صغيرة وتكتفي بعشر تمرات، لكن بسبب الجوع والكفر المصاحب له فإنه قد يرى في يد غيره مائة تمرة فيطلب المائة تمرة، هو في الحقيقة لا يريد المائة هو يريد العشرة، لكنه يريد حقيقة المائة لا صورتها، حقيقة

المائة التي تعني الشبع التام بالنسبة له، وهكذا يحصل خلط بين الحقيقة والصورة عادة بسبب طول الحرمان والعمى المصاحب له عادة نسأل الله السلامة. لكن في المقابل، لو كان الإنسان في بيته، ووجد كل الطعام الذي يشتهيه وأكله حتى شبع تمام الشبع بحيث لم تبقى في معدته مساحة لدخول ذرّة أخرى، ثم خرج من البيت ونظر إلى الأطعمة في أيدي الناس فإنه عادة لن يلتفت إلى تلك الأطعمة بالكلية ولو عرضت أمامه قد يشيح بوجهه عنها قرفاً واشمئزازاً بل حتى لو كانت من الأطعمة التي يحبها عادة. الجوع يجعل الإنسان ينظر إلى ما عند سواه، بل وجود السوى هو فرع الجوع، وإلا لو شبع الإنسان تمام الشبع بذاته في ذاته لذاته وحصل على كل ما يريده مما تحتمله ذاته، فإنه حينها لن ينظر إلى ما عند سواه أيا كانوا. بناء على ذلك، قول الشيخ {تحصيل درجة في القربة منه ليس فوقها درجة ينالها سواه} يرجع إلى تحصيل الإنسان للدرجة العليا التي يستطيع الوصول إليها بناء على عينه الثابتة وحدّه الوجودي الأقصى، هذه الدرجة لو نالها فإنه ليس يرى درجة سواه بمعنى الميل إليها وطلبها والشعور بالنقص بسبب عدم تحصيله لها. وكذلك الدرجة الذاتية للإنسان لا يمكن لسواه نيلها، فهي الدرجة العليا بالنسبة له.

الخلاصة فهم النور الواحد الإلهي ونيل الكمال الذاتي، يحلّ السؤال المذكور وينكشف المستور. والحمد لله رب العالمين.

...

يقول بعض الجهلة في بلادنا: إن فلان والجماعة الفلانية تدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله، فكيف تقول أنت وأمثالك أنهم ضلال وجهال؟

نقول: قد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج أنهم {شرّ الخلق والخليقة} و {شرّ قتلى تحت السماء}، بالرغم من أنه أيضاً قال في وصفهم {يدعون إلى كتاب الله} و {يقولون من قول خير البرية} و {يقرأون القرءآن}. فشرّ الخلق والخليقة ليسوا إلا قوماً يدعون إلى كتاب الله وسنّة رسوله !

ثم في رواية قال النبي عن الخوارج {يحسنون القيل}، وفي رواية أخرى قال {يسيئون الأعمال}. لكننا نعلم من القرءان أن مفهوم "العمل" يشمل القول والفعل. فقول النبي عنهم {يسيئون الأعمال} يتضمن كونهم يسيئون الأقوال. فكيف يكونوا يحسنون القيل ويسيئونه في آن واحد؟ جواب ذلك من وجهين: الأول الأضعف أنهم أحياناً قد يحسنوا بقول شئ صحيح، لكنك لو نظرت لمجمل أقوالهم ستجد أنها سيئة، أو لو نظرت للبّ ومركز أقوالهم ستجدّ أنها سيئة وستجد أن الحسن من أقوالهم هو أمور عرضية وجانبية أو أمور لا يختصّون بها، وإنما يميّز الطوائف ما يختصّون به من مقالات لا ما يتّفقون به مع غيرهم، والخوارج قوم قد تكون لهم مقالات حسنة مما يتّفقون به مع غيرهم من المسلمين لكن ما يختصّون به إنما هو مقالات سيئة عموماً. الوجه الثاني وهو الأقوى أننا حتى لو نظرنا في ما يظهر أنه قول حسن من أقوالهم سنجد أنه قول سئ بمجرّد ما نتعمّق فيه ونذهب خطوة واحدة وراء السطح. فقد يذكرون آية قرءانية في حادثة معيّنة، فتحسب لأوّل وهلة أنهم طبّقوا الآية على الحادثة، لكن بمجرّد التأمل في الآية وظروفها وسياقها ومقصدها، وتتأمل في الحادثة وحيثياتها وزواياها وظروفها، ستجد أنهم إما لم يفهموا الآية (وهو القاعدة العامّة) وإما لم يفهموا الحادثة (وهو شائع أيضاً)، وإما لم يحسنوا تطبيق الآية على الحادثة (وهذه من عاداتهم الراسخة)، وإما كل ذلك في آن واحد (كما هو شأن الوهابية عموماً).

...

{العلي} هو الوجود المطلق بالإطلاق الحقيقي التام، وهو الذي يتعالى حتى عن الإيجاب والسلب، والإثبات والنفي في الأمور الإلهية فضلًا عمّا دونها، وهو الذي يعلو حتى عن التنزيه. ولذلك لا يوجد تسبيح العلي وإنما تسبيح الأعلى. ولولا أن للإنسان صلة بالعلي وباباً مفتوحاً مشرعاً تجاهه لما كلّمهم الله بهذا الاسم وكشفه بآية الكرسي سيدة آي القرءآن. الحرية ذكر العلي.

...

قال: أليس النبي صلى الله عليه وسلم يقول {اقرأوا القرءآن فإنه يجئ يوم القيامة شفيعاً لأهله}؟

قلت: بلى.

قال: أليس النبي يقول عن الخوارج {يقرأون القرءان}؟

قلت: بلى.

قال: أليست شفاعة القرءآن في أهله مقبولة؟

قلت: بلى.

قال: فكيف حكم النبي بأن الخوارج كلاب النار إذن؟

قلت: استدلالك كلّه صحيح باستثناء جوهر المسألة وحين أضعته أخطأت الاستنتاج.

قال: وأين الخطأ وما هو جوهر المسألة؟

قلت: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل أن القرءآن شفيعاً لقرائه، لكنه قال {شفيعاً لأهله}. فليس كل من يقرأ القرءآن هو من أهل القرءان. فقد يقرأه الكافر ويقرأه الفاجر ويقرأه المحرّف له عن مواضعه وعن علم أيضاً، ويقرأه من يتسلّى وبقلب لاه غافل، ويقرأه النجس الملحد، ويقرأه المنافق الذي هو في الدرك الأسفل من النار. يقرأ القرءان كثير، لكن لا يكون من أهل القرءان إلا قليل منهم. فقوله {أهله} راجع إلى قول الله تعالى في تعريف أهل الشئ، وهي من الأهلية والمناسبة بين الشيئين، كما قال تعالى عن كلمة التقوى {وكانوا أحقّ بها وأهلها}. فمن كان قرءاني القلب، طاهراً طيباً عاقلًا مستنيراً، من أولي الألباب الذين يذكرون الله ويتفكرون في خلق السموات والأرض بالحقّ، هؤلاء هم أهل القرءان الذين قال النبي عنهم "أهل الله وخاصّته". شفاعة القرءان لهؤلاء كما نصّ النبي {شفيعاً لأهله} وليس لقرائه.

قال: اشرح لي هذا الحديث من جديد.

قلت: الحديث من قسمين، حكم وعلم، على عادة الله ورسوله في التخاطب مع الإنسان. فقول النبي {اقرأوا القرءآن} حكم وأمر وشريعة. أمر بالقراءة، وتفصيل لها. فإذا سأل الإنسان عن علّة الأمر بالقراءة جاءه التعليل بالعلم وهو {فإنه} أي اقرأوا القرءآن لأنه {يجئ يوم القيامة شفيعاً لأهله}. فمن لا يؤمن بالله، وبيوم القيامة، وبأن القرءآن كائن حي بل هو الحيوان، ولم يعرف الشفاعة، والمناسبة بين النفوس، والجنّة والنار، والحاجة إلى الشفاعة، من لا يؤمن بكل ذلك فلن يكون من قراء القرءان على الحقيقة، وإنما سيكون ممن يقرأون ألفاظاً عربية قال بعض الناس أن لقبها هو "القرءان". فلا يقرأ القرءان إلا من يعلم المعاد. هذا مقام من مقامات القراءة.

قوله {فإنّه} يشهد بأن الإنسان لا يستطيع أن يعمل بصدق إلا إن كان قلبه يعقل علّة ومقصد العمل. فالأحكام الشرعية معللة. فالنبي لم يقل {اقرأوا القرءآن} ويسكت، كما يقول تعالى مثلًا للنار {كوني برداً وسلاماً على إبرهيم} ويسكت عن التعليل الذي به تقتنع النار بذلك الحكم. ومستوى العمل سيكون بحسب مستوى الاقتناع بالعلل. كلّما قلّ الاقتناع كلّما ازداد الامتناع.

قوله {يجئ} يدلّ على أن للقرءان وجوداً مستقلاًّ، أي القرءآن ذات، وليس مجرّد ألفاظ ولا معاني ذهنية. فالقرءآن ليس كتاباً بالمعنى الشائع للكتب، بل هو حيوان. ولذلك كان مصير الإنسان في الآخرة يعتمد عليه، "الدار الآخرة لهي الحيوان". وإنما يسود دار الحيوان الحيوان.

ذكر {يوم القيامة} وليس يوم الحساب أو يوم التغابن مثلًا، لأنه يريد أن يشير إلى أن القيامة الحقيقية تكون بروح القرءان. أي القيامة الحالية، القيامة اليوم، قيامة القلب من موت الجهل ومرض الشكّ ونوم الغفلة يكون بروح القرءان الفيّاضة بالعلم واليقين والذكر. فمن عرف القرءآن اليوم قامت قيامته، ومن شاهد قيامته بالقرءآن أيقن بالقيامة الأخرى. القرءان هو القيامة.

وقول النبي {يجئ يوم القيامة} يدلّ على أن للقرءان تجليات مختلفة بحسب النشآت المختلفة. فهو نور واحد لكن له مظاهر متعددة. ولذلك ورد في رواية أنه يجئ على صورة رجل من أحسن الرجال. فلو كانت هذه الكلمات العربية هي حقيقة القرءآن لكان أي تغيير في هذه الصورة تغييراً للحقيقة بالتالي لما كان للقرءان أن يجئ يوم القيامة بصورة رجل أو بأي صورة أخرى وبالتأكيد لن يمشي يوم القيامة على صورة أحرف عربية وضمّة وفتحة فوق رأسه. ولذلك أيضاً ورد عن النبي أنه عبّر عن سورة من سور القرءان بأنها "القرءان" بالمطلق، كما في حديث الصحابي الذي قرأ سورة الكهف فثار فرسه فقال له النبي "تلك السكينة تنزّلت بالقرءآن"، ولم يقل: ببعض القرءان. أو: بسورة الكهف من القرءان. بل قال النبي صلى الله عليه وسلم "تنزّلت بالقرءان".

قال: فكيف يقول "بالقرءان" وإنما سورة الكهف سورة من سور القرءان أي هي بعض القرءان؟

قلت: لأن القرءآن نور واحد لا ينقسم في ذاته إلى أجزاء وأبعاض. فسورة الكهف ليست بعض القرءان لكنها كل حقيقة القرءان حين تتجلّى بهذه الصورة والمرتبة التي هي سورة الكهف. وهكذا في كل سورة. فالسور التي يمكن أن يتجلّى بها القرءان لا نهاية لها، كما قال تعالى "قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً". فالقرءآن ليس مجرّد ١١٤ سورة كل واحدة تشكّل بعضاً منه والـ١٤٤ هي كلّه.

قال: تصوّر ذلك صعب، فهل من مَثل طبيعي يمثّل هذا المعنى؟

قلت: النار. لو جئت بشمعة، فهي نار واحدة. وأنت تراها وحدة كاملة. ولها نفس الصورة المتصلة. فإذا جئت بفتيلة شمعة أخرى، وقرّبتها من الشمعة الأصلية فأخذت من نارها فإن النار الأولى لم تتجزأ وتقلّ وتتغيّر في ذاتها، واستفادت الفتيلة الجديدة ذات الحجم واللون والشمعة ذات الرائحة الخاصّة مثلًا ناراً جديدة، وقد تأتي بشمعة أخرى ذات حجم آخر ولون آخر ورائحة عطرة مختلفة عن هذه، فتستفيد النار من الشمعة الأصلية فتشتعل. فالنار واحدة، لكن النيران والشموع التي يمكن أن تستفيد منها لانهائية، وكل شمعة جديدة ستُخرج آثاراً مختلفة بحسب طبيعتها وماهيتها، ولا يؤثر ذلك شيئاً في النار الأولى.

قال: فما معنى شفاعة القرءآن لأهله، أليس أهله من أهل الله وخاصّته، فلماذا يحتاج هؤلاء إلى شفاعة أحد أو شئ؟

قلت: الشفاعة لا تنحصر في حصول النجاة، بل في رفع الدرجات. وقد يكون للولي من أهل الله ذنوب تحتاج إلى مغفرة. فتأتي شفاعة القرءآن لرفع الدرجة وحصول المغفرة. وكذلك قد يسأل الولي شيئاً لنفسه أو لبعض أصحابه وأتباعه وذريته فيستشفع إلى الله بالقرءآن فيشفع له القرءان. فالشفاعة واسعة وبالقرءآن بإذن الله ناجعة.

قال: فكيف أكون من أهل القرءآن؟

قلت: كن من أهل باطن القرءان لا ظاهره فقط. لأن النبي صلى الله عليه وسلم ربطه بيوم القيامة وهو الآخرة، فأهل القرءان هم الذين يستشرفون به على الآخرة والمعاد والباطن والأسرار والملكوت، وهو بوابتهم لتلك العوالم الغيبية والعلوية والقدسية.

...

قال النبي صلى الله عليه وسلم في فضل سورة الكهف {من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين}. الجمعة الأولى في أوّل الزمان، الجمعة الأخرى في آخر الزمان. بدليل قوله عليه السلام في فضلها أيضاً {عُصِمَ من الدّجال}. ففي سورة الكهف يسكن آدم وإبليس والمسيح والدجال، والنور الذي يضئ ما بين الجمعيتن هو نور النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله {كنت نبيّاً وءآدم بين الروح والجسد} وهذا النور هو الذي يتجلّى في المهدي في آخر الزمان فكما سبق النبي آدم في الخلق ونور النبي أضاء جبين آدم، كذلك يتقدّم المهدي على المسيح في آخر الزمان وبنور المهدي سيهتدي الجميع حينها.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في فضل سورة الكهف أيضاً {من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق}. فقوله {ما بين الجمعتين} في الزمان، وقوله هنا {فيما بينه وبين البيت العتيق} فوق الزمان. الأوّل عرضي، وهذا طولي. فالبيت العتيق فوق، والجمعة للجمعة أمام. فسورة الكهف فيها كل الكمالات الطولية الروحية والعرضية الزمانية، وهو في مركز ووسط الوجود الإنساني ولذلك جاءت في وسط كتاب الله وفيها الكلمة اللطيفة التي قيل أنها في وسط كلمات القرءآن وهي قول إمام أصحاب الكهف {وليتلطّف} لأن الله مركز دائرة الوجود وهو اللطيف ويشعّ اللطف منه وإليه.

ولذلك اختصّها بيوم الجمعة، لأنها جامعة لكل خير.

ثم لاحظ أنه قال في حديث البيت العتيق {من قرأ سورة الكهف (ليلة) الجمعة} فذكر الليلة. بينما في حديث الجمعتين قال {من قرأ سورة الكهف (يوم) الجمعة} فذكر اليوم. فالقراءة ليلة الجمعة فضلها الإنارة حتى البيت العتيق، والقراءة نهار الجمعة فضلها الإنارة ما حتى الجمعة القادمة. فالكامل من يقرأ سورة الكهف مرّة في ليلة الجمعة، ومرّة في يوم الجمعة. وناسبت الليلة الإنارة حتى البيت العتيق، لأن البُعد الطولي غيبي، وهو الأصل والمبدأ، فهو كالليل لأن الليل غيب وهو الأصل والمبدأ وسابق على النهار كما قال تعالى "والليل إذا يغشى. والنهار إذا تجلّى". وناسب اليوم للإنارة حتى الجمعة القادمة، لأن البُعد عرضي نازل، و فيه تبرز الشمس التي هي علامة الحسّ والدنيا والكثرة، والشمس مقياس الزمان الأساسي وما نور القمر إلا من ضوء الشمس. فالليل مثل المتعاليات، واليوم مثل الزمانيات. فكانت القراءة في الليل موصلة لنور المتعاليات، والقراءة في النهار موصلة لنور الزمانيات.

ورد في حديث أن حفظ أوّل عشر آيات من سورة الكهف يعصم من الدجال، وورد في حديث آخر أن حفظ آخر عشر آيات منها هو الذي يحفظ من الدجال. كلاهما حقّ. لأن الدجال في الأوّل هو إبليس، والدجال في الآخر هو المسيخ. أي دجال أوّل الزمان، ودجّال آخر الزمان. هذا تأويل. تأويل آخر أن الدجّال الأول هو ما يضلّ عن الكمال في التعالي، والدجال الآخر هو ما يضلّ عن الكمال في التجلي. فلعالم البقاء دجال، ولعالم الفناء دجال. وسورة الكهف هي النور الذي يزهق أباطيل كل دجّال.

...

من قرأ آية الكرسي من قوله تعالى {الله لا إله إلا هو} حتى قوله {ولا يئوده حفظهما} فكأنما جالس آدم والمسيح. ومن قرأ {وهو العلي العظيم} فكأنما جالس النبي والمهدي.

سألت فرح: كيف؟
قلت: آدم له مقابل هو ابليس, المسيح له مقابل هو الدجال. فهؤلاء من عالم الثنائيات والمتقابلات. أما النبي هو النور المتعالي على الثنائيات والجامع بينها في وحدة أعلى ومظهر النبي هو المهدي. / كل نور من آدم إلى المسيح, تقابله كل ظلمة من ابليس إلى الدجال. فهذا النور النسبي والظلمة النسبية. / أما نور النبي فهو أساس كل الأنوار النسبية ومشتمل على السرّ الكامن في كل الظلمات النسبية ومستخلص لحقائقها النافعة كلها ومسخر لها, فحتى الظلام مسخر للنبي كما قال مثلا "إن الله ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر" فالرجل الفاجر من الظلام, لكنه مع ذلك وسيلة لنصر لدين النبي وطريقه وأمره. وهكذا نور النبي فوق كل نور وفوق كل ظلمة, وفيه الخير المتضمن في كل نور نسبي وظلمة نسبية. / لو قرأتي آية الكرسي ستجدي أنها من خمسة مقاطع (إيجاب ونفي) ثم المقطع السادس هو الإيجاب المطلق. فمثلًا "الله" إيجاب, "لا إله إلا هو" نفي متعلق به. "الحي القيوم" إيجاب, "لا تأخذه سنة ولا نوم" نفي متعلق به. وهكذا في الآية كلها. حتى نصل إلى "وهو العلي العظيم" وهو الاسم الأعظم المطلق التام فإنه يصل إلى إيجاب لا نفي فيه ولا نفي متعلق به ولا يمكن نقضه, فهو المطلق بدون أي نسبية ولا نفي./ كل نور من آدم إلى المسيح إنما يدل على الكمالات الواردة في قسم الإيجاب من آية الكرسي, "الله-الحي القيوم-له ما في السموات وما في الأرض-يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم-وسع كرسيه السماوات والأرض". خمس كلمات, على عدد الرسل الخمسة الكبار كما وردوا في آية واحدة في القرءان, وهم آدم ونوح وإبرهيم وموسى وعيسى. /كل ظلمة من ابليس إلى الدجال جاءت لتذكر الخمس منفيات وتثبتها في قلوب الناس, أي جاءوا ليقولوا أنه لا إله, والذين قالوا بوجود إله قالوا أنه غافل عنهم تأخذه سنة ونوم, والمشركين قالوا أن له شركاء في ملك السموات والأرض, والبعض قالوا أنه لا يعلم كل شيء وغير مطلع على أحوالهم, والبعض أنه عاجز عن تدبير العالم ورفع الشر منه أو لا يملك تجديد الخلق وإقامة القيامة مثلا./ فالأنبياء جاءوا بالأنوار الخمسة والأشقياء جاؤوا بالظلمات الخمس. لكن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بكل تلك الأنوار وبنفي كل تلك الظلمات, ومع ذلك جاء بالنور المطلق الشامل الجامع لكل خير وهو "وهو العلي العظيم" الذي هو حقيقة الهوية الأحدية السارية المطلقة للحق سبحانه وتعالى. / لذلك نقول أن من قرأ آية الكرسي فكأنه جالس وعقل عن كل نبي, وحارب وقتل كل شقي, وفاز بصحبة النبي والمهدي. لأنه ليس عند كل هؤلاء إلا مضامين وأسرار آية الكرسي.

...

كلمة تنزيل تدل على شيئين.

الأول تعينات و تحديد و تجليات ذات الله بحسب مراتب الموجودات، يعني من الوجود المطلق الى الموجودات المقيدة. و هذا التنزيل لا يتم في زمان، فلا نجعل اللغة سببا للتوهم الباطل. إنما المقصود الترتيب العقلي من المطلق للمقيد. بهذا المعنى، تنزيل الله يعني ظهور الله في جميع مراتب الموجودات، و هذا معنى اسم الله "الظاهر".

الثاني تنزيل الروح في عالمي السماء و الأرض. مثل تنزيل القرءان. و هذا هو المقصود حين نتكلم عن الرسالة و النبوة. و حين نقول أن الله أنزل القرءان لجبريل و جبريل للنبي، فالمقصود إما الاشارة لان كل خير يحدث في الوجود إنما يرجع إلى أمر الله و إذنه، و إما أن "الله" هنا المقصود به تجلي من تجليات الله و هو خليفته في الكون اي هو الروح الأعظم الذي هو الخليفة في عالم العرش، و هذا الروح ينزل لجبريل و جبريل ينزل للملائكة حتى يصل إلى النبي. و في القرءان كثير من المواضع يتم فيها ذكر

اسم "الله" لكن المقصود ليس فقط الله من حيث ذاته بل الله من حيث بعض تجلياته. مثلا قوله "أطيعوا الله و اطيعوا الرسول"، فمن المفهوم بقوله "اطيعوا الله" هو الطاعة لكتاب الله النازل، لأن كتابه احد تجلياته. و هكذا. فأذن حين نقول الله نزل إلى جبريل ليس المقصود جوهريا إلا أن الحقيقة تبدأ مجردة والخير يبدأ مطلقا ثم يتنزل اي يتقيد ويتحدد ويتلبس بصور الأكوان حتى يبلغ مستقره ويصل إلى غايته.

الله متعالي بحقيقته، متجلي متنزل بنوره. و هذا معنى احاطته. و القرءان الذي اخبرنا ان الله "أعلى" هو القرءان الذي اخبرنا ان الله "هو الذي في السماء إله و في الأرض إله" و "اقرب إليه من حبل الوريد". فاحاطته تجمع بين كونه أعلى من كل شيء (العلو هنا ان حقيقته مطلقة وجامعة وأصل كل شيء وكل كمال) و مع ذلك هو متنزل في كل شيء بالايجاد والإمداد.

و القرءان استعمل كلمة بعث و إرسال أيضا. "بعث الله النبيين". "ثم أرسلنا رسلنا تترا". و لم يقتصر على لفظة الإنزال.

كل موجود سوى الله مقيد بمرتبة معينة. لكن الله وحده هو الحقيقة التي فوق كل شيء و في كل شيء و بها كل شيء. فلا يعرف الله من يريد ان يبحث عن موجود آخر ليقيسه به، لأن القياس يفترض وجود شيئين تتم المقايسة بينهما، فإذا كان لا يوجد من الشيء الا هو و هو الواحد الأحد فيستحيل القياس وتبطل المقايسة عقلا. الله معروف بذاته، ظاهر بنفسه، شرح حقيقته هو مجرد ذكر حقيقته ومن صفا قلبه أيقن به وبواقعيته.

...

وجود مقاييس اللغة دليل على أن اللغة ليست من عند الناس. إذ الناس لو اخترعت لبدأت بالأصول, ولو بدأت بالأصول لظهرت الأصول ولم تكن بحاجة لاستنباط مستنبط. مثل الدين. الدين يأتي ككل واحد يظهر في أقوال وأفعال وأحوال الرسول, ثم بعد ذلك وبإعمال الفكر والتحليل والتأويل يتم استنباط الأصول والمبادئ التي قام عليها الشرع والإيمان. مقاييس اللغة مستنبطة من تجليات اللغة, وتجليات اللغة لا يمكن فهمها إلا بوجود معاني اللغة, فمثلًا الشاهد الشعري لا يمكن فهم معنى المفردة فيه إلا إن كان معناها موجوداً ولو إجمالًا عند أهل اللغة. اللغة حقيقة يتفلسف الناس فيها وحولها, وليست ولداً من أولاد فلسفة البشرية وإبداعاتها.

...

مشروع: اختصار وترقية كتاب (مقاييس اللغة) لابن فارس رحمه الله. والاختصار هو بذكر الأصول بدون ذكر مصدر القول من علماء اللغة ولا شواهد المعاني والاستدلال عليها. فمثلًا (أب: المرعى والقصد والتهيؤ) و (أث: الاجتماع واللين). والترقية هي بالتأليف بين الأصول والجمع بينها. لأن الأصل هو أكثر من معنى في جذر واحد. فهو كثرة معنى في وحدة مبنى. والمبنى (أب, مثلًا) لابد أن يشمل ويدل ويشير لكل المعاني الكامنة في الأصل أو أكثر من واحد منها, وإلا فلا وجه لذكر المعنى الخفي المبهم مع توفر نفس المعنى في مبنى جلي فصيح, مثلًا: لو أردنا قول "مرعى", فلماذا نقول (أب) التي تدل على المرعى وعلى القصد وعلى التهيؤ, لماذا لا نقول "مرعى" وكفى. فلولا أن للمعاني الكامنة في أصل (أب) صلة بجملة مقصودنا, لما استعملنا اللفظة بوعي وحكمة. وعليه, لو تأملنا في معاني الأصل الواحد لابد أن

نجدها متصلة ببعضها بعلاقة ما, كأن تكون علاقة سببية فأحد المعاني يكون كالسبب والآخر يكون كالأثر, أو علاقة أمثال, كأن يكون أحدها مجرّداً والآخر مجسّداً, وعلاقات أخر تحتاج إلى تحرير وتدقيق. ودراسة معاني الأصل واستقراء اللغة على هذا المنهج ستبيّن ذلك بإذن الله تعالى. فإما أن نجمع بين معاني الأصل بالتأليف بينها, وإما باكتشاف معنى أكبر يحيط بالكثرة وهو أكثر تجريداً منها بالتالي يجمع صورها وهيئاتها المختلفة في وحدة عليا. وحسب تجربتي, فإن لغة هذه الوحدة العليا لمعاني الأصول هي لغة العلاقة بين الأشياء, أي سنقول "ضم الشيء للشيء" أو "علو شيء على شيء" أو "أخذ شيء من شيء" وما شابه. وهذه العلاقات المجردة للأشياء هي التي تتنزّل في صور مختلفة في العوالم المختلفة, فنجد الصورة في كل عالَم متناسبة مع هذا العالَم, فتجدها في عالم الأصوات بنحو وفي عالم الحركات بنحو, أو في عالم النبات بنحو وفي عالم البشر بنحو, وهكذا.
(تنبيه: كما فعل ابن فارس رحمه الله في كتابه مقاييس اللغة حيث استنبط من خمسة كتب مشهورة في زمنه تلك المقاييس من المعاجم, فإنه علينا القيام بنفس العمل لكن مع استعمال المعاجم الأكبر والأوسع التي توفرت بعد ابن فارس وجعل استقراء المواد واستنباط الأصول منها أشمل).
مثال تطبيقي للاختصار والترقية, من كتاب مقاييس اللغة. أول مادة (أب).
- الاختصار.
(أبّ) 1-المرعى. 2-القصد. 3-التهيؤ.
- الترقية.
(أبّ). الأب في رواية ابن عباس رحمه الله هو جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية. فالأبّ ليس فقط المرعى مجرّداً, لكنه المرعى الذي تقصده الماشية, والماشية بطبيعة الحال متهيأة أي عندها استعداد طبيعي ورغبة بسبب الجوع لكي تعتلف المرعى. فالتهيؤ طبيعي وهو تركيبة البدن والغذاء الذي يستطيع أكله. والتهيؤ الآخر هو من الاستعداد الناشئ بعد التهيؤ الطبيعي أي من الجوع والحاجة إلى التغذية. فأولا وجود التهيؤ الطبيعي, ثم التهيؤ الفرعي, وهذا ينتج القصد والسعي نحو المرعى, والمرعى الذي تعتلفه الماشية هو الأبّ. فالمعاني الثلاثة للأبّ تشير إلى طبيعة الآكل ورغبته والمأكول. لكنها تنطلق من المأكول وتتمحور حوله وتعتبر الأشياء بالنسبة له.
الأب بعد ذلك هو مصدر أبّ فلان إلى سيفه إذا ردّه إليه ليستلّه. ما العلاقة بين ردّ اليد على السيف لاستلاله وبين الماشية التي تعلف الكلأ؟ الجواب: الحياة. فالماشية تعلف لأنها تريد البقاء على قيد الحياة, والمستل سيفه يستله عادة لأنه يريد الدفا ع عن نفسه ضد خطر أو محاربة من يرى أنه يملك وسيلة من وسائل عيشه وبقاء شيء في نفسه كالشعور بالعزة فهو يريد تغذية ذلك الشعور حتى يبقى. فالمحارب مثل الماشية, كلاهما يريد بقاء شيء على قيد الحياة, إما الأبدان وإما في الأذهان. حين يدخل الإنسان في المعادلة, نجد أن الأبعاد النفسانية والعقلية تلعب دوراً جوهرياً, ونرى التجريد والتعالي عن الحركة المادية البحتة ظاهراً.
مثال آخر لتجليات جذر "أبّ" هو قول ابن دريد رحمه الله أن الأبّ هو النزا ع إلى الوطن. النزا ع فيه بُعد ظاهري وهو التحرك الفعلي للعودة إلى الوطن, وفيه بُعد باطني وهو وجود الميل والرغبة تجاه العود إلى الوطن, ولا يخفى أن الباطني أساس الظاهري وهو بدايته فبينهما صلة ثابتة. الوطن مثل المرعى, النزوع مثل حركة الماشية تجاه المرعى لتأكل. فإن "الوطن" فكرة نفسانية, وليست شيئاً خارجياً مادّياً, لا يوجد في الأرض بقعة هي "وطن" إنسان دون إنسان كما أنه يوجد تفاح وموز في الطبيعة. وإنما

"الوطن" اعتبار إنسان لبقعة ما, وهي فكرة متميزة عن الحالة المادية للإنسان بالمعنى الشائع لذلك, إذ قد يسكن الإنسان "في الغربة" وتكون حالته المادية كطعامه وشاربه وأمنه أفضل, ومع ذلك يجد في نفسه نزوعاً ل"الوطن". فالوطن فكرة معقدة وعميقة. فيها معنى الراحة للنفس والأنس وشيء من امتداد الذات في المكان أو اتصال المكان بالذات, فالإنسان في وطنه يشعر وكأنه في وطنه ووطنه فيه, أي يذهب الفصل بين المكان والإنسان إلى حد كبير, وكأن الإنسان نشأ من جوهر ذلك المكان. وتفسير كل ذلك يستحيل على المستوى الطبيعي فقط. ولذلك تفسيره لا يكون إلا على المستوى فوق الطبيعي, وهي عقيدة الجنة والوطن "الأصلي" للإنسان قبل الهبوط لعالم الطبيعة. ففعلًا نفس الإنسان مخلوقة من جوهر تلك الجنّة, وهو الجنة والجنة هو, ولذلك قال أهل التحقيق في علم المعاد بأن النفس لا تدخل الجنة أو النار بمعنى الدخول الشائع بل النفس التي صارت كما كانت جنة تعود وترجع إلى الجنة والتي صارت كما احتملت النار تعود وترجع إلى النار. فالقضية ذاتية أكثر منها أحكام قضائية خارجية على النفس. وفكرة الوطن عند الإنسان الغافل أي الوطن الجغرافي هي تنزيل مع الغفلة لحقيقة الوطن العالي الماورائي. ومن هنا معنى الراحة والأنس والاتحاد الذي يجده تجاه "وطنه". ولذلك الغافل يعتبر أنه لو انتقل من البلد التي "ولد فيها" إلى بلد أخرى, أنه قد "تغرّب" وصار "غريباً". بينما الذاكر العاقل يعتبر أن كل وجوده في الدنيا هو تغرّب وغربة, وما وطنه إلى ما كان فيه قبل نزوله. ولاحظ مفهوم "ولد فيها" الذي يعتبره الغافل أساس تعريف وطنه, أو مفهوم "ولدت فيه وتربيت فيه في الصغر", دائماً الوطن يتم تعريفه في مرحلة الولادة والصغر والتربية الأولى. ومن الواضح أن لا دليل مادي على أي قيمة للبيئة الخارجية التي نزل فيها الجنين الذي لا يعقل ما حوله ولا يفهم معنى البلدان والأمم والدساتير والحدود الإقليمية. كل ذلك يشهد على ما سبق أن قررناه. فالأبّ إذن يشير إلى المرعى الأول للنفس, ومن وجه آخر المكان الذي يتغذى فيه الحيوان هو "وطنه" إذ الوطن محل الراحة والحياة كما قلنا, فأي مكان توجد فيه تلك المعاني سيكون وطناً بذلك القدر. فالوطن للنفس كالمرعى للماشية.

وفي رواية أن الأبّ هو التهيؤ للمسير. وهنا نجد الأبّ يُستَعمَل في الحركة الظاهرة بعد توفر الحركة الباطنة تجاه الجهة المرغبة لتحصيل كمال نفسي أو بدني ما.

ثمرة: المادة الواحدة قد تظهر في الحركة الباطنة والظاهرة والغاية. في هذه المادة نجد أن المحور للغاية, بينما قد نجد في مواد عربية أخرى أنها أيضاً تشمل معاني الحركة الباطنة والظاهرة والغاية لكن تكون المحورية للحركة الباطنة وتشمل البقية من باب اشتمال السبب على آثاره لا من باب تضمن الأثر لأسبابه كما في حالة المادة محل الكلام.

النتيجة: الأبّ هو الموضع الذي يكون سبباً لحصول الكمال (المرعى-كمال البقاء), ولأنه لا يكون كذلك إلا لطالب كمال (الماشية-الإنسان) فإن معناه اتصل بذات الإنسان التي لابد أن يوجد فيها استعداد يمكنها من تحصيل الكمال بواسطة ذلك الشيء إذ ما يكون موضعاً لكمال شيء قد يكون موضعاً لهلاك شيء آخر, وكذلك يتنقل في مراحل التحصيل من الرغبة الباطنة إلى الإرادة والقصد إلى النزوع نحوه والتحرك تجاهه.

الخلاصة: الأبّ يرجع إلى معنى واحد هو الشيء من حيث الكمال المتعدّي فيه طلب الأشياء المتهيئة لذلك فيه. انتهى.

ثم أقول: هذه دراسة بسيطة غايتها إظهار مقصدنا من مبدأ الترقية. فقه العربية وحقيقتها تكمن في مثل هذه الدراسة. والله الموفّق لا إله غيره.

...

(الواجب القهري): أفضل طريقة لإحباط المحب للعمل والمبدع فيه حتى يُعرض عنه ويقمع إبداعه وإتقانه وإحسانه. مجرد وجود "فرض" لعمل شيء, فرض قهري يعتمد على ترهيب, نكون قد فتحنا باب كره الشيء وبغضه في النفوس. فيستحيل أن يكون خالق هذه النفوس إن أراد حب وإتقان الأعمال أن يأتي بفرض قهري إرهابي من ذلك القبيل. لا يأتي مثل ذلك إلا من قبل بعض الناس الذين لا يجدون حيلة لدفع الناس للعمل بما يريدونه, فيستعملون لغة الغارق في الشعور بالعجز والاستهلاك وهو أن يأتي بأمر عنيف مباشر ويهدد ويرعد ويزبد. "لا إكراه في الدين. قد تبين الرشد من الغي".

...

(جواهر العربية)

الحرية اختيار, والاختيار عدم وعي بالأولى, فالحرية جهالة. ولذلك في العربية (أو) كلمة يُراد بها الإباحة والشك. فلو قلت "اشرب الماء أو اللبن" فالمقصود إباحتك لشرب الماء واللبن وترك الاختيار بينهما للمأمور. ولو قلت "جاء زيد أو عمرو" فالمقصود أنك تشك في الذي جاء. وكون العربية جعلت معنى الإباحة ومعنى الشك في كلمة واحدة, فإذن يوجد رابط بين الإباحة والشك, والجامع بينهما هو الجهل بالحق والأحق. الجهل يؤدي إلى الشك, والجهل يؤدي إلى الإباحة. (أو) في جذرها الأعلى تدل على الجهالة, وتتجلى في الشك والإباحة.

(أي) كلمة يُراد بها التعجب والاستفهام. التعجب ينتج عن جهل وتقدير للشيء, تقدير الشيء وتعظيمه وإجلاله لا يكفي لإثارة التعجب إذ لو كنّا نعلم كل شؤونه من كل وجه فالتعجب ينقص أو يزول. لابد من وجود الجهل بحقيقته أو بكيفية ظهوره أو بدقّة صنعته أو بآثاره وكيفية تأثيره. والعربية تدلّنا على أن نربط التعجب بالاستفهام, أي بالاستفهام عن حقيقة ما نتعجب منه, والتأمل فيه والبحث في أسراره واستخراجها. فالتعجب هو المرحلة الأولى ولابد أن تليها مرحلة البحث والفهم.

في (أو) و (أي) معنى يتعلق بالإدراك ومعنى يتعلق بالدرك, أي بالعلم والعمل. فالحكم بالشك أو الشعور بالتعجب, إنما ينتج عن مشاهدة موجود, ثم تفاعل العقل والنفس معه. لكن الإباحة والاستفهام فيتعلقان بأمر عملي, إذ الإباحة هي إباحة العمل, والعمل إرادة وحركة وسلوك. كذلك الاستفهام هو طلب وسلوك وإن كان الغالب عليه هو السلوك الباطني والذهني. فالمباح عادة ما يكون متعلقاً بشيء خارجي, لكن الاستفهام الأصل تعلقه بشيء باطني.

(أو) إذن مقولة علم ومقولة عمل. كذلك (أي) مقولة علم ومقولة عمل. والكل يتضمن صلة المعلوم والشيء بالإنسان. فالإنسان هو مركز اللسان, والكلمات توضع له وبالنظر إليه وحسب نظرته.

الارتباط بين الشك والإباحة, يدل على أن مقولة الإباحة هي فكرة عقلية, لأن الشك أمر عقلي, كما أن الغضب أمر نفساني, الوجع أمر بدني. فالتحليل والتحريم راجع للعقل سواء إلى الكشف أو النظر. وثمرة الإباحة التي هي تناول الشيء الطبيعي والاتصال به تدل على أن البدن الطبيعي للإنسان يتلقى توجيهاته في نهاية التحليل من العقل.

الارتباط بين الاستفهام والتعجب يدل على الرابطة بين العقل والنفس. فإن الاستفهام طلب العقل, والتعجب ردة فعل النفس الجاهلة بشيء تجاه العقل أي كأن النفس تطلب من العقل النظر في موضوع التعجب واكتشاف حقيقته أي كأنها تعلن له عن جهلها به مع إعجابها به.

كل أسرار النفس الإنسانية كامنة في اللغة العربية.

...

قال ابن فارس رحمه الله (أن الأصوات في الحكايات ليست أصولًا يُقاس عليها). فاللغة لها أصول تتفرع عنها الفروع. فاللغة شجرة, شجرة من كلمة. والذين يزعمون أن اللغة إنما هي حكايات لأصوات, يرد عليهم ابن فارس رحمه الله بإخراج حكاية الأصوات من أصول اللغة بالكلية, فكأنها أمر عارض في اللغة كأنها العشب الذي يقبع أسفل الشجرة أو كأنها طير يجوز له أحياناً أن يقف على أغصانها. الكلمة اللغوية لابد أن تكون فرعاً تابعاً لأصل أو هي أصل تتفرع عنه الفروع, والكلمة دائماً فيها فكرة ومبنية على فكرة وتحكي حقيقة ومعنى ورابطة وعلاقة طولية أو عرضية. أما حكاية الصوت فإن الصوت وإن كان يدلّ على معنى في النفس, لكنه تمثيل بدني بتلك العاطفة, ولذلك لا تكاد تجد حكاية الأصوات إلا والأصوات تدل على عواطف لا على أفكار. "آه" مثلًا حكاية صوت المتوجع أو المتشوق الذي يُبهم سبب توجعه وموضوع شوقه وما شابه. اللغة حكاية المعقولات, وحكاية ما يرجع إلى معقولات. أما حكاية الأصوات فهي وضع الأصوات في قالب أحرف اللغة, فالأصوات ليست من اللغة لكن يتم وضع أحرف اللغة بإزائها. فأقصى ما يجوز بالنسبة للأصوات وحكايتها هو اعتبارها من حواشي اللغة, والأدق عدم اعتبارها لغة أصلًا. ومما يشهد لذلك أيضاً هو أن حكاية الأصوات مثل تعبيرات الوجه, تكاد تكون مشتركة اشتراكا مطلقاً بين الأمم, بل بعض الحيوانات لعله يطلق نفس بعض الأصوات في نفس المناسبات, ولنركز نظرنا على الناس. فنحن نجد أن العربي مثل الانجليزي مثل السواحيلي, حين يضحكون تتغير وجوههم بنفس الحركة, وحين يتأووه يصدرون نفس الصوت. فكما أن الضحك ليست من اللغة, كذلك التأوه واللفظة التي تحكي صوته ليست من صلب اللغة. اللغات كلمات, وليست أصوات. بدليل أننا نكتب اللغة وليس للمكتوب صوتاً وإنما له صورة, وفوق ذلك قد وجدت بعض اللغات المكتوبة غير الحرفية أي غير القابلة للتكلم بها مثل الهيروغليفية وهي لغة ولغة كتابة. وحتى لو اقتصرنا على اللغة المكتوبة, فإننا نفهم المكتوب دون الحاجة للنطق به, وقد يتقن الأعجمي قراءة العربية أحسن من أكثر العرب لكنه لا يحسن النطق بحروفها كما يفعل أضعف العرب. ثم نحن نتكلم في أنفسنا بكلام نفسي لا صوت له, وأوتار حنجرتنا لا تهتز ولا ألسنتنا تتحرك, ومع ذلك نجد في أنفسنا كلاماً مرتّباً معقولًا. الحاصل أن اللغة في جوهرها كلمات وليست حكاية أصوات, والشاهد الأكبر الميسّر هو أن اللغات كثيرة والأصوات واحدة, ونحن نفهم أصوات الغريب وإن كنّا لا نفهم لغته.

...

لا يوجد عالم من علماء المسلمين ينكر إمامة أهل البيت ورأسهم علي, الإمامة الكبرى المتفرعة عن إمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي يقوم فيها الإمام مقام الرسول عليه السلام مع كونه تابعاً له. وإنما أنكر من أنكر وشكك من شكك لأنهم كانوا مُكرَهين على ذلك, أو كانوا من المنافقين ولا ثالث. ومعظم علماء الأمة كانوا مكرهين على ذلك, وأما اليوم فمجرد اتباع ما تلقوه عن السابقين المكرهين هو أحد أهم أسباب بقاء ذلك الإنكار والتشكيك لأنهم يعتبرون الخروج عن ذلك كأنه نسف لكل ما كان عليه من مضى من العلماء. والحق أن رفض ما قالوه في هذه المسألة لا يعني رفضهم بكل ما قالوه في كل مسألة أو الطعن في أشخاصهم واعتبارهم. الإكراه إكراه, وقد كان يجوز سبّ رسول الله والكفر به تحت الإكراه.

لعلك تقول: هذه دعوى, وأين الدليل على أنهم كانوا مكرهين؟ فنقول: قرائن.

القرينة الأولى أن التنكيل الذي كان يناله من يقول بدعوى تؤدي إلى نقض أساس الحكم والملك في زمانه. والقول بالإمامة على الحد الذي بيّناها القرءان والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يعني نسف مشروعية كل ملك في زمانهم, وهذا مساو للتعرض للقتل بلا خلاف, بل القتل والتنكيل كان من نصيب من فعل أقلّ من ذلك بكثير, والقصص معروفة.

القرينة الثانية أنهم جعلوا الإمامة من أصول الدين لا من فروعه. ولذلك تجد مسائلها في العقيدة وأبواب العقيدة والأصول الكبرى للملة وعليها يتم التفريق بين المذاهب والطوائف. وها هي كتب الفقه فانظر وسترى أن فيها باب الطهارة إلى باب الميراث و القضاء والحدود وغير ذلك ولا تجد أن تعيين القاضي من أصول الدين لكنك تجد تعيين الإمام الأكبر من أصول الدين.

القرينة الثالثة وهي من أهم القرائن أن كل ما يحتاجه إثبات الإمامة النبوية موجود في كلام العلماء ومروياتهم بل والحجج التي احتجوا بها على نقض تلك الإمامة النبوية هي ذاتها الحجج التي تثبتها بوجه أو بآخر, وهذا أمر عجيب. سواء من حيث أسباب الحاجة للإمامة, أو ما كان يحدث من خلاف بين الصحابة في زمان النبي والنبي بين أظهرهم أي الخلاف على تعيين أمير أو حادثة أو نزاع مبني على عصبية. بالإضافة إلى الروايات النبوية في الباب. والأصول التي وضعوها من قبيل أن للشرع حكم في كل حادثة ومسألة, وخصوصاً المسائل التي تعم بها البلوى (وهل حلّت بلوى ولا تزال على رؤوس الأمة إلا وهي ترجع بوجه أو بآخر إلى الإمامة).

القرينة الرابعة هي أن الممارسة العملية المفضلة للعلماء سواء من أهل الطريقة أو الشريعة هي الاختيار والاصطفاء والتعيين من فوق وتعيين رأس الحلقة أو الذي يجلس في كرسي الشيخ أو شيخ الطريقة الجديد. فلا تكاد تجد مذهباً مستمراً إلا وهو مأخوذ بالسند كابراً عن كابر, وفي كل فرصة مواتية وإن كان وجود كبير واحد للمذهب يكون عادة هو الأفضل من التلاميذ والمريدين أو الذي عيّنه الشيخ أو الذي أظهره الله بكرامة, فالأفضلية والتعيين والاختيار الإلهي هي المعايير دوماً في تحديد رئيس الجماعة.

القرينة الخامسة قبول العلماء لولاية العهد المبنية على اختيار الملك أو الأمير السابق للملك والسلطان اللاحق. وعدم اعتراضهم على ذلك.

القرينة السادسة قبول العلماء لاتخاذ إجراءات ولو دموية في سبيل إبقاء الجماعة أي الدولة والمملكة موحدة. فالتوحيد واجب ولو على حساب دماء المسلمين. فلو نظرنا في أهم أسباب التفريق سنجد أنه عدم الأخذ بالإمامة كما حدّها رسول الله صلى الله عليه وسلم, فإنهاء "الفتنة" على الحقيقة وجذرياً لا يكون إلا بالإمامة النبوية. الكل يعلم ذلك ولو لم يجهر به, بل هو أمر معقول يقبله حتى الملاحدة والعلمانيين بمجرد تصوّره وإن كانوا يرفضونه لأسباب أخرى. بل قد رضي بعض العلماء بالإفتاء بقتل واغتيال أولاد السلطان العثماني من أجل الحفاظ على تلك الوحدة (الاصطناعية في الواقع). فإن كان قتل الخوارج وقتل الأبرياء وقتل المعارضين كله جائز في سبيل الحفاظ على وحدة الأمة, حتى إن كان مستند الخوارج في طلب الدولة ومستند المعارضين في معارضة الدولة تساوي في قوّتها إن لم تكن أقوى من مستند أصحاب السلطة الحاليين, كل ذلك جائز ولا يلتفت لسواه في سبيل الحفاظ على الوحدة. فكيف بعد كل ذلك وبعد كل ما شهده العلماء على مر القرون ولا نزال نشهده من اختلاف دموي وطلب للسلطة لا نقول بأن العلماء يوقنون بأن الحل الوحيد لرفع هذا الضلال الأبدي هو اتباع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرناً. معرفتنا بعقول العلماء تمنعنا من تصديق أي نظرية سوى التقية أو العصبية, وكلا من التقية والعصبية تكشف عن حصول المعرفة اليقينية.

وتوجد قرائن ونصوص أخرى لكن هذه هي الفكرة إجمالاً.

ثم نقول: إمامة علي عليه السلام المفترض أن تكون بعد النبي مباشرة. لكن لما حصل ما حصل, ووقع تحريف الأمور وتشوهت قلوب الناس في هذه المسألة, انفرط العقد وانكسر باب الفتنة, ولم تعد لإمامة علي بعد ذلك نفس التأثير المطلوب منها والذي كان من المفترض أن يكون لها منذ البدء. ولذلك حتى علي

لما عرضوا الإمارة عليه لاحقاً رفضها في بادئ الأمر, ولما قبلها على كره وقع فيما وقع فيه من أمور ما كان ينبغي لها أن تقع لو كان الناس يعاملونه كما يعاملون خليفة رسول الله القائم مقام رسول الله وبولاية خاصة من الله, بل كانوا يعاملونه كأنه أمير من الأمراء الذين وضعوهم هم وولايته لا تتعدى حدود رأيهم في نهاية المطاف. فحصل ما حصل. إمامة علي وأهل البيت من الخاصة ليست ولاية بشرية ولكنها ولاية إلهية. ولأنها ولاية إلهية فلابد أن تصدر عن علم, ولابد أن تصدر عن طاعة وليس عن إكراه. ولذلك لم يفرض علي نفسه على المسلمين, لأن الولي الإلهي لا يفرض نفسه قهراً كما أن النبي لم يفرض نفسه قهراً على أهل المدينة. واختيار الناس للإمام معناه في هذا السياق هو اعترافهم وإرادتهم للولي الإلهي. وليس الاختيار بالمعنى الشائع المبني على الجهل والهوى والرأي الفاسد والفرقة الحتمية. الولاية النبوية إلهية المصدر بشرية الاعتراف."وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون".

...

من مقاييس اللغة.

قد كنّا ذكرنا أن اللغة فروع ترتد إلى أصول, لكن هذه الأصول بدورها ترجع إلى جوهر يتم التعبير عنه بطريقة تجريدية هي لغة الشيء والأشياء وعلاقاتها ونسبها وشؤونها. ثم وجدت شاهداً على هذه اللغة من كلام الخليل بن أحمد رحمه الله وآخر من كلام ابن فارس صاحب مقاييس اللغة رحمه الله.

قال الخليل مثلًا في أصل "أم" (كل شيء يُضمّ إليه ما سواه مما يليه فإن العرب تسمّي ذلك الشيء أمّاً). لاحظ التعبير (كل شيء يضم إليه ما سواه مما يليه). عبارة تجريدية عالية.

قال ابن فارس في أصل "أم" (كل قوم نُسبوا إلى شيء وأُضيفوا إليه فهم أُمّة). أيضاً عبارة تجريدية تتكلم بلغة الأشياء ونسبها وعلاقاتها.

الذي نريد القيام به هو اكتشاف وصياغة هذه الجواهر العالية للعربية بنحو أوسع لا بنحو عرضي ولبعض المفردات والمواد دون بعض. قد مهّد لنا الأوائل رحمهم الله الطريق, والله الموفّق لإتمامه. "ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير".

...

الشعراء الأوائل من الحكماء, ولذلك يستشهد بهم العلماء وفي أخطر المواضع مثل تفسير كلام الله والنبي الأولياء. فإن كان ما نعلمه عن أمر الله النازل هو بالقرءان العربي, وكان فهم القرءان يعتمد على فهمنا للكلمات العربية, وكان فهم الكلمات العربية يتم تحديده بواسطة أشخاص, فما أعظم سلطة هؤلاء الأشخاص ! العلماء جعلوا الشعراء ضمن هؤلاء الأشخاص. ومفردات شعرهم وسياقها حجّة عندهم ودليلًا ولا أقلّ يذكرونه في الاستئناس في أضعف الأحوال. ونرى العلماء من أهل الحقيقة والطريقة والشريعة يحتجون بكلام الشعراء ويعتمدون عليه سواء من حيث اللغة أو من حيث القيمة أو من حيث الرمزية أو من حيث البركة. هكذا هم الشعراء وهذه منزلتهم. الآن قارن هذا بحال "شعراء " اليوم لترى الفرق ما بين العرش وما تحت الفرش. "شعراء" اليوم (تفّ من فمك) هم قوم لا يصلحون للاستشهاد بكلامهم على نباح كلب ولا تفسير مقالة في جريدة. يطلبون "التحرر" من "ربقة" الشعر العربي "القديم", وقد تحرروا فعلًا منهم... تحرروا إلى الهاوية.

...

استمعت لحداثي مصري من الغافلين يذكر مسألة أو مسألتين عن أبي حنيفة والشافعي رحمها الله, وينكر ما فيها من شناعة حسب رأيه, ثم قال "كيف تعتبرون هؤلاء أئمة وهم يقولون مثل هذا الكلام".

وصرخ حتى خشيت عليه الجلطة. أقول لأشباه هذا من مدعي العقلانية: رجل أفتى في عشرين ألف مسألة مثلًا, حسناً, أخطأ وجاء بالشنيع في عشر مسائل, في خمسين مسألة, فهي هذا يعني إسقاط 99% الحسنة من كلامه وفقهه. مثل هذا المعيار الذي يسقط الغالبية العظمى من الخير بسبب بعض الزلل والخطأ مهما كان شنيعاً هو شيء لو طبقنا مقتضاه لأسقطنا كل أحد, وأوّلهم هذا الثور الهائج صاحب المقالة.

تنبيه: هذا لا يعني أن الحداثيين والثيران المعاصرين لديهم 99% من الخير. بل هؤلاء من النعمة لو وجدنا لديهم إضافة متميزة بنسبة 1% من كل ما يستفرغونه على رؤوس الناس قولا وكتابة.

...

حين أكلّف نفسي بنفسي بعمل كمّي, كأن أقول "كل يوم سأقرأ عشر صفحات من كتاب كذا", فإني أجد ثقلًا لا يعلم به إلا الله, لم لا ألبث حتى أنقض العزيمة وأترك العمل كلّه. إن كان التكليف مرهقاً للنفس حين يكون من النفس على النفس, فكيف نتصوّر تكليفنا للآخرين سيكون.

أذكر أيام الجامعة (لا أعادها الله ولا أعاد ما يشبهها) كنت أكره أحد الكتب في أصول الفقه, وهو كتاب مختصر جدّاً وليس فيه جدل ولا مناظرة ولا شيء ولكنه أشبه بمقالة في جريدة في ملخصات. ومع ذلك كنت أستثقله. لأني كنت أقرأ وأنا أخشى من مجئ سؤال في الامتحان (امتحنهم الله!) ويوقعني في شيء لا أعلمه ولم أنتبه له. الخوف أعماني عن التعلم وجعلني أركّز على المعلومة. وتركيزي ضعف بسبب الخوف والتوجس والحذر. القضية ليست تعلم الكتاب, القضية إرهاب. المهم, بعد أن خلّصني الله من الامتحان وكان في الجزء الأول من الكتاب فقط والمتعلق بالأدلة الفقهية, وليس بالجزء الثاني منه المتعلق بالألفاظ ومعانيها كالأمر والنهي والمطلق والمقيد وهو الأصعب منهما لا أقل في تلك الأيام كنت أراه كذلك, خرجت من الجامعة وإذا بالسماء تمطر بشدة, وكان ذلك اليوم هو أحد أهم أيام غرق جدة بالأمطار وغرقت الدنيا من حولنا, ومنطقة الجامعة تحديداً نالها ضرر كبير, وفي الطريق وقبل أن أنزل النفق (الحمد لله-فإنني لو نزلت حينها لعلي لم أكن لأكتب الآن هذا الكلام) أُلهمت التوقف فتوقفت على يمين الشارع وانتظرت لأرى ماذا سيحدث. وأثناء الانتظار أخذت كتاب أصول الفقه لأتسلى به. وقد أنهيت الكتاب في أقل من ساعة بدون أي مشقة. حين فرضوه عليّ وأنا أحب المادة ثقل عليه, حين أردت قراءته وفي الوقت الذي أريده تيسر عليّ. إذن الإرادة والوقت المناسب للطالب, هذان هما شرطان حصول التعليم من أجل العلم. وقل مثل ذلك في الكتابة, فإن الذي أكتبه في أسبوع واحد بإرادتي لا يمكن أن أنتج ولا شبيهه في سنة رغماً عنّي.

تطهير التعليم من الإكراه, هذه أوّل مهامنا بعد فهم غاية التعليم وماهيته وطرقه. حين تريد اطلب, حين لا تريد اترك. وهذا لن يحدث طالما أن التعليم بيد الدولة الظالمة, وطالما أن غاية التعليم ليست التعليم وليست مراعاة المتعلم. حين نرعى المتعلم يخرج الخير حتى لو لم نطلبه منه, حين نرى مقاصد أخرى لا يخرج إلا خير يسير معه شر كبير كثير مستطير.

...

بما أن النطق باللغات واحد, أي كل لغة لو اعتدت عليها فستجدها عادية وسلسة. فاللغات واحدة من هذه الجهة. وبما أن التكلم بالفصيحة أفضل وأحكم وأنفع وأيسر في التعبير عن الأمور العالية والمشاعر الدقيقة والخبرات المتنوعة, فإذن التكلم بالفصيحة أولى.

...

قال: ما هي حرية التعبير؟

قلت: أن تكون بيدك سلطة قمع التعبير الذي تكرهه وتبغضه وترفضه, ومع ذلك تتركه ليقول ما يريده.
قال: ولماذا أتركه إن كانت بيدي سلطة قمعه؟
قلت: لواحد من الأسباب التالية أو بتأليف لها. السبب الأول طاعة لربك ودينك الذي يأمرك بذلك. السبب الثاني حتى يبقى التعبير حرّا لك أنت أو لمن يهمك أمرهم في حال انقلبت الأيام وصارت الدولة عليكم لا لكم أو لتعبر عن نفسك في الأماكن التي يكرهك الناس فيها. السبب الثالث حتى لا يثور عليك الناس وتشقى بمحاولة قمع ثوراتهم والتوجس منهم وهذا جهد أعظم من جهد سد أذنيك عن الكلام الذي لا تريد سماعه. السبب الرابع حتى تعرف الناس إذ بذلك يكشفون لك عن عقولهم فتعرفهم وتعرف مطالبهم وأفكارهم وغاياتهم. السبب الخامس حتى تستفيد من الخير الذي قد يقولونه أو تتقي الشر الذي قد يكشفونه ولم تلتفت إليه ولم ينبهك عليه من حولك ممن يشبهك. السبب السادس أن تشعر بجمال الإنصاف والنظر للناس كأمثال لك في الخلق وإخوان لك في الدين ولا تكون عدوا للناس فتحترق بالعداوة بغير حاجة.

...

كوننا نتكلم أحياناً في نفوسنا وأحياناً بألسنتنا (وحين نتكلم بألسنتنا لا يمر الكلام ظاهراً بنفوسنا أي نحن لا نسمعه في نفوسنا ثم نترجم عنه بألسنتنا بل نجد الكلام يبرز مباشرة بأبداننا نطقاً وكتابة) فإن هذا يدل على أن المتكلم الحقيقي لا هو النفس ولا هو اللسان, ولكن هو الروح من فوق النفس والبدن. والروح يشع نور كلامه في النفس وفي البدن. "رب السموات والأرض". الكلام عمل الروح.

...

حين تتكلم أوتكتب في نتيجة, تسلسل في كلامك ولا تأذن لأحد أن يقاطعك بذكر مرحلة متقدمة قبل الفراغ من المرحلة السابقة. لأنك لو فعلت ذلك, وقطعت المراحل, ستجيب بالجواب الصحيح في المرحلة الخامسة مثلًا, لكن ستظهر إشكالات عند من يفكر في جوابك هذا وستضطر حينها لحل تلك الإشكالات أن ترجع للمرحلة الثالثة حيث تركت الأمر واسعاً فيه أكثر من احتمال ولم تفصل فيه فأنتج إشكالات بعد ذلك. حسن التسلسل من حسن التعقل.

...

رفع الخوف عن إنسان يكون برفع أسباب الخوف عنده. لا تقل "لا تخف" إلا إن أزلت علّة الخوف.
فمثلًا الذين يريدون من الطلاب في المدارس حب التعلم, لا يكفي أن تقول لهم ذلك لابد من توفير الظروف الاجتماعية والمعيشية الآمنة لكي يحصل حب التعلم. فالناس تخشى من الرسوب لأنها تخشى من الفضيحة أو من الفقر. اجعل الخطأ أمراً عادياً بل جميلًا, واجعل المعيشة مضمونة بغض النظر عن نتيجة التعلم ولو بالحد الأدنى أو بطريق آخر غير نفس هذا التعلم, وستجد الحبّ يشرق بدرجة أو بأخرى.

...

الرياضيات خطيرة على الطفل. لأن الرياضيات خرافة إلى حد كبير. إذ لا تتناسب مع شيء واقعي وجودي كيفي. وتجربة الإنسان مع الوجود كيفية وليست كمّية إلا بنحو عرضي وهذا هذا الجانب العرضي لابد أن يرتبط بشيء كيفي بوجه أو بآخر. الرياضيات لا معنى لها بالنسبة لمعظم الناس عموماً وللأطفال والصبيان خصوصاً. التعمق في الكيفيات هو أحسن مقدمة للتعلم, وهو أحسن مقدمة أيضاً للرياضيات.

...

أستغرب من بغض الحكومات والمثقفين عندنا من "القرون الوسطى الظلامية" حسب تعبيرهم, ويضربون المثال بالقرون الوسطى الأوربية الظلامية, ومع ذلك حين تنظر في تلك القرون الوسطى وسبب الحكم عليها بأنها "ظلامية" تجد أن نفس تلك الأسباب موجودة عند حكوماتنا وأكثر مثقفينا. مثلًا الرقابة على الكلام ونشر الكتب. كان بابا الكاثوليك ومحاكم تفتيشه تضع قوائم للكتب الممنوعة, وحجّتها في ذلك هي الحفظ على المصلحة العامة وتوحيد الأمة وسلامة عقيدة الناس وذوقهم العام من الأمور الإباحية والفكرية الضالة وما إلى ذلك. أليس هذا عين ما تقوله الحكومات وكثير جداً من المثقفين عندنا, أليست نفس النتيجة ونفس المقدمات أيضاً. والأمثلة كثيرة. قبل أن تشتموا شيئاً, تأكدوا أن لا تشتموا أنفسكم. أو كما قال ابن عباس رحمه الله ما معناه: يقرأ بعض الناس القرءان والقرءان يلعنه. فلا تلعنوا أنفسكم أيها.. المستنيرون.

...

أرسل لي أحد الأصحاب مقالة هذا نصّها {وقد اتسع عالمنا على مستوى الماكرو (الأجرام-النجوم-الكون) وعلى مستوى المايكرو (الذرة-الجزئ...الخ). واتسع نطاق المعرفة بشكل غير مسبوق. فإذا أضفنا إلى هذا مسألة التخصص الدقيق وهي أن العالم الحقيقي هو الذي يعرف مجال تخصصه تمام المعرفة، فإننا تدريجياً نواجه العالم المتخصص الذي يعرف الكثير عن تخصصه الضيق، ويجهل الكثير عن أي شئ آخر، فالعقل الإنساني غير قادر على استيعاب كل شئ. وقد قال أحدهم مازحاً إن التخصص هو أن تزداد معرفة بموضوع تخصصك الضيق، ثم تزداد المعرفة اتساعاً والموضوع ضيقاً إلى أن تعرف كل شئ عن لا شئ!}. انتهى. وأخبرني أنها أعجبته. فأرسلت له التالي:

عن اتساع العالَم: (العالم) كان يمتد إلى ما لا نهاية، وكل ما يسمونه هؤلاء (العالَم) كان أضيق من ذرة رمل بالنسبة للعوالم اللامتناهية التي يعرفها ويؤمن بها الناس ما قبل الحداثة. فما هو الاستاع بالضبط الذي حصل؟ حصل ضيق وتضييق لا مثيل له من قبل.

عن اتساع نطاق المعرفة: من وجه نعم يوجد بعض المعارف فعلًا حصل فيها اتساع. لكن ليس هو الاتساع الذي يبرر كل هذه الضجة. ومعظم ما يجعل هؤلاء يتخيلون أن اتساعاً عظيماً قد حدث هو بسبب كثرة الكلام والأرقام. أما عن المحتوى الفعلي لذلك الكلام، فمعظمه لا يسمى "معرفة" بقدر ما هو تخمين وظنون وتكهنات. أي معرفة والقوم كل يوم يخرجون علينا بنظرية تقول أن المعرفة بالوقائع شبه مستحيلة أو مجرد احتمالات وأن الأمر نسبي وذاتي وآراء نفسانية وخدع عصبية. المسألة أهون مما يقولون.

أما عن فكرة التخصص: فالقوم قد أدخلوا فكرة التخصص الصناعي وفي المصانع في مجال المعرفة. والفرق بينهما كبير. في الصناعة تستطيع أن تتخصص وتتقن عملك، لكن في المعرفة لابد من الشمولية والتوسع وإلا تساخف فكرك وتضاءك فهمك. تأمل في أي علم ومجال وسترى الحاجة إلى غيره من العلوم ولو بدرجة ما. وسترى كيفية انفتاح غُرَف العلوم على بعضها البعض وهي بيت واحد كبير من لا يبنيه كلّه لا يسكن داخله.

...

قال: ما معنى قوله تعالى "ومن ءايته يريكم البرق خوفاً وطمعاً".

نقول: كل ما في الطبيعة آية إلهية, أي أنه مظهر لأسمائه الحسنى ووسيلة للوصول إليه بتجريد العقل. فالاتصال بالطبيعة هو اتصال بالله, ولا يمكن لعبد أن ينال ذات الله من حيث تعاليها وإنما له أن ينال من تجلياتها وهي آياته سبحانه.

(يريكم) هو الذي يريكم. الآية الكبرى هي أنكم ترون الأشياء, القدرة على الرؤية, وجود الرؤية. هذه بحد ذاتها آية. لأن البصير هو الله تعالى لا إله ولا بصير إلا هو. فالرؤية فعل إلهي. وكونكم ترون الأشياء أيا كانت دليل على أنكم خلفاء الله ومجلى لأسماء الله. فأنت أيها الإنسان الآية الكبرى لنفسك. "وفي أنفسكم أفلا تبصرون".

(البرق) ظاهرة خارجية آفاقية. وهي نور يصل بين السماء والأرض وهذه رمزيته الأساسية. فهو عبارة عن النور النازل من السماء إلى الأرض, أي من الروحانيات إلى الجسمانيات. فالبرق هو أوّل تنزلات القرءان في التأويل, ولذلك تكملة الآية تقول "خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء". ومعلوم أن الماء النازل من السماء هو مثل على الوحي النازل إلى الأنبياء والعلماء. فالبرق مقدّمة نزول الوحي. وهو بذلك يدل على الملائكة, مثل تنزّل جبريل وتمثله بشراً سوياً أو تمثل الملائكة لقوم لوط. فهذا النزول يأتي بالبشارة أو النذارة, بالرسالة أو بالدمار. ولذلك قال "خوفاً وطمعاً". كما أن الماء النازل قد يكون سبباً لإحياء الأرض بالثمار أو بالنسبة لبعض المدن قد يكون سبباً للدمار.

(خوفاً وطمعاً) الخوف والطمع انفعال شعور العبد للظاهرة الخارجية. وهنا تأمل: البرق وكل ظاهرة طبيعية لو كانت بحد ذاتها تقتضي شيئاً معيناً لما أنتجت في نفوس الناس شعوراً متناقضاً أو احتملت ذلك. خصوصاً وأن البرق قد يكون مقدمة لشيء لم يتحقق في الطبيعة بعد ومع ذلك تنفعل النفس له بالخوف والطمع, مما يدل أوّلًا على أن للإنسان عقلًا يلاحظ الأشياء قبل تنزلّها وتحققها في آخر مراتب تحققها, وثانياً أن العقل حاكم على الطبيعة وشؤونها وليس العكس, فالطبيعة بحد ذاتها لا تقتضي أن نحكم عليها بأنها خير أو شر, لكن كيفية تفسيرنا للظاهرة وأثرها قبل تحققه وأثرها بعد تنزّله هو الذي يحكم في عمق الأمور كيفية انفعالنا للطبيعة. الخوف والطمع فرع الفكر الإنساني, وليس فرع المظهر الطبيعي. ولذلك نقرأ "خوفاً وطمعاً" على أنها راجعة على الرؤية, أي "يريكم..خوفاً وطمعا" البرق. فالرؤية موصوفة بأنها رؤية خوف أو رؤية طمع, والواسطة هي البرق أو أي مظهر طبيعي. ما فائدة ذلك؟ من فوائده أن نلاحظ أن عقلنا محاط بتفسيراتنا ورغباتنا. فرؤيتنا ليست مجرد رؤية محضة خاصة ل"موضوع" يكمن في الخارج, بل هي رؤية لابد أن يرتبط بها قبل نشوءها أو أثناءها أو بعدها شيء من التفسير والرغبة الشخصية.

قد نسأل بناء على ما مضى: ولماذا لم يقل: يريكم خوفاً وطمعاً البرق؟ ونجيب بأن هذا الترتيب يوحي بأن رؤيتنا بحد ذاتها وبغض النظر عن مواجهتها لشيء ما تتضمن الخوف والطمع, والواقع أن الأمر ليس كذلك. بل الرؤية بسبب مواجهتها لشيء ما تكون رؤية خوف أو رؤية طمع أو كلاهما من وجهين مختلفين. فالترتيب القرءاني للآية يكشف عن هذه الدقيقة. "يريكم البرق خوفاً وطمعا". أولا "يريكم" وهي رؤية بالله والله معنا فيها, ففي كل وعي وإدراك لشيء الله يصحبنا ويكون معنا ولولاه لما أدركنا شيئا. ثم "البرق" والذي نملك عنه مفهوما ما وتصوراً ما وعن كيفية علاقته بنا وتأثيره علينا, ولذلك إن كنا نعتقد مثلًا بأن البرق علامة على غضب الرب علينا فإن انفعالنا سيكون غير انفعالنا لو كنا ملاحدة نعتقد بأن البرق مجرد تضارب أشياء ينتج ضوءا وهكذا في كل اختلاف آخر للتفسير المسبق للطبيعة ككل وعلاقة مظاهرها عموماً بنا ثم تفصيل كل ظاهرة وتفسيرها الخاص في قلوبنا. ففي قوله "يريكم" تكمن تلك الأفكار عن الطبيعة وذواتنا, وتتفعل وتنكشف الأفكار حين نواجه شيئاً ما, وبالنسبة للبرق وخصوصاً لمن هم موضوع خطاب هذه الآيات هو ظاهرة تنتج الخوف والطمع في نفوسهم. فالآية تكشف عن صلة النفس بالطبيعة وتفاعلها معها. والتفاعل كما ترى جوهره الفكر ويتمثل في المشاعر. الحاصل أن العلاقة

بين الإنسان والطبيعة فكرية وشعورية. يوجد اتصال إذن بيننا وبين الطبيعة من هذا الوجه, كأننا شيء واحد وهو كذلك لأننا في الطبيعة وهي فينا, فالاتحاد حاصل على هذا المستوى.
(خوفاً وطمعاً) تدل على علاقة دونية مع الطبيعة. أي كأن الطبيعة تستعبد الإنسان. فهو يخاف منها ويطمع فيها وبسببها. فهذا العبد يرى نفسه مقهوراً للطبيعة, ويرجو خيرها ويتقي شرها. لماذا؟ لأن بقائه وكماله بسببها. أي بقاء وكمال جسمه الطبيعي. فحين يفتقر الإنسان إلى شيء فهذا الشيء يستعبده, ويصير كلما رآه أو رأى شيئاً يتعلق به منه فإنه يصاب بالخوف والطمع, خوف من خروج شيء يعاكس مقصده, وطمع في خروج شيء يوافق مطلبه. الخوف والطمع صفة العبد المفتقر. وحيث أن (البرق) شيء متغير, وكذلك الطبيعة عموماً, فإن العبد سيتقلّب مع الطبيعة وسيبقى فيه الخوف والطمع بسببها. آية الله في هذا الأمر كله على مستويات, منها أنها شاهد على عبودية الإنسان لما هو غيره وفوقه. فالإنسان ليس ربّاً حتى يتصرف بربوبية ويتوهم أنه رب نفسه ولا رب له, فالطبيعة ذاتها تنقض ادعائه الربوبية. والطبيعة هي آية الله وكتاب الله المحفوظ وكلام الله الذي لا يتبدّل بأهواء البشر. فكيف لا يرى الإنسان أنه عبد الله إن كان عبداً لمجلى من مجالي الله وخلقاً من خلق الله. ومنها أن الإنسان سيبقى خائفاً على بقاء شخصه في حال حصر شخصيته في جسمه, لان الجسم مفتقر إلى الطبيعة, والطبيعة متغيرة وفيها آثار سلبية جزئية فضلًا عن السلبية الكبرى التي هي الموت "ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا تعقلون". فالإنسان لا يزال عبداً متغيراً خاسراً ما دام محصوراً في طبيعته. "والعصر إن الإنسان لفي خسر" والعصر هنا هو عصر الزمان وكذلك معنى العصر كما تقول عصرت الفاكهة أو عصرت الشيء بمعنى صغر وخرجت خلاصته المائية منه, والتأويل هو أن الزمان للإنسان كالعصر للزيتون, بعد فترة يستخلص منه نفسه ويبقى قشر جثّته جافاً لا حياة فيه. فمن أراد النجاة من هذا العصر فعليه بالنظر إلى روحانيته وربانيته, فينتقل من عالم الفناء إلى عالم البقاء بنور الروح وكيمياء التعقل. "إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات".

...

قال: لماذا توجد ألسنة كثيرة ولغات ولهجات كثيرة في اللسان الواحد؟ كيف يغير الناس من لهجاتهم وهم يتكلون بلسان واحد؟
أقول: لأن اللسان تابع للعقل والنفس. والعقل والنفس يتبعان الوجود. فكلما تغير تفكير الإنسان ورؤيته وكشفه وشعوره كلما تغيرت لغته ظاهراً وباطناً وتأقلمت مع ذلك التغير. فالفصاحة التامة ترجع إلى الفطرة السليمة التامة. ومن هنا استهجان السادة للهجات العوام كما أنهم يستهجنون عقول نفوس العوام.

...

قال: هل كانت العربية شريفة فنزل بها القرءان أم العربية مثل أي لسان آخر لكنها شرفت بنزول القرءان بها؟
قلت: "ومن ءاياته..اختلاف ألسنتكم". فكل الألسنة من آياته, وكل الألسنة سماوية المنشأ حسب المبدأ. فكل لسان يحتمل نزول قرءان. لكن ما صار عند الناس بعد تبدّل فطرتهم وتغير عقولهم وانتكاس نفوسهم ليس "اللسان" الذي هو آية إلهية وصورة سماوية, بل هو أشبه بالكتاب الإلهي المحرّف والبدن البشري المشوّه. لكن عربية العرب كانت سليمة لم تزل, محفوظة مبادئها وكاملة تجليات أنواعها, فكانت تامة الشرف بحسب الاعتبار الصوري فأنزل الله بها القرءان لتشرف بحسب الاعتبار القدسي. كانت شريفة فازدادت شرفاً. "يزدكم قوة على قوتكم".

...
قال: لماذا نهتم بالعربية؟
قلت: لأن غيرها ليس بأولى منها بالاهتمام, وإتقانها بسط للتفكير من حيث صلته بالكلام, وتعظيمها من شعائر الإسلام, وتأمل أسرارها ودراسة آدابها يُقدّس وينمّي الأحلام.
...
قال: هل القصيدة العربية مفككة مبعثرة لا يربط بين أبياتها رابط ولا فيها تنظيم معنوي؟
قلت: القصيدة العربية مثل الطبيعة, من نظر إلى ظاهرها حسبها مبعثرة, ومن نظر في بواطنها شهدها متّسقة. الشعر من عمق العقل, والعقل لا يتكلم كالذهن, فالذهن يشبه الرياضيات عادة ولا يفهم إلا الصلة الظاهرة البطيئة الساذجة بين الأشياء, بينما العقل يشبه الشمس تمتد أشعتها في كل جهة وتظهر بكل لون فيحسب الغافل أنها كثرة مبعثرة لكن لو تأمل ورجع لوجد مصدراً واحداً وجامعاً لكل تلك الأضواء. نعم لا يوجد موضوع واحد للقصيدة بالمعنى الاختزالي لوحدة الموضوع, بل في كل بيت قد تجد مواضيع فوق مواضيع ومواضيع تحت مواضيع, لكن يوجد إن أردت الوحدة موضوعاً واحداً يجمع لك القصيدة كلها عادة, فهي كما تريد أن تراها لا بمعنى أنك أنت المخترع لتلك الرؤية من العدم بل لأن الوحدة كامنة في لبّ الكَلِم. وإنسان لا يعرف نفسه ولا يدرك أسرار القلب فكيف يعرف حقيقة الشعر ويدرك أسرار العرب.
...
قال: لماذا نجد صعوبة في بعض الكلمات والألفاظ خصوصاً تلك التي ترد في الشعر العربي القديم؟
قلت: في كل الألسنة واللغات, لا يوجد كلمات صعبة وأخرى سهلة. كل كلمة لا نعرفها أو لا نستعملها أو لا نسمعها سنراها صعبة. (كيف حالك) تعتبر صعبة جدّاً بالنسبة للصيني والفرنسي, وسهلة جدا لأي عربي أمّي. ولا يوجد فرق حقيقي بين سهولة كلمة "أسد" كلمة "غضنفر". أو كلمة "اذهبوا" و "افرنقعوا". وسهولة النطق باللفظة لا تعني سهولتها من حيث فهم معناها في نفسها وفي سياقها وإنما يعني سهولتها من حيث النطق فقط من باب أنها لا تحتاج إلى استعمال الكثير من أعضاء النطق وتحريكه بنحو خاص, إلا أنك لو تمرنت عليها مثل أي تمرين رياضي ستتأقلم عضلاتك معها وتجد فيها سهولة كسهولة النطق بالهاء واللام, كما أن الرياضي الذي يطير ويتقلب في الهواء يفعل ذلك بانسيابية كانسيابيتنا أثناء السباحة والجري العادي. الصعوبة ناشئة من الجهل وعدم الممارسة. وكل شيء صعب مع الجهل وعدم الممارسة. كما أنك تسمع لغات لا تعرفها وتشعر بأنها صعبة, في نفس الوقت الذي تشهد فيه أطفال لم يتجاوز الرابعة من العمر ينطقون بتلك اللغات ويفهمونها , وليس للطفل عقل أكبر منك ولا جهاز صوتي أحسن منك. صعوبة اللغات وهم شائع.
أما الكلمات في الشعر العربي الأصيل, فإن الصعوبة قد تجدها حتى في تلك الكلمات التي تفهمها لو انفردت بذاتها. وذلك لأن تركيبة البيت نفسه تختلف في كثير من الحالات عن كيفية تركيبنا للجملة. التقديم والتأخير والاعتراض والتعليق وسط الكلام وما شابه يؤدي إلى ذلك. فالذهن يكون قد اعتاد على صناعة الجمل بنسق خاص, فإذا وجد نسقاً آخر شعر بأن الكلام صعب وغير مرتّب, وهو كذلك بالنسبة له فقط ولأنه لم يتأمله ويفككه ويتمرن على مثله. ولذلك حين نترجم حرفياً وبنفس الترتيب جملة من لغة إلى أخرى نشعر بأنها لغة مجانين لا يحسنون التعبير عن أنفسهم وكلامهم لا يتسق و "التسلسل الطبيعي" للأفكار. وليس كذلك. حتى لغتك أنت لو ترجمتها لكثير من لغات الأمم ستجد ويجدون فيها مثل ذلك. من فوائد الشعر أنه يفكك تلك الصلابة المصطنعة بسبب العادة لتركيبة الجملة. وتحرير العقل

من صياغة واحدة لتركيب الجملة هو تحرير له من التفكير على نسق واحد ضيق أيضاً, ولو بعض الشيء وبقدر ما تحتمله معقولة اللغة الواحدة, إذ يوجد بعض التفكيك لو وقع لقاربت اللغة حد الاستعجام التام.
فإن أردت حلّ هذه القضية فعليك بالتالي: خذ البيت الشعري, وانظر في كل مفردة فيه على حدة, وتأكد من معرفتك لها وابحث عنها في المعجم وتعمق فيها قليلًا. ثم حلل البيت إلى جمل ومقاطع بحسب ما يحتمله ظاهره, وأعد تركيب الجمل بحسب التسلسل الطبيعي الذي اعتدت عليه. ثم افهم كل جملة على حدة. ثم أعد تركيب البيت كما كان وحاول أن تفهم سر تسلسل البيت الأصلي وما الفرق بينه وبين لو كان على التسلسل الذي عملته أنت له. وعمل آخر: اقرأ القصائد بدون تأمل في معناها, اقرأها فقط للتلاوة واجعلها تسبح في وعيك وحاول أن تمشي معها بقدر علمك الحالي باللغة والأفكار, ولا تبالي بأنك لا تفهم شيئاً, دع التسلسل الشعري يصير جزءاً من وعيك ويرسخ في أعماقك ويختلط بدم روحك. بعد فترة من هذه الممارسة ستجد بإذن الله سهولة في قراءة الشعر وفي تأمله ودراسته.

...

عجيب شأن بعض الناس في هذا الزمان مع اللغة العربية: يريدون لغة "سهلة" في إعرابها وساذجة في تعبيرها, مع إغفالهم أن الإعراب والقدرة التركيبية والمعقدة في اللغة إنما هي كذلك من أجل مزيد إبراز للمعاني وتجلية للمقاصد والكشف عن حقائق الظواهر ودقائق المشاعر مع إبقاء اللغة موسيقية بحيث تكون للنفس كالأدوية وللعقل كالأغذية. ففيما يتعلق بأنفسهم وعقولهم يريدون أداة "سهلة ساذجة بسيطة يمكن للإنسان العامي أن يفهمها وينطق بها بسهولة تامة". لكن في المقابل, يريدون استعمال الأدوات والتكنولوجيا المعقدة والمركبة والصعبة التكوين والتي لا يعرف معظم الناس عن كيفية تصنيعها وعملها شيئاً يذكر, ويعتبرون الأداة كلما كانت أعقد وأصعب وأشد إبهاما في ذاتها كلما كانت أعظم وأكمل وأشرف في قيمتها. فاللغة المعقدة عندهم نقمة, بالرغم من قوّتها بالنسبة لعقولهم. والأداة المعقدة عندهم نعمة, بالرغم من إضعافها في كثير من الحالات لقواهم. بدلًا من ترقية العقل وأدواته, وتعميق خاصية الإنسان وهي لغته, وتوسيع دائرة ما به يكون أحسن تواصل ظاهر بين البشرية وهو كلامهم, فإنهم يريدون العكس تماماً ويبدلون نعمة الله كفراً, وأحلّوا أنفسهم وقومهم دار البوار بغفلتهم وإعراضهم عن أشرف منزل من منازل الأنوار وهي الكلمات الفصيحة والألفاظ البليغة.

...

قال النبي صلى الله عليه وسلم أن ليس خيرنا من ترك الدنيا للآخرة ولا من ترك الآخرة للدنيا ولكن خيرنا من أخذ "من هذه وهذه". هذا الحديث خلاصة الأمر كلّه. فإن الإنسان الكامل هو الوسط الجامع بين كل الألوان والأطراف والحدود.
في الإلهيات هو القائم في مقام الإمكان, فيأخذ من الوجود فيصير واجباً, ويأخذ من الممتنع فيصير معدوما, فيجمع بينهما فيصير واجباً بالغير, يتنعّم بكمال وجوب الربوبية, ويفتقر لربّه لشهوده ذاته العدمية.
في النبوات هو صاحب مقام الولاية, فيأخذ من النبوة الأخذ عن الله, ويأخذ من العامّية القبول من رسل الله.
في الشرائع هو المقسط, الذي يعامل باللطف من كان اللطف خير له, ويعامل بالقهر من كان قهر العدل خير له.
وهكذا في كل أمر, يأخذ من كل جانب كماله, ومن كل حضرة حظّه.

ومن هذا المنطق حتى في قراءتي أحب أن يكون لي كتاب عربي وكتاب أعجمي دائماً والانجليزية هي أعجميتي. وأحب أن يكون لي كتاب في الأمور العالية وكتاب في الشؤون الأرضية. وقد يكون كتابي العربي موضوعه علوياً, والآخر سفلياً, أو يكون العربي سفلياً والانجليزي علوياً, حتى يكون جمال العربية معوّضاً عن سفالة الموضوع, وجمال العلم المقدس معوّضا عن كثافة وقبح اللغة.

...

قالت: لماذا في الحج قال بعض العلماء بجواز قول الرفث وقال البعض الآخر بعدم جواز ذلك؟
قلت: الأمر الرباني "فلا رفث" يحتمل القول ولكن الفعل مقطوع به. أي المتفق عليه بين الجميع هو أن فعل الرفث إلى النساء أي الجماع لا يجوز في الحج للمحرم. لكن قول الرفث اختلفوا فيه على قولين ولا اختلاف في الحقيقة بل تكامل. لأن الناس عموماً على قسمين: بعضهم قوله يخفف من رغبته وبعضهم قوله يزيد من رغبته. بعض الناس لو تكلم عن موضوع رغبته يكون ذلك سبباً في تخفيف حدّتها ويشعر وكأنه قضى جزءاً منها نفسياً وخيالياً, بالتالي يكون القول لمثل هذا سبباً للصبر على عدم الخروج على النهي الرباني "لا رفث", فلمثل هذا ورد الحكم بجواز قول الرفث. ومنعوا من قول ذلك عند النساء على أساس أن المرأة في ذلك الزمان كانت فطرتها سليمة ونفسها قوية فحين كانت تسمع بالشهوة تدخل في موضوعها وتستغرق فيها أي أذنها بوابة قوية لنفسها والسماع جزء من عملها. فلو كانت المرأة تحتمل سماع الرفث بشيء من التجرد والإشباع النفساني دون الإقدام على الفعل, فلعلها تلحق بالرجل في الحكم. القول الآخر موضوع بالنسبة للذين يفكرون فيقولون فيفعلون أو تضطرب نفوسهم بالرغبة لحد أنها لا تعي ولا تركز فيما سواها, لمثل هذا القول جزء من الفعل أو باب مشرع للفعل لا عقبة ولا حد و لا سور يقيه الإقدام على الفعل أو التركيز في ما سواه إن لم يفعل وضبط نفسه, فلهذا قالوا لا ترفث قولاً ولا فعلًا. الاختلاف في الأحكام الفقهية راجع إلى اختلاف النفوس البشرية.

...

لو كان وجود النقود -أيا كان شكلها(طعام, ذهب, ورق..الخ) شرطاً ضرورياً لبعث الإنسان على العمل والتخلي عن نتاج عمله وتقديم خدماته, فكيف تم إقناع الناس بالعمل لصناعة النقود واستخراجها قبل وجود النقود ذاتها والاتفاق على جعلها وسيطاً للتبادل.
يبحث أهل الغفلة والمكر في "أفضل وسيط للتبادل" و "كيف ننظم السياسة النقدية للبلاد" وما شابه من أسئلة, ويفترضون بدون أي مبرر وجود النقود وقبول وجود وسيط للتبادل وكأنه أمر ضروري وبديهي وهو الأحسن والأسلم للناس.
وجود النقود فساد الوجود. ولا حلّ لتلك المفاسد, ولذلك إلى يومنا هذا لا زالوا يبحثون عن حلّ لكيفية اتقاء شرور وجود النقود. وإلى سنة 1982 على سبيل المثال, كان ميلتون فريدمان يلقي محاضرات عن رأيه في أحسن سياسة نقدية, ولا يرى أنها الأفضل ويعتبرها "أفضل ما وصل إليه علمنا" مع فتحه لباب البحث عن طريقة أفضل من التي وضعها, وإلى يومنا هذا لم يتغير شيء, ولا تزال الأزمة وراء الأزمة, والانهيار وراء الانهيار, واليوم في فبراير 2018م وقع في يوم واحد انهيار حاد في السوق الأمريكية ثم الأوروبية خسر فيه الناس نحو 4 ترليون دولار من ثروتهم. فما هذا الذي تغير في عقول الناس أو أبدانهم أو في الأرض أو في معرفتهم حتى يخسروا 4 ترليون دولار في ساعات معدودة. ولن تكف الأزمات الصغيرة اليومية والكبيرة العقدية وستتقارب المصائب والانهيارات مع الزمن بالضرورة.
لا حلّ إلا إلغاء وجود وسيط التبادل بالكلية. لا نقول إلغاء الملكية الخاصة كما أراد جهلة الشيوعيين ومحالاتهم, ولا نريد أي شيء سوى إلغاء وسيط التبادل, ثم ترتيب الأمور من هذا المنطلق. إن كان يوجد

زمن مناسب لتحقيق هذه الغاية الكبرى في المعيشة الإنسانية فهو زماننا هذا بسبب وجود الاتصال العالمي بين الناس, ووجود التقنيات, ووجود وعي جيد بالعلاقات الإنسانية من حيث الإنسان إلى حد مقبول يمكن أن نبدأ منه ونوسّعه بإذن الله.

حين أردت أن أذكر مفاسد وجود وسيط تبادل, أي وسيط تبادل كان, ازدحم في قلبي ما أكاد أشعر أنه سبعمائة مثال وشاهد من كل مجال في الحياة: تعليم, زراعة, أسرة, دول, وظائف, دين, وكل ما يخطر وما لا يخطر ببالك.

لا يوجد سبب مقنع لوجود وسيط تبادل. ولا يوجد وسيلة لتحديد أسعار الأشياء والخدمات. ولا يمكن تطبيق نظام استحقاق كل إنسان للشيء أو الخدمة بشرط دفعه للنقود وإلا مات الناس كلّهم في طفولتهم, وباختصار نظرنا في كل تبرير وسبب وحجة وعلة يفترض أنها كافية لوضع وسيط للتبادل وإذا بهم في غاية الضعف والسخف, والتي فيها شيء من القوة أو المعنى تدل بحد ذاتها على السبب العميق لكل المفاسد والمصائب الناتجة عن وجود الوسيط الصناعي. وأحسن حججهم تشبه حجّة مدمن المخدرات الذي يقول "بدون الكوكايين لا أتصوّر كيف يمكن العيش بثقة وقوّة, لا شيء يبعثني على العيش مثل شمّ الكوكايين". وهي كما ترى.

...

(الرسول المعلّم)

عن مالك بن الحويرث رضي لله عنه قال {أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله رحيماً رفيقاً، فلما ظنّ أنا قد اشتقنا أهلنا، سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال "ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلّموهم ومروهم، وصلّوا كما رأيتموني أصلّي، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم}.

نقول:-

١- طلب العلم قد يكون بحركة العالِم تجاه المتعلم، وقد تكون بحركة المتعلم تجاه العالِم. ولكل واحدة محاسنها في ظروف معيّنة، فإن لم تتوفّر تلك الظروف انقلبت الحركة إلى مساوئ وعاد الأمر على العلم والعلماء والطلبة بالثلب والشرّ.

عن حركة العالِم تجاه المتعلم: ما نجده من دعوة النبي لقوهم في الحج والمواسم والأسواق والمساجد والقبائل وإرسال الرسائل. وقد وصف سيدنا علي عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال "طبيب دوّار بطبّه". فهنا الطبيب يدور ليبحث عن من يريد الطبّ الذي هو العلم والتزكية والإرشاد لسبل الرشاد.

عن حركة المتعلم تجاه العالِم: ما نجده من استقبال النبي للقبائل والوفود، ومنه الحديث صدر الكلام. ومنه مثلًا رفض الإمام مالك الذهاب إلى قصر الملك العبّاسي لتعليمه وأمره إياه بالحضور لمجلسه إن أراد الاستماع إعزازاً للعلم.

على أهل العلم تحديد الظروف التي تجعل كل حركة مناسبة ويتقيّدوا بها فيها.

٢-استقبل رسول الله الشببة بدون قيد أو شرط خارجي صناعي، على غرار ما تفعل بعض المنظّمات والجماعات والجامعات التي لا تعطي العلم إلا بعد إخضاع الشخص لشروط وإن كانت معقولة أثناء وضعها لكنها تصبح شكلية لا قيمة معتبرة لها. فالعلم مجاني، والتعليم للمُعلّم كالتنفّس هو من صلب

أغراضه الذاتية، والمتعلم الناجح هو الذي يقدر على الفهم ويثمر التخلق والعمل والإبداع ويستمرّ على ذلك. فمعيار النجاح في العلم يكمن في المتعلم ذاته، وليس بالشكليات. والمعرفة كالمدينة تنفي خبثها.

٣-{فأقمنا عنده}. ما معنى {عنده}؟ لاحظ الفرق بين قولهم {أقمنا عنده} بينما النبي صلى الله عليه وسلم حين أمر الشباب بالرجوع إلى أهليهم قال {فأقيموا فيهم}. الإقامة عند غير الإقامة في. {عند} إقامة الروح، {في} إقامة الجسم. فقد كانوا {عند} النبي روحاً وقلباً وسرّاً، وبقوا عند النبي حتى بعد أن عادوا إلى أهليهم وأقاموا فيهم بظاهر حالهم. كما قال تعالى "ما عند الله خير". فهم أقاموا عند النبي، والنبي مقيم عند الله.

{فأقمنا عنده} إما أنهم أقاموا في المدينة، أقصد الإقامة الظاهرة، وإما أنهم أقاموا في المسجد النبوي. على الاحتمالين، فإن هؤلاء الفقهاء بالحقّ ما عبّروا عن إقامتهم بأنها إقامة في المدينة أو إقامة في المسجد، بل قالوا {فأقمنا عنده}، لأن قيمة المدينة وقيمة المسجد إنما هي لوجود رسول الله فيها.

{فأقمنا عنده} أي اعتنا بنا ورعانا. وفائدة ذلك من وجهين: نفسي ومادي. نفسياً على المعلّم أن يهتم بالمتعلين والمريدين له. مادّياً على المعلّم إن استطاع توفير الحاجات المالية المعيشية للمتعلمين. فالتعليم النبوي مثل كل ما جاء به النبي، لا يوجد فيه فصل بين الأشياء، كل شئ متصل بكل شئ. ومن هنا ومن باب الاستطراد المفيد نذكّر بأنه لا يوجد في نصوص الشريعة نصوص مختصة بالعبادات وأخرى بالمعاملات وثالثة بالأخلاق ورابعة بالاعتقادات. بل كل شئ متصل بكل شئ، ويستحيل أن تجد آية أو حديثاً فيه مثل ذلك الفصل، ولو وجدت شيئاً نادراً فيه شئ من ذلك الفصل فإن فقهك لذلك الحديث وحلّ إشكالاته وفكّ ألغازه لا يكون إلا بالدخول في المجالات الأخرى. مثلًا حديث "لا يبع أحدكم على بيع أخيه" الذي يفترض أنه حديث في كتاب البيع من باب المعاملات التجارية، فإن الحديث كلّه مشحون بالأخلاق والمعنويات وقائم على الأخرويات. فاعتبار البائع الآخر أخاً وليس منافساً، هو أمر ديني معنوي. ترك البيع مع إمكان الربح ينقض فكرة أن الربح الظاهر هو الغاية المطلقة من البيع والتجارة. ثم الحديث يفتح باباً للعلم بالله تعالى، من حيث أن الأسماء الحسنى لا يبيع بعضها على بعض، بمعنى أن الاسم الإلهي حين يتجلّى لا ينقض تجلّيه اسم آخر، بل لكل اسم إشعاعه بغض النظر عن معنى غيره ولو من وجه. وقس على ذلك. لذلك لا يمكن "تقنين الشريعة" إلا بنقض الشريعة وحقيقتها وأبعادها. القانون يناسب البهائم والشريعة تناسب الأوادم. ولما بدأت التعامل مع عامّة المسلمين يتحوّل إلى تعامل مع بهائم وأنعام اسمهم "العوام" صار بعض الفقهاء لا يتحرّج-ولو من حيث لا يشعر-بإطلاق اسم القوانين على أحكام الشريعة، وذلك قبل قرون طويلة وليس أمراً حداثياً. وارتُكِبَ في سبيل ذلك أنواع المغالطات والأباطيل والاختزالات ما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم بتعليمه. ومن ذلك أن الغالبية العظمى من أحكام الشريعة هي أمور لا عقوبة حكومية على عدم القيام بها، أي لا تستند إلى عقوبة بل حتى ولا مثوبة دنيوية بشرية، وإنما تعتمد على الإيمان بالله والآخرة. فاخترع الذين لعنهم الله من "الفقهاء" فأصمهم وأعمى أبصارهم فكرة "التعزير" على كل مخالفة لأمر الرسول ولم يُعيّن لها الرسول عقوبة. حتى صار التعزير هو الشرع، والتعزير راجع إلى رأي القاضي، فصار رأي القاضي هو الشرع الإلهي، لكن بحيلة على الطريقة الحاخامية. الدين للقلّة العاقلة. والمفترض أن يكون المسلمين هم هذه القلّة العاقلة من بين الأمم. ووُضعت الأمور على هذا الأساس. فلما أراد الضالون المضلّون استعمال قوّة سلطة الدين لأغراض استعباد الناس ونهب أموالهم، فعلوا ما فعلوا ووضعوا من الأصول ما وضعوا. وإلى الله المصير.

٤- {فأقمنا عنده عشرين ليلة..قال "ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلّموهم ومروهم"}. بعد عشرين ليلة صار الشببة أئمة يعلّمون ويأمرون. بسبب هذا الحديث وأشباهه يرى بعض السلفية والجهلة في هذا الزمان أن الإنسان لا يحتاج إلى قضاء سنين طويلة من عمره في الدراسة والتأمل والبحث والاجتهاد حتى يصير إماماً وداعية وشيخاً ومفتياً. بل ببضعة أيام أو أسابيع على الأكثر، وبعد قراءة كتيّبات أو كتب في الحديث والفقه ولو قراءة اطلاع يحسب هو فيها أنه صار فقيهاً، يستطيع أن يتصدّر ويؤلف ويدعو ويتكلّم باسم الله ورسوله. ويعتبرون ما سار عليه العلماء بعد ذلك من قضاء عشرات السنوات في التحصيل والرياضة والخلوات والمذاكرات نوعاً من الدجل وصناعة طبقة كهنوتية وما شاكل من تهم. فما قيمة احتجاجهم بمثل هذا الحديث الشريف وأشباهه؟

الجواب وكالعادة: احتجاج سفيه لا يصدر من شبه فقيه. وفاتتهم اعتبارات وأمور متعددة بسبب سطحيتهم وعجلتهم وحتى عدم قراءتهم لظاهر الحديث فضلًا عن بواطنه.

أوّلًا؛ هؤلاء الشببة أقاموا {عند} رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهم يأخذون منه مباشرة، ظاهراً وباطناً، بلسان المقال والأفعال والأحوال. وأما بعد رسول الله، فإن الأمر صار فيه شئ من الإبهام لا أقلّ في بادئ الطلب والسلوك. إذ أكثر الاجتهاد يدور حول أمور لم يكن أولئك الصحابة بحاجة إليها عادة. فمثلًا معرفة القراءة الصحيحة للآيات، أو صحة سند الروايات ودقّة ألفاظ المتون، أو معنى الكلام واحتمالاته ومقصد النبي وغايته. وحيث أنهم يستمعون من النبي، ويأخذون عن النبي، ويفهمون مقصد النبي بإشراف النبي، ويعرفون غاية النبي بتعليم النبي، فكيف يُقاس من هذا حاله بمن ينظر مثلًا في مئات الآلاف من الأحاديث والروايات وهو يشك في أكثرها ويبحث عن الصحيح من الضعيف منها، وهذا كله قبل الخوض في المتون ذاتها، وهذا أيضاً العلم الذهني وليس العلم الحقيقي القلبي.

ثانياً؛ ليس في الحديث، لا أقلّ حسب القراءة العادية له، ما يدلّ على كيفية تعليم النبي لهؤلاء الشباب. فليس في الحديث أنه كان يعلّمهم فقط بالتحدّث إليهم باللغة، إذ للأنبياء القدرة على التعليم بالإيحاء والإفاضة الباطنية الخاصّة التي ينكشف فيها في زمن قصير الشئ الكثير، وتتغيّر بسببها حقائق ونفوس المتعلّمين لا فقط معلومات يتم حشوها في أدمغتهم وذاكرتهم. ومنه قوله تعالى "إن يوماً عند ربّك كألف سنة مما تعدّون". كذلك يوماً عند رسوله، ليس كأيام كثيرة جدّاً بدونه وعند من هو دونه. فقياس جلوس الصحابي عند الرسول بجلوس أي سفيه في هذا الزمان عند من هو أسفه منه من السلفية وأشباههم وقراءة شئ من الكتب والكتيبات واستماع لشئ من كلامهم السخيف، هو قياس لا نقول مع الفارق فقط بل مجرّد صناعة القياس دليل على أن القوم قد فقدوا نور العقل ونور الإحساس.

ثالثاً؛ قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم {ارجعوا..علّموهم ومروهم، صلّوا كما رأيتموني أصلّي} ليس مجرّد ألفاظ. بل كونه أمرهم بذلك وأذن لهم به وأجازهم في التعليم والأمر، فإن همّة النبي وروحانيته وإمداده الخاص وبركته تكون معهم، بل النبي نفسه على الحقيقة يكون معهم، كما قال أبوبكر "تركت لهم الله ورسوله". فمن كان يصدر عن أمر رسول الله، ويفعل بتوجيه وإجازة حبيب الله، ليس تعليمه ولا أمره ولا صلاته مثل غيره ممن يصدر لعله عن هواه ولا يتبع إلا ما يهواه أو حتى لو كان يصدر عن نية حسنة فإن الصادر عن أمر الرسول هو عبد صادق والصادر عن نيّته الحسنة المجرّدة دونه في الدرجة والتأييد والإعانة بلا ريب.

رابعاً؛ قول النبي {علّموهم ومروهم، وصلّوا كما رأيتموني أصلّي} يدلّ فيما يدلّ على أنه أمرهم بأن يعلّموهم ما تعلّموه منه، ويأمروهم بما أمرهم به، ويصلّوا كما رأوه يصلّي، أي ليس للقوم أي ابتداع أو

أي شك في كون المعلومة والأمر والصلاة هي نفس الأشياء التي تلقوها عن رسول الله، بالتالي هم رسل رسول الله. فأين هذا ممن لا يعلم إن كان ما يطالعه من كلام أو ما فهمه من ذلك الكلام هو أصلًا كلام رسول الله أو حتى إن كان قد أصاب مقصد رسول الله. لا مقارنة أصلًا. وبالنسبة للسلفية والإخونجية والوهابية وأشكالهم، فإن اليقين عند أهل القرءان أهل الله وخاصّته حاصل في أن الله ورسوله برئ منهم.

الخلاصة: الناس بين صاحب مكاشفة وصاحب دراسة، أو صاحب مكاشفة ودراسة. فمن كان صاحب مكاشفة، لعل يوماً واحداً يُفتَح له ما يُفتَح لأهل الدراسة في سنوات بل ولا في عمرهم كلّه ولو عمّروا كنوح عليه السلام. والسلفية بأطيافهم السوداء لا يعتقدون بالمكاشفة تلك ولا هم من أهلها أصلًا. فأما صاحب الدراسة، فإنه لا يستطيع أن يفهم ويتمكّن من علوم الطريقة والشريعة إلا بالسنوات وفيها سنوات عجاف ومعاناة ومقاساة، ومن ينظر في سير الفقهاء والمحدثين من السلف الصالح رحمهم الله يجد هذا المعنى بوضوح لا مزيد عليه. وأخيراً: الحديث والمتن الذي يقرأه السلفي المتمسلف الخبيث ويعتبر أنه بمجرد قراءته ومطالعته صار فقيهاً وأهلًا للدعوة إلى الله والتبديع والتفسيق والتكفير، ذلك الحديث ما صحّ عند البخاري مثلًا وذلك المتن ما وضعه الواضع وحرره وأتقنه إلا بعد اجتهاد وجهاد سنوات طويلة صعبة جدّاً. فالكتاب الذي تقرأه أيها الخبيث يشهد بأن جهلك لو مُزِجَ البحر بنتانته لمزجه.

٥-{رحيماً رفيقاً؛ فلما ظنّ أنا قد اشتقنا أهلنا سألنا عمّن تركنا بعدنا فأخبرناه قال ارجعوا}. الرحمة والرفق لهما معنى حقيقي ومظهر مناسب لذلك المعنى. القضية ليست مجرّد رقّة أو تساهل. العبارة السابقة تكشف تجلي الرحمة والرفق النبوي. فقول الراوي {فلما ظنّ أنا قد اشتقنا أهلنا سألنا} تكشف عن شيئين: الأول أن النبي حتى حين ظنّ أن الشباب قد اشتاقوا سألهم عن حالهم، أي ليس على العالِم انتظار التيقن حتى يسأل، بل مجرد الظنّ كافٍ. فهذا من رحمته. ومن رفقه أنه سألهم وتأكد من حالهم وحتى يكون كلامهم شاهد عليهم وسبباً لفهمهم بغاية النبي. ومن رحمته أيضاً ومن فقه الطريقة أنه لم يقل لهم مثلًا أو يقول في نفسه "لا قيمة للأهل والاشتياق للنساء والأولاد بل المهم هو التعلم والتجرّد". وهكذا لو تأملنا الحديث بتفاصيله وغيره سنجد مظاهر الرحم والرفق. ومن هنا نأخذ الأصول التي نحاكم بها فهمنا للآيات والأحاديث في كل المجالات. فحين نعرف أن من أصول الرحمة وأصول الرفق هو كذا وكذا، ثم نعلم أن الشريعة رحمة للمؤمنين والرفق داخل في كل شئ، فعلينا تحكم تلك الأصول في كل اعتباراتنا الشرعية والسلوكية والدعوية.

٦-{وصلّوا كما رأيتموني أصلّي فإذا حضرت الصلاة}. لماذا لم يقل: إذا حضرت الصلاة فصلّوا كما رأيتموني أصلّي؟ أليس هذا هو الترتيب الطبيعي للأمور؟ أولا تحضر الصلاة ثم يصلّون؟

الجواب: لاعتبارات.

الاعتبار الأوّل أن رسم المهندس للعمارة يتم قبل بناء العمارة فعلياً. كذلك معرفة كيفية صلاة النبي والقصد إلى إقامتها يأتي قبل إقامة الصلاة خارجياً. فمجرّد معرفتك بالشئ ونيّتك بالعمل به هو من العمل به، أي تعتبر عند الله أنك عملته وعامل به حتى لو لم تعمله. فالنية عمل بحد ذاتها.

الاعتبار الثاني أنه توجد صلاتان للنبي. صلاة دائمة وصلاة متقطعة. بناء على قوله تعالى "صلاتهم دائمون" و "صلاتهم يحافظون". الصلاة الدائمة هي أن كل حياة النبي صلاة، كما قالوا "كان يذكر الله على كل حال". فهذه الصلاة المتعلقة بالهوية الإلهية، وهي من قوله المطلق "وهو معكم أينما كنتم". الصلاة المتقطعة هي التي تغيب وتحضر، ولها أوقات خاصّة، وهي كالصلوات الخمس، ولذلك عبّر عنها

{فإذا حضرت الصلاة} فقد تحضر وقد تغيب، ولذلك أخّر ذكرها عن الصلاة الأولى الدائمة إذ الدائم خير من المتقطع. وهذه الصلاة هي المتعلقة بالأسماء الرحمانية الرحيمية الجمالية، وهي من قوله المشروط "إني معكم لئن أقمتم الصلاة" وهي المعية الرحيمية الجمالية، فإن الله مع الكل بأسمائه، فالبعض لهم أسماء الجمال وأهل النار لهم أسماء الجلال وهي التي حضرتها تغلب ولا يوجد فصل مطلق بين الأسماء الحسنى وتجلياتها.

٧-{صلّوا كما رأيتموني أصلّي}. في كل صلاة تقيمونها، صلّوا كما رأيتموني أصلّي، لأني أصلّي دائماً، فأنا معكم في كل صلاة ولتكن ذاتي حاضرة مرئية لكم في كل صلواتكم. فالنبي يصلّي حقيقة دائماً، وخواص المقرّبين يصلّون بإمامتهم وبرؤيته كل صلواتهم. ومن هنا قال أحدهم أن النبي لا يغيب عنه طرفة عين ولو غاب عنه لاعتبر نفسه مرتّداً، نعم لأن الصلاة هي الفرق بين المؤمن والكافر، فإذا ترك الصلاة خرج من الإيمان إلى الكفر، وهو لا يرى صلاة إلا بإمامة رسول الله، وكل حياته صلاة ففي كل حياته لا يغيب عنه رسول الله ولو غاب لاعتبر نفسه مرتّداً.

٨-{فإذا حضرت الصلاة}. الصلاة ليست فعلًا من العبد ينشئه من العدم، بل الصلاة هي حضور، أي ذات وشيئ ووجود ونور. الصلاة حضور كوني. وأهل الله يشعرون بتغيّر الجوّ والهواء أيضاً حين تحضر الصلاة. ومن ذلك ما يشعر به الكثير من المسلمين حين يحضر شهر رمضان. الكون كلّه يصلّي، "لله يسجد من في السموات والأرض" "كل قد علم صلاته". والمؤمن العارف هو الذي يصلّي بصلاة الكون ومع الكون وفي مسجد الكون. أما القطب فهو الذي الكون يصلّي بصلاته كما قال أقطاب أهل البيت عليهم السلام "سبّحنا فسبّحت الملائكة".

٩-{فإذا حضرت الصلاة} أي الصلوات الخمس {فليؤذن لكم أحدكم}. لماذا قال: فليؤذن "لكم"، وما المعنى الغائب لو قال: فليؤذن أحدكم، وكفى؟ المعنى: فليؤذن لكم لا عليكم. أي ليكن واحداً منكم، ولتكن غايته في الأذان دعوتكم ورشادكم وخيركم، لا أنه شخص يؤذن من أجل نفسه، كأين يريد كسب سمعه أو جاه أو راتب منكم، فحينها هو يؤذن لنفسه لا لكم. وكذلك لا يكن مرائياً وهمه حسب زعمه دعوة الآخرين للإسلام وإظهار شرف الدين للغير، فإنه حينها يكون مؤذناً للناس لا لكم. المؤذن لابدّ أن يكون مؤذناً لكم، لا لنفسه ولا لغير المسلمين.

١٠-في الأذان قال {أحدكم}، لكن في الإمامة قال {أكبركم}. فالأذان لكل مؤمن صادق، لكن الإمامة للعالِم الأكبر. فالأذان فيه معنى المساواة، والإمامة فيها معنى المفاضلة. وحيث أن الحقيقة من وجه هي المساواة كما قال في الرسل "لا نفرق بين أحد من رسله"، ومن وجه آخر هي المفاضلة "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض"، فإن الصلاة هي هي "الدعوة التامة" جمعت بين الاعتبارين ووحدت بين الحقيقتين.

الأذان إخبار عن موجود، لكن الإمام مُقدّم وفد المؤمنين على الله تعالى. ولذلك كل من علم الخبر يستطيع تبليغه، "بلّغوا عنّي ولو آية" فهذا تبليغ الظاهر. لكن الإمامة أعمق وأخطر، إذ "الصلاة معراج المؤمن" والمؤمنين، والإمام هو جبريل هذا المعراج، ونفسه هي براق المؤمنين، فحدّ صلاة المؤمنين ودرجتها لا يعلو على حدّ صلاة الإمام ودرجتها. وحيث أن المطلوب هو الدرجة العليا، "اسألوا الله الفردوس فإنه

أعلى الجنّة"، فلابد أن يكون الإمام هو أكبر الجماعة في العلم بالله والأحوال مع الله والاتباع لرسول الله والحبّ لله ولرسول الله ولأولياء الله.

١١-{ليؤمكم أكبركم}. وضع النبي معايير للإمامة، على رأسها ثلاثة.

الأول؛الأكبرية، أي إمامة الفاضل لا إمامة المفضول. وليذهب من يقول بإمامة المفضول مع معرفة ووجود الفاضل إلى حيث ألقت. الإمامة للأكبر والأفضل والأعلم والأقرأ. الإمامة للأعلى. وكفّوا عن تحريف شرع الله من أجل أعداء الله وخصوم رسول الله يوم لقاء الله.

الثاني؛الاستمرارية. فالنبي لم يعيّن أحد الشباب ليكون الإمام، لأن هذا الإمام قد يموت أو يمرض أو يسافر، وهكذا قد يدخل في الجماعة مسلمين جدد لعل أحدهم يصير أكبر من هؤلاء الشببة. فأسلم طريقة لهذه الحالة وفيما يتعلق بالإمامة الصغرى التابعة لإمامة رسول الله الكبرى، هي وضع معيار الأكبرية حتى تبقى الإمامة مستمرة فيهم على الأصل الأشرف، ولو وضع غير ذلك لهم لانقطعت الإمامة وهو أمر مرفوض في دين الله. "من مات لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية".

الثالث؛ الطواعية. قال لهم {ليؤمكم} أي اقبلوا واختاروا أن يؤمكم أكبركم. فاقبلوه طوعاً لا كرهاً لأني أمرتكم بذلك. وقد لعن رسول الله الذين يؤم أناساً وهم له كارهون. وليسمع ذلك أنصار الطغاة والذين يجعلون الأئمة على الناس بغير أمر رسول الله وبغير إرادة المسلمين لهم بناء على علمهم وقبولهم. لا إكراه في الإمامة، لا الصغرى ولا الكبرى، ولا أي إمامة مرتبطة بالدين. إنما يوجد الإكراه والجهل في إمامة الذين قال الله فيهم "وجعلنا منهم أئمة يدعون إلى النار".

١٢-{ليؤمّكم أكبركم}. هذا يعني أنه على المسلمين أن يعترفوا بوجود أكبر منهم بينهم. وهذا أمر عظيم. المؤمن فقط هو الذي يقدر على اكتشاف والاعتراف بمن هو أكبر منه. أما الكافر فلا يرى الناس إلا مثله أو دونه، فمحسنهم يرى الناس مثله وأكثرهم يرون الناس دونهم. المؤمن يرى الله الكبير المتعال، ويرى نفسه، فيرى بالضرورة درجات بينه وبينه من الكائنات التي لها كمالات، ولو بالإمكان. "يخافون ربّهم من فوقهم". ولا سعي لكمال إلا بعد رؤية ما هو أكمل منك، فالقاعدة أن كل من لا يرى من وما هو أكبر منه فهو جاهل مقصّر.

تبقى مسألة كيفية تحديد الأكبر، ونتركها الآن لأن ما مضى هو ما جرى في ليلة الجمعة الماضية أثناء مجلسنا، وإنما كتبت اليوم ما بقي في خاطري من الأمس وشئ مما فتح في الحال. والله الموفّق.

...

تفسير الظاهرة لا يمكن بشئ ظاهر، وكل تفسير من هذا القبيل قاصر.

فمثلًا، لو أردنا تفسير إقبال بعض الناس على الدنيا إقبالًا شديداً، فقد يقول البعض "لأنهم لا يملكون الدنيا ويعانون من الجوع والفقر والاضطراب المعيشي، وحيث أن النفس تتعلّق بما لا تملك وتحتاجه، فإن إقبالهم على الدنيا يكون بقدر افتقارهم إليها وحاجتهم لها". فهذا التفسير يفترض أن الفقر هو سبب الإقبال على الدنيا. حسناً. لننظر في الجهة المقابلة للأغنياء، وسنرى أن فيهم أيضاً من يقبل على الدنيا إقبالًا شديداً كأولئك الفقراء، فحين نسأل عباقرة "التفسير العلمي" للأشياء، سيقولون لنا "لأنهم يملكون الدنيا وتذوقوا لذتها وشاهدوا جمالها، والنفس تتعلّق بما تملكه ويعلي من قدرها

وتخشى فراقه لأنها ترى فيه انحطاطاً من قيمتها وكسراً لعادتها، فإن الثري يتعلّق بالدنيا بقدر ثروته". فهذا تفسير يفترض أن الثراء هو سبب الإقبال على الدنيا.

مثال آخر قريب من السابق، لو أردنا تفسير زهد الناس في الدنيا. سيقول البعض "الذين لا يملكون الدنيا يزهدون فيها لإرضاء أنفسهم وتسليتها عن فقدانها". فهذا التفسير يفترض أن الفقر هو سبب الزهد والزهد ما هو إلا تبرير نفساني للفقر للفقير. لكن البعض الآخر سيقول حين يرى الثري والملك وصاحب الشهرة والجاه بل حتى الكثير من شباب وشابات الطبقة الوسطى ماليا وفوق المتوسطة بل حتى العليا الذين يتركون الكثير من الأطعمة والأشربة طوعاً وبإرادتهم بل وبمحاربة أبائهم الذين يجبرونهم ويدعونهم إلى تناول الأشياء الشهية وترك تلك الحمية القاسية وحرمان النفس من لذاتها، سيقول لنا بعض "الأذكياء" الحداثيين مفسّراً هذا المسلك "لأن الثري يملك الدنيا وشبع منها، وكل من شبع من شئ زهد فيه، والنفس ترغب في الغريب والجديد وما لا تملكه، وحيث أن هؤلاء جرّبوا الماديات فإنهم يطلبون ما فوقها وما يخالفها".

والأمثلة كثيرة على تفسير الظاهرة الواحدة بالشئ ونقيضه. نعم، قد يكون لتلك التفسيرات شئ من القيمة من وجه، لكنها لا تفسّر الظاهرة تمام التفسير، لأننا لا نستطيع أن ننسب الظاهرة الواحدة للشئ ونقيضه، إذ المفترض أن العلل المختلفة تنتج معلولات مختلفة، وهذا معلوم. فلابد في أقلّ الأحوال أن ينضم إلى تلك التفاسير عوامل أخرى. نعم قد يكون ملك الدنيا سبباً للإقبال على الدنيا أو الزهد في الدنيا، لكن بشرط توفّر عوامل أخرى، فلا يمكن تفسير الإقبال أو الزهد بمجرّد الملك، لأن المقبل والزاهد يملكها، هذا مثل تفسير الحراراة والبرودة بوجود النار ومن نفس الوجه وبدون إضافة أي عامل آخر. معظم الآراء المتعلقة بتفسير شؤون الناس وحوادث الدنيا يرجع إلى ذلك الأسلوب العقيم والاختزالي.

...

قال: هل نسلّم على غير المسلمين كاليهود والنصارى والملحدين، فإني استمعت لبعض المشايخ يقولون بعدم جواز التسليم عليهم وأن نبدأهم بالسلام؟

قلت: أما السلام، فإن كانوا من العالمين فإنهم من ورثة المرسلين وقد قال الله "سلام على المرسلين". وإن كانوا من الجاهلين فيقول عباد الرحمن "سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين". وأما البدء بالسلام، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام البادئ أفضل، والمفترض أن المسلم أفضل من غيره وأعقل.

...

قال: ما فائدة بحث مسألة الإمامة التاريخية التي عفا عليها الزمن، وما الفائدة من معرفة إن كانت إمامة علي هي الحق أم إمامة أبي بكر؟

قلت: فائدتها في قوله تعالى "إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم". والأمّة محرومة من الإمام النبوي من العترة الطاهرة بسبب أنها لا تزال تعتقد بنفس الأفكار التي تسبب في سالف الزمان بإقصائهم عن القيام بإمامتهم فينا ظاهراً. نحن ننقض الأفكار حتى تتغيّر الآثار. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم "لن تضلّوا بعده أبداً"، فكان ترك القرءآن أو ترك العترة التي رأسها علي عليه السلام هو سبب للضلال الأبدي الذي لن ينصلح في أي زمان مهما حصل ومن كان له أمل فهو بلا عقل، والتاريخ كلّه وحاضرنا يشهد بصدق كلمة نبي الله صلى الله عليه وسلم. ولذلك نحن ندعو إلى القرءان، وندعو إلى العترة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ونردّ كل فكرة تدعو إلى غير ذلك، ولعل الله يرفع ما بنا حينها، كما قال الإمام الرفاعي رضي الله عنه في حزب الفرج "اللهم بجاه الحسين وأخيه، وجدّه وأبيه، وأمّه وبنيه، فرّج عنّا وعن المسلمين ما نحن فيه". ولا فرج بغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم.

...
يرى البعض بأن مبايعة ستّة أشخاص لفرد كافية في عقد البيعة له، ويستدلّون بأن عمر بن الخطاب قام بذلك حين اختار الستّة. أقول: هذا كلام باطل من كل وجه. فمن وجه عمر قد أمر بضرب عنق بعض الستّة في حالة خلافه على الآخرين بعد اتفاقهم، بالتالي كان يرى حصول البيعة بأقلّ من ستّة. ومن وجه آخر وهو الأهمّ، فإن العدد ستّة ليس عدداً سحرياً ولا وراءه سرّاً إلهياً على أساسه اختار عمر الستّة بدلًا من سبعة أو ستمائة، ولكنه كما قال كان يرى أن هؤلاء الستة هم الذين سيقع اختيار الناس واختلافهم عليهم في زمنه، فجمع كل من يمكن أن يرضا بهم الناس (هذا شرط)، ورأى عمر أن هؤلاء الستّة توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض (وهذا شرطه الثاني)، وبناء على ذلك قرر جعلها في ستّة، ولعل الشرط الأول كان هو الأمكن في نفسه وقد قدّمه في كلامه وتبريره لفعلته. فالاستناد على فعل عمر كسابقة في باب الإمامة وجعلها أصلًا شرعياً هو رأي السفهاء وعمل الأغبياء.

...
سارع إلى الاعتراف بخطئك؛ فإن كنت محسناً ثبت إحسانك وارتفعت درجتك برؤيتك لتقصيرك وعدم تكبّرك. وإن كنت مسيئاً سارعت في تدارك زللك وثبت عند الله والناس عذرك. العاقل يقرّ بالخطأ حتى حين لا يخطئ فيطهر قلبه، والجاهل يقاوم الاعتراف حتى حين يخطئ فيدمّره أسلوبه.

...

لكل مفردة مترادفة زاوية متفرّدة.
(مترادفة) تعني وصف الشيء من جهة من جهاته أو حيثية من حيثياته. لأن الشيء الموجود لا يمكن اختزاله واختزال التعبير عنه من وجه واحد. فالموجود معقّد مركّب متشابك متّصل. ولذلك توجد المترادفات. هي مترادفات بمعنى قصدها إلى وصف شيء واحد, سواء كان ذلك الشيء هو الجنس الذي تحته أنواع, أو نوع من الأنواع لكن بالنظر إلى شخص من أشخاص النوع, أو الشخص الواحد من حيث النظر إلى سبب من أسبابه أو أثر من آثاره أو خاصية من خصائصه أو بعض من يجاوره ويقترن به وغير ذلك من حيثيات.
(متفرّدة) بمعنى أنها تصف الشيء بوجه تتفرّد به دون غيرها من المترادفات.
مثلًا مفردات مثل (كلام, حديث, نطق, لفظ, قول). هي مترادفات من جهة, ومختلفات من جهة. وكل مفردة تتفرّد بوصف للشيء العام الذي هو ظاهرة خروج شيء من شيء ليعبّر بواسطته عن شيء بعلامة مناسبة له في العرف.
الكلام من الكلم الذي هو الجرح, والجرح أثر ظاهر ينتبه له المجروح ويبقى فيه. كذلك الكلام هو وصف تلك الظاهرة من حيث أثرها في المتلقين له.
الحديث من الحدث والحدوث وهو حصول شيء بعد عدمه النسبي. كذلك الحديث حين تسمعه هو شيء طارئ على الوجود, وكذلك نلاحظ حدوثه من فم المتحدث.
النطق تسمية لعملية إخراج المنطوق من فم الناطق.
اللفظ تسمية المفردة البارزة من المتلفظ والمنفصلة عنه.
القول تسمية المفردة البارزة من القائل لكن باعتبار اشتمالها على فكرة أو حكم.
هذه مجرد خطوط عريضة كأمثلة ولم نحررها وندقق فيها, وأحسب أن الفكرة اتضحت. فالفروق اللغوية وهي موضوع معروف لابد من تحريره أكثر والاعتماد على الاستقراء الواسع والأهم من ذلك على اعتماد

النصوص القطعية في اللغة والتي لها دلالات قاطعة على معنى اللغة مثل القرءان والحديث الشريف وكلام المعصومين.

...

لا نتوقف عن المعرفة والكتابة وعقد المجالس ما بقينا وقدرنا بإذن الله. مهما كانت المشاكل السياسية والاجتماعية والمالية الحاصلة لنا أو لغيرنا أو للأمة برمّتها. ولا يقال "الناس يعيشون في مشكلة فكفّوا عن إثارة الأفكار والانشغال بالكلام". لأن المعرفة هي علاج كل شيء, وهي الحلّ وكل مشكلة لا تحلّها فهي مشكلة لا حلّ لها. وكذلك الكتابة هي الباقية, وكل المشاكل وكل الملاعين الذين يختلقونها ويدخلون فيها ويُدخلون الناس معهم في معمعتها سيذهبون إلى القبر أو جهنم وبئس المصير ولن يبقى في الدنيا أثر معتبر لكل تلك الجهود التي ذهبت أدراج الرياح كما ذهبت كل مؤامرات وسياسات وألاعيب وخطط الماضين والأولين واليوم العالَم باق كأنهم لم يوجدوا ونسيتهم العقول وتغافل عنهم الناس وصار من يذكرهم إما يذكرهم ليلعنهم ويشتمهم وإما ليستغلّهم في مزيد من الأغراض القبيحة والاستنان بسنّتهم السيئة حتى تزداد أزوارهم وتتضاعف ظلمتهم. نحن نبقى على طريقنا بعون الله, وبعد فترة يبقى خلفاء اسم الصمد صامدين, ويفنى من سواهم من الجاهلين.

...

قرأت مقدمة شخص يقلب بالحداد لرواية الجريمة والعقاب لدستويفزكي, فوجدته في وصفه للكاتب يذكر الشيء ونقيضه. أما الشيء فهو الواقع, وهو أن الكاتب ولد فقيراً وعاش تعيساً وكبر مديوناً معدماً وصار إلى السجن مقهوراً معذّباً واغترب متشائماً مكتئباً, وكان يكتب لأنه يريد لقمة العيش وتسديد ديونه من جهة وللتعبير عن معاناته ورغباته السوداوية ومشاهداته الظلمانية من جهة أخرى, فكان يعبّر عن نفسه ليرتاح قليلًا ويطلب المال ليعيش قليلًا, وعاشر امرأة في العشرينات وسافر معها لأوربا ثم تركته, وانخرط في حزب ثوري معارض للقصير ونظام الحكم مما أدى إلى سجنه ثم خرج من السجن وانضم إلى الجيش القيصري الذي كان يعارضه وأكل منه. باختصار كان كئيباً انتهازياً مادّياً لكن وهبه الله القدرة على التعبير الحسن في قومه. وعلى هذا النسق تجد المقدّمة. لكن في المقدّمة أيضاً تجد صورة مناقضة لذلك, لأن الصورة السابقة الواقعية لا تداعب الفتحة الشرجية لكاتب المقدمة ولا تجعله يشعر بالإغراء والإثارة بما فيه الكفاية, فيبدأ بتحويل الروائي إلى شخصية أكاد أقول شبه مقدّسة لكنه جعلها مقدّسة فعلياً- لا أقل حسب معايير القداسة عند المشيحيين اليسوعيين ومن شابههم في تعظيم الضعف والفقر والعدم وقول الشيء ونقيضه لأنهم لا يريدون الشيء ولا نقيضه بل يريدون شيئاً مغايراً لا علاقة له بهما مثل المال والسلطة لكنهم يخفون ذلك تحت ستار رفض الظلم والقهر. فيصير الروائي عند كاتب المقدمة شخصاً يقف ضد الظلم والفقر والطبقات العالية, وهو إنسان "يعشق الفقر وتآخى المعاناة" (كدت أتقيأ في فمي بعد قراءة هذه الجملة لكن لله الحمد قرأتها في الصباح قبل تناول الفطور فكانت معدتي خالية) ثم لم يستح الكاتب أن يذكر "عشق" دوستيفسكي للفقر، بالرغم من قول الكاتب نفسه في الصفحة المقابلة أن الروائي كان يرغب في أن يتحرر من بؤسه وعذابه، فهل يعشق الفقر ويريد أن يتحرر منه في آن واحد، أمريض أنت أم ماذا؟ . وهو أيضاً إنسان يريد تحرير كل الناس, ويعتبر كل إنسان على وجه الأرض إخوة له. ويتمنى لو "يبذل ذاته من أجل الآخرين" (نسي الكاتب تكملة الجملة بكلمة: على الصليب. على ما يبدو. لكن لا بأس, نكملها نحن له بوحي منه). وبعد ذلك لا يستحي الكاتب ذاته بعد أن حوّل الروائي طالب الدنيا بكتاباته بدلا من طلب وظيفة تعينه على إعالة نفسه وشراء الشاي الذي كان يتمناه من أبيه, مثله مثل أي فقير ومحتاج وإنسان يحترم نفسه في هذه الأرض, كلا, الروائي

صار عند مؤلف المقدمة الذي فيه نزعة شيوعية واضحة تكاد تجعل الروس هم "اليهود الذين منهم يأتي الخلاص" للعالَم حسب قول يسوع القوم, ويجعل الروئي "رسول الروس للعالم", ولا يستحي بعد كل ذلك أن يذكر حقيقة مثل انخراط الروائي في الجيش القيصري, لا أدري لعله أراد تحرير الناس جميعاً من هناك. بل ولا يستحي أن ينقل في نفس الصفحة ما يلي "لكنه سرعان ما يعود" أي ما يعود الروائي "ليتقوقع على ذاته, متسائلًا: ما الذي يجمعني بهؤلاء الناس الذين يهدرون الوقت. أصحاب التطلعات السخيفة". كيف لم يلتفت كاتب المقدمة إلى هذه النظرة الاحتقارية والاستعلائية عند الروائي, وهل هذه نظرة تتفق مع تلك المحبة اللانهائية غير المشروطة والتحريرية المطلقة التي ينسبها له زوراً. الحاصل علينا أن ننزل الناس منازلهم. الروائي ليس نبياً ولا مخلّصاً ولا يحزنون. هو صاحب موهبة في الوصف اللغوي وشيء من الفكر, عنده الكثير من المادة الخام التي ينحت منها رواياته ومصدره حياته التعيسة. وبدلًا من الانتحار على ما يبدو قرر الكتابة, وطلب بها النقود بدلًا من كسب عيشه بيده وعرق جبينه كما يفعل الشرفاء المستقلون عادة. فهو من هذه الجهة منحطّ, يقضي وقته بالصراخ على الدفاتر واستنزاف المحابر بدلًا من السعي في كسب شريف وعمل نظيف. اشكروه على رواياته, ولا ترفعوه فوق قدره.

...

سمعت أعرابياً (عربي جاهل) يستدل بتقييد الدولة الألمانية الحالية لحرية التعبير وذلك بفرضها عقوبة على كل من ينطق باسم هتلر في سياق معين على ما يبدو أو يطلق التحية النازية. ويستدل بذلك على جواز تقييد حرية التعبير. أقول: أولا هؤلاء ليسوا قدوة لنا لا في عروبة ولا في إسلام. ثانياً الألمان كانوا نازية وعلى ما يبدو بقوا نازية بلون آخر, فإنهم يفرضون كالنازيين القيود على التعبير بل ويستعملون نفس التبرير. على ما يبدو أن الدولة الألمانية تريد التكفير عن ذنوب أبائها فارتكبت مثلها لكن بنحو يرضي أعداء أبائها. خطوة للأمام, وخطوة للخلف, ومكانك سر. ويستمرّ رقص النازية في الدولة الألمانية.

...

قال: كيف تعتقد بالمعاد وسلامتك فيه؟

قلت: بثلاث قصص.

حين كنت في آخر سنة في المدرسة, أدخلني الله في الطريقة في الصيف السابق على تلك السنة. وفي بدايتها كنت أريد أن أكون الأول على الدفعة, وسألت الله ذلك بإلحاح. في نهاية الفصل دعوت لصاحب لي ليكون هو الأوّل بناء على قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي أُلهمته حين كانت أبواب قبول الدعاء مفتوحة لي عن نيل الإنسان نفس ما يدعوه لأخيه بظهر الغيب. وفعلًا تخرّجت أنا وهو بنسبة 99.11%. هذه واحدة.

الثانية حين كنت في عمان قبل سنتين تقريباً, في قرية راس الحدّ في إجازة, ذهبت إلى دكان لتفصيل ثياب عمانية. وكان سقف الدكان غير بعيد, و على السقف توجد مروحة كبيرة قوية, لكني لم أنتبه لها حين أردت أن أنزع الثوب الذي كنت أقيسه كتجربة, فرفعت يدي للأعلى وأصابعي ممدودة وإذا بها-حسب صراخ من في الدكان حين أرادوا تنبيهي-تقترب وكأنها لمست المروحة التي كانت ستقطع أصابع يدي اليمنى التي أكتب بها إلى قطع الله أعلم بعددها وهيئتها. حتى أنهم تعجبوا من عدم حصول القطع فعلًا لأن أصابعي بدت وكأنها قد لمست المروحة فعلًا.

الثالثة قبل بضعة أيام رجعت إلى البيت بعد الدوام ودخلت الحمام وجلست وأخذت الكتاب لأقرأ حسب العادة, وأثناء قراءتي للكتاب والذي كان يتحدث عن العمليات الذهنية والتفكير السريع والبطئ لرجل

حاصل على جائزة نوبل, مرّ بخاطري رجل مروراً سريعاً خاطفاً لكني شعرت ببروزه على صفحة وعيي ثم اختفى ولم ألتفت له في حينه لكني شعرت به وأكملت القراءة, ولم يخطر هذا الرجل ببالي طول اليوم ولا الذي قبله ولا في أي يوم قبل ذلك إلا في تلك اللحظة تحديداً بدون أي سبب ظاهر أو باطن يستدعي ذلك وفي ذلك الوقت وفي تلك الحالة وأثناء ذاك العمل والانشغال الفكري في موضوع جديد معقد. فلما خرجت من الحمام, وذهبت إلى جهة مكتبي, أخذت الجوال وإذا بذلك الرجل قد اتصل بي قبل سبع دقائق وهي الفترة التي خطر ببالي فيها.

قال: ما علاقة هذه القصص بسؤالي؟

قلت: إن كان الله تعالى يجيب دعائي في ما أريده من شهادة مدرسية سخيفة, أو حين يحرس أصابع يد بدني المهين الفاني من الهلاك بحسن العناية, أو حين يلهمني غيباً غير متوقعاً وفي أمر ليس له قيمة, فكم بالأحرى أن أجد برد اليقين في أنه سيستجيب لي دعائي بالجنة ويحرس نفسي من فناء الميتة ويصدق ما يعلّمني ويشهدني إياه من أمور الآخرة. إن كانت رحمته تبلغ الصغير الفاني الجزئي فكما بالأحرى أن تبلغ الكبير الباقي الكلّي.

...

الكُتّاب أربعة:

كاتب يشرح الأمور العظيمة بلغة سهلة, فهذا عظيم ينفع لتعليم الأمّة.

وكاتب يذكر الأمور العظيمة بلغة عظيمة, فهذا إمام لهداية وتذكير الأئمة.

وكاتب يذكر الأمور السخيفة بلغة سخيفة, فهذا سفيه وعدو وسبباً لهلاك العقل.

وكاتب يذكر الأمور السخيفة بلغة معقدة, فهذا هو الحداثي وهو في الدرك الأسفل.

...

أرسل لي أحد السادة من أهل جدة رسالة فيها دعاء نزول الغيث. فأجبته: جزاك الله خير يا سيد. نحن في زمن الحاجة فيه إلى ماء ميراث الأنبياء الذي هو غيث العقول. أما غيث ماء الأبدان فحيجبلنا السيول.

...

"العصر" لا أثر له على القلوب والأفكار. بدليل أننا في عصر يقول الكثير من أدعياء "روح العصر" و "التطور والتقدم" بأنه لا يزال الكثير جدا من الناس يعيشون بأفكار تخالف روح العصر والتطور والتقدم المزعوم. كل من ادعى أن للعصر أفكار تناسبه فهو أفاك عتيق وحمار عريق.

الدليل الآخر على عدم وجود تقدّم في مسيرة الاجتماع البشري ككل, هو اختلاف درجات "التقدّم" أيا كان معناه في كل زمن بحيث يوجد أفراد وجماعات وبلدان أكثر "تقدماً" من غيرها بناء على ذلك المعيار. ففي الزمن الواحد يوجد المتقدم والمتخلف, فإذن الزمن بحد ذاته لا يوجب تقدّماً ولا تخلّفاً.

دليل ثالث على ذلك لو نظرنا في ISIS. فهذه الكلمة مرّت بثلاث مراحل عبر العصور. بدأت بكونها كلمة تعبّر عن إله يبعث الحياة ويفتح باب الخلود ويشفي الناس ويحمي المملكة والطبيعة وعن حرية الإرادة تجاه القضاء الكوني والزواج وحراسة المسافرين في البحر. إله ومبدأ وصل من مصر إلى اليونان وروما فجمع بين الشرق والغرب وبين الحضارات المختلفة, إجمالاً إله الحكمة والذكاء والعدل. ثم جاء اليسوعية في القرن الخامس حسب تاريخهم وانتهى الأمر بأتباع اليسوعية إلى الإلحاد في الغرب ونشأت مجلّة اسمها ISIS في 1913م تتحدث عن مواضيع دنيوية تاريخياً وفكرياً. ثم وبسبب الغرب وبدعم ولو غير مباشر منه نشأت مجموعة اختصروا اسمها في ISIS وهي داعش والتي تعبّر عن آخر مستوى

انحطاط في الفكر الدنيوي والسعي المادي الغبي الانتهازي. فأين أيزيس المصرية العظيمة من أيزيس العلموية الدنيوية وأيزيس الإجرامية الخارجية. فكيف يقال بوجود تقدّم في التاريخ البشري والأمر على هذا النحو.
الشيء الوحيد الذي تقدّم هو تقدّم هؤلاء إلى جهنّم.
...
قال الله تعالى "لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين". بيان الحجّة: الكلام حسب الرأي المفهوم من قبل الكل هو مبنى ومعنى. أما المعنى الحق, فهو منسوب للحق تعالى ولا يمكن أن يحتكره أحد, فلا يمكن أن يقال عن الذي يعقل المعنى الحق بأنه تعلّم من أحد ولا قيمة لتعقّله في ذاته إذ كل من عقله فقد عقله فهو له أيا كان المصدر, فالقرءان من حيث حقائقه وهي كلها تدور حول حقيقة واحدة جوهرية هي الوحدة الإلهية منسوب لله تعالى إذ لا يعرف الحق إلا الحق. أما المبنى القرءاني, أي اللسان, فكيف يقال أن النبي أخذ من أي شخص ألفاظ ومباني القرءان وذاك الذي يتهمونه به أعجمي, فالشخص الأعجمي والكتاب الأعجمي لا يمكن أن يؤخَذ منه كلام عربي مبين, وأرونا ولو شخص واحد أو كتاب واحد فيه مثل كلام القرءان العربي المبين.
فإن قيل: أخذ من الأعجمي الفكرة ثم صاغها بلسانه العربي المبين؟ قلنا: كل فكرة على التحقيق مصبوغة باللغة التي أخذها منها, فلو أخذ الأفكار من شخص أعجمي وترجمها فلابد أن تظهر آثار العجمة على الترجمة, كما حدث ويحدث في كل ترجمة من اليونانية في القديم أو الانجليزية والفرنسية والألمانية في العصير الحديث, ولابد من اختراع كلمات لموازاة مصطلحات لا نظير لها في ولا يعرفها أهل اللغة المُتَرجَم إليها كلّهم ويجب على المترجم أن يشرحها لهم من الصفر ويبرر تغييره للكلمة الأصلية في لغتهم إلى ذلك المعنى المحدث من كل وجه, مثلًا كلمة "الحداثة" التي لا تعني في اللغة العربية إلا حداثة السن وحداثة الشيء بمعنى جدّته, فإنها اليوم صارت تشتمل على معاني خاصة نشأت من ترجمة كلمة "مودرن" الانجليزية أو "العلمانية" التي هي ترجمة "سيكولار" الفرنسية والانجليزية, وما أشبه من حالات. لكن القرءان بلسان عربي "مبين" وليس أي لسان عربي. والكلمات فيه معلومة عند العرب من حيث هم عرب ويمارسون العربية, وإن كان بعض أفراد العرب قد يجهل كلمة من هناك أو هناك إذ لا يحيط باللغة عادة فرد من أهلها, وكذلك الكلمات التي تعرّبت من أصول فارسية مثلًا فإنها معروفة للعرب في زمن نزول القرءان والنبي لم يخترعها ولا أقلّ أن ذلك الاستعمال للمعرّب لا ينحصر بقوم بل يأخذ من كل قوم من الروم والفرس والحبشة والقبط وما شابه حسب ما قيل وهي كلمات قليلة جدّاً معدودة لا تأخذ من طابع القرءان العربي المبين شيئاً وهي مفردة هنا وهناك فيه.
ثم لو نظرنا في القصص الأعجمية كالعبرانية التي يقال أن النبي أخذ منها. سنقول: هل أخذ منها كما هي أم غيّر فيها من حيث الترتيب والمواضيع واللغة؟ فإن قيل: كما هي. قلنا: هاتوا برهانكم ولا برهان بلا الاختلاف ثابت مطلق لا يشكّ فيه أحد وإنما فرضنا الجواب فرضاً. وإن قيل وقد قيل: بل غيّر فيها من حيث الترتيب والمواضيع واللغة. قلنا: من المعلوم أن الذي يملك فعل مثل ذلك التغيير والتصحيح والتعديل أقدر على الإبداع والإنشاء بدون الحاجة لإدخال نفسه في هذه التهمة إن كان يريد اصطناع التفرد والأصالة. والرجل الذي يستطيع اختلاق آلاف الآيات وعشرات الآلات من الأحاديث وتعليم أصحابه مفاتيح اختراع عشرات الآلاف من الأحاديث والكلمات والأحكام والرؤى والحكايات والأمثال والأخلاق والآداب والسنن لا يحتاج إلى سرقة قصة مع إحداث تغيير في ترتيبها وموضوعها ولغتها.
فإن قلتم أخذها بلغتها قلنا: تلك لغة أعجمية وليست عربية.

وإن قلتم: أخذها عن ترجمة عربية لها. قلنا: الدليل على وجود ترجمة, ثم لنقارن الترجمة بالواقع. ثم الترجمة العربية للنص الأعجمي ستصيبه بالعجمة والركاكة والبطئ والثقل, والقرءان عندنا عربي مبين سلسل فصيح سريع لطيف يحفظه الصبي والعجوز ولو لم يكن عربياً من سلاسته وجماله وبركته, ويتأثر به الكل من قوّته. وقارن إن شئت بين القرءان وبين كتاب البيان للبهائي لترى الفرق بين الكلام الأصيل العربي المبين وبين الكلام العربي المصطنع المتصنع المتكلّف الثقيل الهجين المضروب بالعجمة والمخلوط بها.

...

قال الصاحب: من أولى الناس بقبول هذا الأمر, الفرد والمجتمع المستنير أم الظلامي؟

قلت: إن كان مستنيراً فسيقبله, لأنه من إخواننا. وإن كان مظلماً فعنده استعداد قبوله لأن الإنسان كلما غرق في الظلام عادة كان أشد استعداداً لقبول النور بحكم تجربته للظلام وتذوقه لحقيقته المتدنية وفهم طبيعته ولا أقل قد يتقزز منه ويملّ ويرغب في التغيير فيقبل على الغير وهو النور. "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم".

...

أُلهمت اليوم أن الذي يحضره الموت ويذكر الشهادتين يذكرها لأنه شهد نور القرءان. فالقرءان هو حقيقة الشهادتين, لأنه دال على لا إله إلا الله ونورانيته دليل محمد رسول الله.

...

قال: روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن القرءآن نزل في ليلة القدر إلى السماء الدنيا دفعة واحدة ثم نزل نجوماً مفرّقة مدى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كجواب لكلام الناس. وكذلك حسب الحوادث والمواقف. فما فائدة هذه الرواية؟

أقول: الفائدة الأولى أن التنزيل لا نهاية له، وقابل للامتداد إلى ما لا نهاية. لأن علّة النزول هي كلام الناس والحوادث، وكلام الناس والحوادث أمران لا نهاية لهما حسب سعة هذا العالَم، بالتالي كلما تجدد للناس فكر وكلام وتجدد للعلماء والمؤمنين حوادث وأيام كلّما تنزّل إليهم نور القرءان إن كان بينهم ولي للرحمن. وهذا قول علي عليه السلام "إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه". وهذا الفهم يستمدّ من ذلك النور الذي نزل إلى السماء الدنيا وهو باق فيها إلى يوم القيامة، يشعّ ويتنزّل على قلوب العالمين المؤيدين بروح القدس وروح منه تعالى على درجاتهم.

الفائدة الثانية أنه علينا فهم الكلام والأيّام حتى نحسن نفهم القرءان، والعكس صحيح، فكلّما فهمنا القرءآن كلّما فهمنا الكلام والأيّام. الفهم التنزيلي من القرءان للكلام والأيّام، والفهم التأويلي من الكلام والأيّام للقرءان. من عرف القرءان عرف مظاهره، ومن نظر في الآفاق والأنفس أدرك مقاصده.

الفائدة الثالثة أن القرءآن اعترف بأحقّية الناس في التفكير والتكلّم، ولذلك تفاعل وتجاوب مع كلامهم الذي هو مظهر فكرهم وشعورهم ونيّتهم وأعماقهم. وكذلك نور القرءآن يمكن أن يتجلّى في أيّام الناس فيأخذ صورة ما يهمه منها ويعلّق عليه ويرشد العاقلين فيه وبوسيلته. وعلى ذلك، كل ما يسجله الناس من أيّامهم إن ثبتت صحته وواقعيته فيمكن تسليط نور القرءان عليه والانتفا ع به.

ثم إن سبق نور القرءان لكلام الناس وأيّامهم دليل على أن حقيقته أعلى من كلامهم وأيّامهم، فهو وإن تفاعل معها وفعل فيها لكنه لا ينفعل لها ولا ينحصر فيها. فعلاقة القرءآن بالكلام والأيّام علاقة تنزيه وتشبيه من وجهين. "ليس كمثله شئ وهو السميع البصير". "لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون".

...

قال: سمعت المشايخ يمدحون النفس اللوّامة، فكيف أجعل نفسي لوّامة؟
قلت: بإقامة القيامة. إذ لا يلوم نفسه من لا يرى المثل الأعلى لربّه ويزن نفسه بميزانه. "لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة". فعجباً ممن يكثرون من الكلام عن النفس اللوامة ولا يعرفون ولا يقيمون ولا يتحققون بأسرار وأنوار القيامة.

...

كلمة "الغرب" مشترك لفظي بين المشتركات فيه عناصر قليلة تجمعهم. لأننا لو قلنا بأن الغرب هو أمريكا، فنكون قد أخرجنا فرنسا وهي مقصودة غالباً، وكذلك نكون قد أدخلنا كل سكان أمريكا ممن يعارض فكرياً أو سلوكياً ما نسميه بالحضارة الغربية الحداثية بخصائصها. لكن لا نستطيع أن نخرج أمريكا من المدلول، لأن في الحكومة الأمريكية في العقود المتأخرة خصوصاً (لأن الحكومة الأمريكية لم تتدخّل بطريقة مسيئة لسمعتها عند أمم الأرض إلا تقريباً بعد الحرب الأوروية الأولى، فلا تسحب أمريكا اليوم على أمريكا في كل أيامها فهذا ظلم في النظر ويضرّ أكثر مما ينفع) وفي الثقافة التي تروّج لها الأجهزة الإعلامية التي تصل لأكثر الناس في الأرض (لأنه يوجد إعلام أمريكي يعارض الإعلام الأمريكي الذي يصل لأكثر الناس في الأرض، فتنبه)، هذه الأمريكة المعروفة عند الأمم بواسطة جيشها الظالم الذي أكثر في الأرض الفساد وبتدخّلاتها السياسية والسرّية في حكومات الدول التي تريد استغلالها مادّياً ومالياً، وكذلك بواسطة هوليود والأغاني المحدثة السخيفة، والوجبات السريعة المدمّرة، والإباحية الجنسية على نسق لم يشهد مثله التاريخ من قبل لا عند الرومان ولا اليونان فضلًا عن غيرهما، فهذه الأمريكا التي صارت تحديداً بعد الحربية العالمية الأولى هي رأس الحربة في توجيه الدول الأوروبية، يمكن أن تكون المقصودة بالغرب بشكل جوهري، إذ يجوز في التخاطب اختزال الجسد في الرأس لأنه المتبوع. لكن يمكن أن نقصد بالغرب من حيث الأفكار بعض دول أوروبا وانجلترا مثلًا التي نظّر فيها البعض للكثير من الرؤى والقيم التي تعتبره الأمم العتيقة مدمّرة ومفسدة. الحاصل، أن كلمة غرب مشترك لفظي تستطيع تبيّن المقصود منه بالضبط في سياق العبارة الواردة فيها مثل بقية المشتركات اللفظية والاصطلاحية. وعلى ذلك، لا يجوز انتقاد متكلم أو كاتب بأنه يستعمل لفظة غير واضحة أو مدلولها مشترك مبهم، لا أقلّ في بعض أنواع الكلام وحيث يكون الاصطلاح مفهوماً في أعماق السامعين وإن كان أذهانهم لا ترى بوضوح وتمييز تام مدلوله الخاص، فما أكثر ما نفهم وما أقلّ ما نرى ما نفهم، والعقل أوسع وأسرع من التوقف عند كل ما لا يتضح للذهن الظاهر وضوحاً يناسب مستوى الأطفال في الإدراك. إيضاح المفاهيم لا يعني التخاطب مع الناس كأطفال لا تعقل إلا كما تأكل؛ يجب تقطيع اللحم لهم إلى أجزاء دقيقة حتى لا يختنقوا بها. المشكلة ليست المصطلح، المشكلة أن الكثير من المثقفين صاروا كالأطفال لا يحسنون تقطيع لحومهم بأنفسهم.

...

قال: قرأت لأفلوطين رحمه الله في التاسوعات أنه علينا أن لا نتشبّه بالرجال بل بالإله، حتى لا نكون صورة عن صورة الحقيقة. فكيف يتفق ذلك مع قول القرءان "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"؟
قلت: ليس بالضرورة أن يكون ما قرره أفلوطين رحمه الله أو غيره حقّاً، فالقوم عموماً أصحاب فكر، وصاحب الفكر يخطئ ويصيب. ثم لا يوجد تناقض بين ما قاله أفلوطين هنا وبين ما ذكره القرءان، لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أعظم المتخلّقين بأخلاق الله تعالى، وهو المظهر الأجلى في الناس للأسماء الحسنى وأكمل درجة في الروحانيين من الآدميين، فلو كان مقصود أفلوطين بالإله هو الله تعالى

أو الروح، فإن النبي عندنا هو أكمل المتشبّهين بأخلاق الله وبالروح وبالمثل العليا، ولذلك قالت الآية "لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً" فالأسوة في الحقيقة هي لأن رسول الله هو المظهر الأتمّ لمن رجا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ولم يرد علوّاً في الأرض ولا فساداً وتعقّل التعقّل الأتمّ الممكن في هذا العالَم لبني آدم. فحيث أن النبي أكمل المتشبّهين بالإله، ونحن نتشبّه بالنبي، وفي قضية العقل أن المتشبّه بالشبيه شبيه، وعلي ذلك أكمل الناس تشبّهاً بالنبي هو أكمل الناس تشبّهاً بالإله. فنحن لا نأخذ صورة النبي وهو يأخذ صورة الإله، بل نحن نأخذ صورة النبي التي هي صورة الذي أخذ صورة الإله. فليس التشبّه بالنبي إلا بلوغ أكمل ما يمكن أن يبلغه متشبّه بالإله، لكن لأن معنى التشبّه بالإله وحيثيات ذلك قد لا تظهر للجميع وإن ظهرت لشخص فقد لا تظهر له الظهور الكامل من حيث فهمها والتخلّق بها، فإن النبي هو المثال الحيّ الكامل لكل تلك الحيثيات والآداب والمعاني والأنوار والأسرار، فمفهوم التشبّه بالإله يظهر أكمل ظهور في النبي صلى الله عليه وسلم.

...

قال: في آية النشوز, لماذا بدأ بالوعظ ثم الهجر ثم الضرب؟

قلت: بدأ من الأعلى للأدنى. فالوعظ للعقل, والهجر للنفس, والضرب للبدن. الوعظ ألم العقل بأنه خالف الخير, والهجر ألم النفس بافتراقها عن الخير, والضرب وجع البدن بخروجه عن حالة الخير. ثم من لم ينفع معه أي من ذلك خرج عن إمكانية إصلاحه بنفسه ووجب إدخال عناصر إصلاحية من خارجه لذلك قال بعدها "فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها". فالتدرج من الأعلى إلى الأدنى, ومن النفس إلى الغير. ولولا أن بداية النكاح هو العقل والكلام لما كان بداية إصلاحه بالعقل والكلام.

...

استمعت للملحد الشهير كريستوفر هيتشنز, وهو رجل على ما يبدو ألحد في الإله واتخذ الحكومة كإله, يبرر عدوان الأميركان على العراق بأن العراق تحت صدّام التكريتي قد فقدت سيادتها لأن أي دولة تخرج على أحد هذه الشروط الأربعة (العدوان المتكرر على جيرانها, الخروج على وثيقة منع انتشار الأسلحة النووية, استقبال ودعم العصابات والإرهابيين المطلوبين دولياً, الإبادة الجماعية) فإنها تفقد سيادتها. وحيث أن حكومة العراق قد ارتكبت الأمور الأربعة ومراراً, فإنها تفقد سيادتها وبالتالي يجوز للأمريكان غزوها وإعادة تشكيل حكومتها.

كلامه هذا, بادئ ذي بدئ, يوهم بأن حكومة الأمريكان وجورج بوش الابن كانت لا تريد الحرب, ولا تريد نهب البترول العراقي, وكانت لا تريد منع صدام من بيع بتروله باليورو بدلًا من الدولار, وكانت لا تريد إنشاء حرب كبيرة لصالح لوبي الأسلحة في أمريكا, وكانت وكانت من الأسباب الحقيقية لتلك الحرب. كلّا. كلام هذا الملحد يوهم بأن الأمريكان كانوا جالسين في أمان الله (أو أمان الطبيعة), وفجأة قرروا النظر في دول الأرض والتأكد من التزامهم بالبنود الأربعة المذكورة سابقاً, ولم يجدوا غير العراق قد خالفت ذلك, فقرروا حفاظاً على الاتفاقات الدولية واحتراماً للمواثيق العالمية أن يضحوا بأولادهم وأموالهم وسمعتهم في سبيل ذلك! هل يوجد محترم لعقله يقول بهذا. إن كانت حكومة بوش نفسه لم تقل ذلك. بوش نفسه ما ذكر كتبرير ظاهري للناس إلا أسباب لا علاقة لها بالبنود الأربعة التي يذكرها الملحد, وإنما ذكر بوش أسباباً مثل (الانتقام من القاعدة بسبب 11 سبتمبر) و (العراق عندهم أسلحة نووية) و (تكلمت مع الإله) أظن الملحد كانت ستعجبه هذه الأخيرة. هذا بالرغم من كل الأدلة التي صار يعرفها كل دارس ومطلع والتي تشير إلى أن بوش وحزبه كانوا يريدون نسبة هجمات سبتمبر للعراق بأي طريقة, هم يريدون ذلك غصباً وجبراً وبأي شكل من الأشكال وحتى بلا شكل من الأشكال ولو

بمجرد الألفاظ والتفوّه بالنسبة, وكل المعلومات المتوفرة في حينه للرئيس الأمريكي كانت أن لا علاقة للعراق بهجمات سبتمبر, وهذا بات معلوماً. فحين يأتي الملحد ليبرر مثل ذلك التبرير الآثم والغبي, لابد أن ننتبه لردة الفعل الفكرية والنفسية عند من يعلن إلحاده بكل شراسة.
من وجه آخر. لو طبقنا مضمون وجوهر تلك البنود الأربعة على الأمريكان أنفسهم, سنجد أنها تنطبق عليهم.
فمثلًا (العدوان على جيرانها) الأمريكان قد اعتدوا في بداية نشأتهم على سكان الأرض الأصليين. ثم في القرن التاسع عشر اعتدت الحكومة الفيدرالية على جيرانهم الأمريكان في الجنوب في ما يسمونه بالحرب الأهلية. ثم في القرن العشرين اعتدوا بشتى أنوا ع الاعتداء ومنه السياسي والاقتصادي ودعم الطغاة المؤيدين لمذاهبهم ومصالحهم في الجنوب أي في أمريكا الجنوبية وقاموا بأعمال تقشعرّ منها جلود الجنّ ولا أقول فقط جلود الإنس. والأهم من كل ذلك أن الأمريكان قد اعتدوا مراراً وتكراراً على الدول البعيدة عنها أيضاً, ليس فقط جيرانها, كفيتنام وغيرها. وأما إذا أدخلنا تدخل الحكومة والمخابرات الأمريكية في حكومات الدول وتأييد الطغاة كما فعلوا في أندونيسا وكوريا والفلبين مثلًا, فحدّث ولا حرج.
وأما عن (وثيقة منع انتشار السلاح النووي). فأوّلا الأمريكان يملكون السلاح النووي, ولا حق لهم في منع غيرهم من نيله. ثانياً كثير من الدول حتى الهند وباكستان تملك النووي والأمريكان لم يحاربوهم. ثالثاً الأمريكان دعموا الدولة الصهيونية وهي دولة تملك النووي. رابعاً والأهم من كل ما سبق, إن كان لا يحق لدولة الكلام عن النووي فهم الأمريكان لأنهم وحدهم من استعمل النووي وليس فقط مرّة واحدة بل مرّتين وبدون أي سبب واقعي إذ امبراطور اليابان كان قد استسلم, لكنهم أرادوه منه في الظاهر الاستسلام بدون أي قيد أو شرط أو تفاوض, ومن وجه لأن الرئيس الأمريكي ترومان الضعيف الجبان أراد إظهار عضلاته أمام جبار الروس ستالين, وكذلك أرادوا تجربة الأثر الواقعي للعبتهم الجديدة التي اخترعوها. فمن أين جاء الحق للأمريكان للتحدث عن سوء انتشار الأسلحة النووية وهم أصحاب أكبر ترسانة نووية وهم يدعمون دولًا تملك النووي وهم دون غيرهم قد استعملوا النووي في التاريخ المعروف كلّه. ثم منذ متى كان الأمريكان يحترمون الوثائق الدولية والقرارات الدولية تحديداً حين تتعارض مع مصالحهم ورغباتهم. أي احتقار للحقائق هذا حين يتم تصوير الأمريكان وكأنهم إنما أوقدوا الحرب دفاعاً عن "حبر على ورق".
وأما عن (دعم العصابات وحماية الإرهابيين الدوليين). فالأمريكان أوّلًا هم أحد أكبر إن لم يكن أكبر ممارس للإرهاب في العالم-هذا ليس رأيي فقط ولكنه رأي أصحاب فكر كبار من الأمريكان مثل نوام تشومسكي. ثانياً الأمريكان يدعمون دولة كاملة إرهابية وعصابات احتلالية وهي الدولة الصهيونية ويحمونهم ليل نهار ويرسلون لهم الأموال والسلاح والحبّ أيضاً. ثالثاً كمّية العصابات بمعنى تجار المخدرات والدعارة, أو عصابات الأموال في وول ستريت, التي تسكن في أمريكا هي من الكثرة والنفوذ بمكان. رابعاً إن كان "الإرهابي الدولي" هو الشخص الذي يعتدي بالسلاح على دول أخرى لأنه يريد تنفيذ مطالب سياسية, فوفق هذا التعريف فإن جميع أفراد الجيش الأمريكي المحارب يجب تصنيفهم كإرهابيين دوليين.
وأما عن (الإبادة الجماعية) فالهنود الحمر أوّلًا, وملايين الفيتناميين ثانياً, وضحايا النووي في هيروشيما وناغازاكي والذين ماتوا وتشوهوا بسبب آثار ذلك إلى يومنا هذا ثالثاً, وملايين العراقيين رابعاً, وكل

القتلى الفلسطينيين الذين قتلتهم العصابات الصهيونية التي يرعاها الأمريكان بالمال والسلاح والنفوذ خامساً, وكل ضحايا الأرجنتين وأندونيسيا وكوريا وغيرهم ممن تعرضوا للقتل بسبب العسكر الطاغي الذي دعمه الأمريكان سادساً, بل قبل كل ذلك هتلر والنازية الذين كان أحد أهم مصادر تمويلهم وبعث المواد إليهم من أمريكا والشركات الأمريكية فضلًا عن الدور الأمريكي في إقامة الشيوعية في روسيا وهي قضية لا تزال تحت الدرس والبحث, كل ذلك يجعل الأمريكان من يوم قاموا إلى يومنا هذا أصحاب إبادات جماعية وأنصار الذين يقيمون إبادات جماعية وأصحاب الميدالية السوداء القاتمة في لعبة الإبادة الجماعية, ونقول "لعبة" لأن كل من يمارس إبادة جماعية أو ينصرها فهو ممن يرى القتل لعبة وهواية وإن في أعماق نفسه.

فبناء على ذلك, يكون كل عدوان على الأمريكان مشروع. ويجب ويجوز غزوهم واحتلالهم. فهل يصل البعض إلى النتائج المنطقية لتبريراتهم لو طبقّناها عليهم؟ ممكن.

وأخيراً، حتى لو فرضنا أن حكومة العراق قد خرقت تلك البنود الأربعة، أيها الملحد الجاهل، فإن هذا لا يلزم عنه لا في منطق ولا في قانون أنه يحق للأمريكان من دون الناس أن يهجموا عليهم ويفعلوا بهم تلك الأفاعيل وينهبوا البلاد ويشرّدوا العباد ويخرجوا ويتركوا الساحة للمجرمين من كل صنف. فهل كل من ثبت عليه الجرم، يجوز لأي أحد وبأي طريقة معاقبته. فعلًا غبي في قضايا الديانة وغبي في قضايا السياسة، ولا يكفي أنه تورّط في الانتساب لحكومة وقعت منها تلك الجريمة بل الجرائم النكراء حتى وضع نفسه موضع مباشرتها بتأييده لها في ذلك. نسأل الله السلامة من المشاركة بالنيّة والفكر في ما يهين الإنسان في الدنيا والآخرة إن شارك به باليد والشكر.

...

في التعليم: من جهة، يحتاج الجاهل إلى من يخرجه من حالته، لأنه لا يستطيع إخراج نفسه بنفسه إذ لا يعلم أنه جاهل إلا بإعلام من خارج، ولو علم لما كان جاهلًا. فالجاهل يحتاج إلى معلّم. لكن من الجهة الأخرى، لا ينتفع الإنسان حقّ الإنتفاع بعلم إلا إن خرج منه ذاتياً، إلا إن اكتشفه بنفسه ورسمه بعقله، فالجاهل يحتاج إلى أن يُترَك وشأنه ليعرف بنفسه. فكيف نجمع بين الجهتين؟ الجواب: قوله تعالى "فاقصص القصص لعلّهم يتفكّرون". فقوله "فاقصص القصص" فيه الفاعلية من الخارج، وقوله "لعلّهم يتفكّرون" فيه الفاعلية من الداخل. فالحلّ هو بذكر القصّة والأمثال التي تكشف بقدر وتخفي بقدر، وتكون فيها العناصر الكافية لتحقيق "لعلّهم". التفكّر عمل الروح، فتترك له العمل بفكره ليعرف الأمر. يتفكرون مثل يستخرجون، فأنت لا تعطيه الكنز وتضعه له خارج الأرض أمامه، بل تدلّه على موضع الكنز ثم تحثّه بنحو غير مباشر على استخراج الكنز بنفسه، فالدلالة لك والرغبة والحفر والحمل له. ومن هنا تأتي أهمّية الرواية وإن كانت خيالية.

...

كل كلمة من كلمات العرفاء حتى في الإلهيات المتعاليات، لها تنزيلات وآثار في كل مجالات المعيشة والحياة السياسية والاجتماعية والنفسية والدراسية وقل ما شئت حتى تصميم المنزل إن شئت.

...

النفس تتحرك دائرياً. نقاط الدائرة هي اهتمامات النفس وذكرياتها وأفكارها. وبقدر ما تفعّل من هذه النقاط وبرز في النفس, فإنها تدور في فلكه وتنظر فيها وتتصرف على أساسه وتستعديه كل فترة. والفترة ترجع إلى مقدار سرعة الحركة ومناسبة الظواهر لكل نقطة ومدى سعة الدائرة, هذه العوامل

الثلاثة تحدد أي نقطة ستبرز في أي لحظة. وحين تكون الحياة الخارجية للإنسان رتيبة, ولا يوجد فيها جديد يضيف لنفسه شيئاً معتبراً, وحين تكون حياته الفكرية ضعيفة أو شبه معدومة, وهو شأن العوام حسب العادة, فإن العامل الأساسي في تحديد حالة النفس يكون هو مدى سعة الدائرة والنقاط المفعّلة. فتراه يعود إلى شيء قد تركه كل فترة, ولا يعلم هو سبب بروز نقطة معينة دون غيرها في وعيه في اللحظة المعينة, والواقع أنه استنفد الدائرة وأعاد الكرّة. أما العارف, فإنه لا يطوف حول النقاط كمتحرك على المحيط, بل هو متمركز في مركز الدائرة وينظر منها أحياناً إلى تلك النقاط لكن بنور المركز, وهو قوله تعالى "فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم". ففي كل لحظة, العارف فارغ تماماً, أي أن وعيه غير محدد بشكل ورائحة ولون. فهو فارغ بمعنى تام النور والحضور. ومن شمس المركز, تبدأ الأشعة تبرز بحسب ما يدخله ربّه فيه في كل وقت. فيشهد شيئاً أو يخطر له المعنى فيتكلم به أو يخلق صورته, وفي عين تكلمه وخلقه لو نظر في نفسه لا يجد شيئاً محدداً, فالإبدا ع يصدر به ولكن لا يصدر منه, وهو لا يشعر بذلك التحديد بالمعنى الحاصر, وإن كان يتذوق طعم الحد إلا أنه لا يتحدد فيه بإطلاق, ويجد أنه بإمكانه التجرّد منه لو شاء واستعان بربّه.

...

بالأمس كنت داخلًا إلى بقالة لأشتري شيئاً, ورأيت بجانب الباب قطة معدمة جالسة ورأيت عليها أثر الجوع والعطش وشعرت بها تطلب الطعام, وكان الجوّ حارّاً وقت الظهيرة. فدخلت واشتريت لها تونة وماءاً بارداً من النوع الذي أشرب منه أنا. ولما خرجت, ولعدم حبي للاقتراب من الحيوانات وخشيتي من أذيتها لي ولو باللمس ولخشيتي من عدم فهمها بأني أريد بها الخير فتحسب أني أريد الاعتداء عليها ومن يدري لعلها تقفز علي وتخدشني بأظافرها المتسخة والمليئة بالأوبئة, فإني اقتربت منها بهدوء وأفرغت التونة داخل الكيس ووضعت بجانبها, وبمجرد أن رأتني أقترب منها قامت وبدأت تظهر الحذر والخوف منّي. لكني ضغطت على نفسي مقابل أن أجعلها تأكل وتشرب, واعتبرته نوع من جهاد النفس (جهاد القطط !)ووضعت علبة التونة الفارغة وأردت أن أصب لها من الماء البارد, وما أن سمعت بصوت الماء ينهمر حتى فرّت بفزع شديد ولكنها فرّت من ما بيني وبين مجموعة صناديق قاسية كثيرة متراكبة بجانبي, فلما فعلت ذلك وبردة فعل سريعة قفزت وضرب كوعي تلك الصناديق وتألمت ألماً شديداً لأن الضربة أصابت منطقة حساسة وشعرت أن عرقي ينتفض من الألم. ومع ذلك لما ابتعدت صببت لها الماء وفتحت لها الكيس وركبت السيارة ومشيت. فكنت أسأل نفسي: أريد أن أطعمها وتسبب لي هذا الألم النفساني والبدني, لماذا؟ أهذا ذنبي؟ وحينها سمعت هاتفاً يقول لي: الذي يريد أن يُعلّم الأمة المشردة والتي اعتادت على الخوف والاضطهاد والعيش بلا مأوى الإمامة الإلهية, فعليه أن يتحمل الصبر على أذاهم. فقلت لنفسي: حقاً, حين يخاف الإنسان ويعتاد على عدم الثقة بأحد ويشعر بأنه وحيد ومشرّد, فإنه لا يميّز بين من يريد به الخير ومن يريد به الشر, ويفترض أن الكل يريد به الشر حتى يثبت العكس, ومن الطبيعي أن يفرّ مهما كان عطشاناً من ماء القرءان البارد لأنه يظن أنه سيتعرض للأذى إن بقي واستمع وتقبّل. مثل الأمة مع أهل الله كمثل القطة المشرّدة معي: هم يخشون الاقتراب منّا ونحن نحن الاقتراب منهم, وهم يريدون الخير لنا ونحن نسبب لهم الآلام النفسية والبدنية بردود فعلنا.

...

سألت زوجي عن معنى ما تقرأه في أوراد الشيخ ابن عربي رضي الله عنه, وسألت عن معنى الغين في قوله "رفع حجاب الغين" و "فلا أُحجب عين العين بالغين", وعن جملة "حتى ينقطع الكلام وتسكن حركة اللام وتُمحى عنّي نقطة الغين ويعود الواحد إلى الاثنين".

فأجبت:
العين هي حقيقة ذات الله التي هي الوجود المطلق الوحيد.
الغين في اللغة تعني الشجر الكثيف الملتف بعضه على بضع , وهذا يشير إذن إلى الكثرة والصور المختلفة والطبيعة والموجودات عموماً.
البين من البينونة, يعني الفرقة وابتعاد شيء عن شيء وانفصال شيء عن شيء.
الشيخ يدعو أن لا تحجبه الصور الكثيرة للموجودات عن مشاهدة الحقيقة الإلهية الواحدة التي هي الوجود الواحد المطلق ونور كل الموجودات وحقيقتها.
هذا الدعاء هو من قوله تعالى "فأينما تولوا فثم وجه الله". فكلمة (أينما تولوا) تشير إلى أشياء وجهات كثيرة, لأنك يمكن أن تولي وجهك للشرق أو للغرب أو فوق أو تحت أو داخلك أو خارجك وهكذا. فهذا كثير. هذا غين. لكن كلمة (فثم وجه الله) يعني في كل تلك الجهات الكثيرة يوجد على الحقيقة فقط وجه الله, وجه واحد, حقيقة واحدة, ذات واحدة, لا تنفصل عن شيء ولا ينفصل عنها شيء, يعني لا يوجد بين وبينونة.
خلاصة الدعاء: اجعلني أستوعب وأعي حقيقة الوجود ولا أقع في الوهم.
أما عن جملة التي فيها ذكر انقطا ع الكلام:
(ينقطع الكلام) لأن الكلام فيه كثرة, والكلام فيه تفريق بين الدال والمدلول لأننا نتكلم عن شيء فكلامنا شيء والذي نتكلم عنه شيء آخر بالتالي يوجد نوع اتصال بيننا وبينه.
(تسكن حركة اللام) أظنه يقصد باللام الحرف الأول من "لا", بمعنى النفي, أي لا إله إلا الله. والمقصد: العارف في البداية يكون مُنزّهاً لله, بمعنى ينظر إلى الشجر وينفي أن يكون هو الله, وينظر إلى السماء وينفي أنها الله, وهكذا ينظر إلى الأكوان كلها وينفي أن تكون هي الله لأنها محدودة والله مطلق. فهو في حركة نفي وقول "لا". لكن بعد أن يصل إلى الحقيقة يتوقف النفي, لأنه يصير يرى كل المحدودات على أنها مظاهر ومرايا لنور الذات, أي ذات الحق سبحانه. فيسكن ويطمئن قلبه بالوصول.
(تمحى نقطع الغين) كما مرّ.
(ويعود الواحد إلى الاثنين). الواحد هو الله, الاثنين هي الطبيعة كلها لأن الاثنين عدد زوجي وقال الله "ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون" الخلق زوجية, فوق تحت, ذكر أنثى, سماء أرض, حار بارد, رطب يابس, وهكذا. عودة الواحد إلى الاثنين هي بشهود تجلي الواحد في الاثنين. حتى التعدد اثنين ما هو إلا تكرار للعدد واحد مرّتين, ففي الحقيقة حتى في الاثنين لا يوجد إلا الواحد.
الخلاصة: كلام الشيخ من أربع مراحل في المعرفة:
الأولى الصمت.
الثانية التأمل والنفي.
الثالثة مشاهدة الواحد المطلق.
الرابعة مشاهدة الواحد في كل شيء.
فقالت: طيب ليش حرف ال غ؟ و ع؟ عشان ع عين تشوف حقيقة الله؟ وال غ فيها نقطة فزادت الأشياء على حقيقة الله؟ كدا قصدو؟
فقلت: هذا ممكن يكون إشارة ثانية وتفسير عميق للحرف. جميل جداً. المقصد واحد. وأذكر أني قرأت يوماً شيئاً يشابه هذا التفسير لحرف الغين والعين ولكن لا أذكر أين بالضبط, فهو حسن على كل حال.
...

لإحياء الأمّة علينا بالتالي:
أوّلًا التركيز على المهمات والبعد عن السخافات. فلابد أن يكون لنا معيار نميّز به بين المهم وغير المهم, وبين ترتيب الأهميات والأولويات.
ثانياً إعادة النظر في المشكلات. أي كل ما كنا نظن لأي سبب أنه مشكلة ينبغي حلّها, علينا قبل ذلك أن ننقد المشكلة ذاتها ونتأكد من كونها مشكلة فعلًا, ثم تقييم مدى خطورتها بعد فهمها ومعرفة أسبابها وآثارها الواقعية.
ثالثاً الحذر الجماعي وإقامة جماعات مهمتها مراقبة كل تغيير يطرأ على الأمة وسبب هذا التغيير وما إن كان وسيلة لإحداث شيء أكبر بعد ذلك وشيء مغاير لطبيعة تلك الخطوات الأولى من التغيير. مع عدم المبالغة والهوس, ونقد آراءنا وأحكامنا بشدة.
رابعاً التركيز على الحاضر, مشاهدة وعملًا, وذلك بالنظر إلى الأفكار والقيم التي نريد تنزيلها على الواقع, فلا نبالي بماض أو مستقبل من حيث هم كذلك, بل التركيز دائماً على الحاضر سواء بالتفكير أو بالعمل, فحتى النظر للمستقبل ينبغي أن يكون متمحور حول العمل في الحاضر.
خامساً الأمة كلها رجال, أي عقلاء وتجب معاملتهم كعقلاء وناضجين وراشدين وأفراد معتبرين, الذكور والإناث سواء في ذلك. فالأمة ليست طفلًا ولا قاصراً ولا معاقاً, بل نرسم سياستنا وخططنا على أساس أنهم رجال وكاملين أو لهم القدرة على العيش بنضج ووعي.
سادساً التركيز على الفكر والروح والكشف والمشاهدة والعقل أكثر من التركيز على العاطفة, ويكون المركز للعقل والروح لا للعاطفة من حيث هي عاطفة بدون وعي بأساسها العقلي.
سابعاً تعليم الناس كلّهم. الكل عليه أن يكون من طلبة العلم وأهل الذكر والفكر أيا كانت درجتهم في ذلك مع السعي للتحسن والترقي يومياً وذلك العمل هو محور الأمة ككل.
ثامناً على الناس كلّهم أن يكونوا شديدي الحساسية ضد الجهل والرقاعة والسخافة, لا بمعنى الحساسية الانفعالية العمياء والعاطفية الهوجاء, بل بمعنى الوعي بما يحدث ورفضه على أسس المستبصرين. ويردوا الجهل بالعلم, والرقاعة بفضح نفوس أصحابها, والسخافة بالفقاهة.
تاسعاً لوم مصدر المشكلة, سواء كان الغير أو النفس أو كلاهما, ومحاسبة كل فاعل بقدر فعله بقدر الإمكان. عدم وضع قاعدة مطلقة لمصدر المشاكل, بل النظر في كل مشكلة على حدة وتحديد مصدرها أو مصادرها وسلسلة أسبابها العلوية والطبيعية بوضوح.
عاشراً التفات كل فرد لنفسه, والتركيز على نفسه, وإصلاح نفسه, والوعي بنفسه. ثم ينظر لغيره مع مراجعة النفس دائماً. ولا يضيع نفسه في غيره ويركز على الآخرين مدحاً أو قدحاً, إعجاباً أو اتّهاماً. بل تكون له فرديته وفرادته ويُربّى على هذا الأساس.
كل مصيبة تحلّ على الأمم, لو تتبعتها ستجد أنها ترجع إلى ترك أحد هذه الأسباب العشرة. فافهموها واحفظوها عملًا وخططوا لإقامتها ووضعوا التدابير اللازمة لتفعيلها واقعاً. والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.
قال: من أين جئت بهذه الأسباب العشرة؟
قلت: استمعت لنوام تشومسكي يذكر كيفية حكم الطغاة للشعوب وقهرها, وذكر عشرة وسائل يقومون بها لذلك. لكنه ذكرها بطريقة سلبية, انفعالية, على طريقة العبيد الذين يجدون قيمتهم في معارضة الشيء

لا في فعل الشيء. فنظرت في الوسائل فوجدتها صحيحة, فأخذتها وذكرت إيجابياتها وفعلها وتفعيلها وشرحتها بنحو أوسع وأحسن من شرحه هو لها وإن كان بياننا مختصراً.

...

النيّة عمل. بدليل قوله تعالى "ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون". فجعل الدخول بالعمل، وقد قال النبي "إنما الأعمال بالنيّات" وقال "نيّة المؤمن خير من عمله". فإن كان العمل كلاشئ بدون النيّة، فإذن النيّة عمل خير من العمل.

...

في زمن الطاغية، لا تُرفَع لأحد صلاة حتى يُهلكوا الطاغية ويتحرروا.

في زمن تقنين البيان، لا تُرفَع لأحد صلاة حتى يُغيّروا الشريعة ويثوروا.

رأيت الطغاة حين يبايعهم الناس؛ يقف الطاغية وبجانبه صندوق خشبي، ويأتي الناس في طابور، لا ملامح في وجوههم إلا العبوس والشؤم، وحين يصل العبد إلى الطاغية تكون صورة البيعة هي بأن يقطع لسانه ويُقدّمه له كدليل على الولاء، فيأخذ الطاغية اللسان ويضعه في صندوقه.

لم أشعر بالاشمئزاز والغم والقرف كما شعرت به أثناء مشاهدة هذه الواقعة.

...

كل من جعل دمه أو ماله سبباً للاستعلاء على الآخرين، فهو يهودي.

كل من جعل مخلوقاً هو ربّه وسلّم عقله له، فهو نصراني.

النجاة أن تجعل العلم والإيمان سبب الرفعة، أيا كان الشخص. وأن لا تقبل بشئ بغير بيّنة وتعقّل، وترى أنك مخلوق في أحسن تقويم ولك فردية عند الله.

...

الشهوة في الذهن وليست في البدن لكن الغافل يتوهم أنها في البدن. تسعة أعشارها في الذهن، وعشرها في البدن، والغافل يتوهم أن تسعة أعشارها في البدن وعشرها في الذهن أو لعله يراها كلّها في البدن. ما كان في البدن فهو المتعة المباحة، وما كان في الذهن فهو الشهوة المحرّمة.

...

قال: لماذا تحبّ أن تكتب الأجوبة والردود بتسلسل "أوّلًا ثانياً ثالثاً.."؟

قلت: أوّلًا لأن المعاني تظهر لي دفعة واحدة وككتلة واحدة، فحتى أُخرجها في ثوب الكلمات بتفصيل واضح أحتاج أن أتمهل وأرتّب كل فكرة وحجّة على حدة. ثانياً حتى يسهل على القارئ تتبع المعاني والفصل بينها والتوقف عند كل واحدة منها، فنحن نكتب لكل القراء من المريدين. ثالثاً حتى يسهل على من يريد الردّ على ما أقوله الردّ على الكلام، فيكتفي بالإشارة إلى عدد ورقم الحجّة بدلًا من إعادة ذكرها واختزالها، فقد يقول "ردّاً على النقطة الأولى، كذا ،كذا" و "ردّاً على الفقرة الثانية، كذا وكذا" وهكذا. وحينها من يريد أن يقارن بين ما ذكرته أنا وما ذكره من ردّ عليّ، يستطيع قراءة ما كتبته ثم قراءة ما كتبه الآخر، وبذلك يطلع على ما عندي كاملًا ثم يطلع على ما ذكره الخصم، مع التيسير على الخصم حتى يركّز على الردّ على الفكرة بدلًا من السعي في تلخيصها أو نقلها كلّها. رابعاً حتى أجمع بين شرف العدد وشرف الحرف، لأن الأفكار تظهر بالعدد وبالحرف، فيكون ظهورها العددي بالترتيب وظهوها الحرفي بالكلمات. خامساً حتى ننبه القراء والسامعين على مبدأ التوسع في النظر والردّ وعدم الاكتفاء بردّ من فقرة واحدة أو الخلط بين الفقرات حتى يتوهم الكاتب قبل القارئ أنه قد أكثر وأطال النفس بينما هو في الواقع ما ذكر إلا شيئاً واحداً أو شيئين. وتوجد أسباب وفوائد أخرى، وحسبنا ما أوردنا.

...

يوجد نوعان من الزواج؛ الفردي والاجتماعي. الاجتماعي هو المعروف الشائع، وهو الذي يكون المجتمع (بداية من الأسرة حتى الدولة) لها دخل وعلاقة وحضور في العلاقة. الفردي هو السرّي، هو الذي لا يحضر فيه إلا الأفراد، أي طرفا العلاقة، الذكر والأنثى عادة. علينا أن نفهم الفرق بين الاثنين، وإيجابيات وسلبيات كل نوع ثم الغاية التي يخدمها كل نوع حتى لا نعمل بنوع إلا بناء على طلبنا للغاية التي يخدمها ويسير نحوها ويُجلّيها.

أهم خصائص الفردي أن قرار إقامته وشروط بقائه ووقت انتهائه مرهون تماماً بالحالة العقلية والنفسية لطرفي العلاقة. فحين تُقام العلاقة لا يلتفت كل واحد إلا إلى الشئ الذي يعجبه في الآخر، وحين يقرر إنهاء العلاقة لا يلتفت إلا إلى الشئ الذي يبغضه في الآخر. وكأنه لا يوجد غيرهما في الوجود.

الخاصّية الثانية للزواج الفردي السرّي، هو أن السرّية فيه تجعل العلاقة قويّة وغامضة وسحرية. ولذلك يكون الجماع فيه مثلًا فيه حضور وقرب وآثار خاصّة.

الخاصّية الثالثة أن الآثار السلبية لانتهاؤه مقصورة على أطرافه إلى حدّ كبير جدّاً.

لكن لو قارنّا ذلك بالزواج الاجتماعي، فإنه عادة ما نجد خلاف ذلك. فنجد أن إقامته وكيفيتها وبقاؤه وشروطه ونهايته وكل شؤونه تقريباً يدخل فيها بنحو أو بآخر عوامل غير أطرافه، سواء من الأسرة أو الديانة أو الدولة. حتى أنه مع الوقت قد يغيب العامل الفردي ويشعر الأطراف وكأنهم يعملون ما يعملونه لمصلحة غيرهم، ومع الوقت يصير الزواج كأنه تكليف خارجي فتبدأ النفس بطلب التنصّل منه وحينها تبدأ الخصومات ثم المقاطعات ثم الخيانات ثم تأتي النهاية.

وبسبب غياب العامل السرّي، فإن قوّة وغموض وسحر الجماع، ولذّة الابتعاد عن الأعين، وعنف مخالفة القواعد الاجتماعية، وجمال المتعة الممنوعة وعمقها، كل ذلك يزول. ثم في العلاقة الفردية يكون جذب الآخر للجماع أمراً ضرورياً وجميلًا وعفوياً فإنه يكون جميلًا وطيّباً، لكن في العلاقة الاجتماعية يصير وجود الزوج وحضوره تحصيل حاصل غالباً والمرأة قد تعطي نفسها له وتفتح أبوابها من باب أداء الواجب أو خشية من عدم شبعه وخيانته لها، والرجل عاجلًا أم آجلًا سيشعر بغياب الروح والقوّة من العلاقة وسيبدأ يملّ منها ويفقد متعتها وحتى لعله يفقد جاذبية زوجته في عينيه.

أما انتهاء العلاقة الاجتماعية فإنه قضية بحدّ ذاتها، لأن الأسر ستتدخل وسيتم أخذ ردّة فعلهم في الحسبان، ثم الأصدقاء والمعارف، ثم الأسرة الكبيرة والمعارف من الدائرة الواسعة، ثم رأي الديانة والثقافة والتقاليد عن الزوج الفاشل، ثم الاجراءات الحكومية التي لابد من القيام بها لإنهاء الموضوع. فلا يكفي أن الأطراف يشعرون بالضغط النفسي بسبب انتهاء العلاقة فإنه لابد أن يتم الضغط عليهم بضغوط عقلية ونفسية وبدنية كثيرة أخرى فوق ذلك. ولذلك بعضهم قد يتخيّل تلك الضغوط الخارجية فيفضّل البقاء في العلاقة التي ذهبت أسبابه الفردية للبقاء فيها، وهذا يزيد من إشعال نار جهنّم في بيتهم ويعمّق الكدر والاشمئزاز ويرسّخ النفاق.

الأساس الأكبر لوجود العلاقة الاجتماعية، بل لعله السبب الوحيد، هو وجود الأولاد. وسبب آخر قد تكون الضغوط والتهديدات الاجتماعية ضدّ العلاقة الفردية وصعوبة حصول اللقاء إلى حدّ يزيد عن الحدّ اللازم لوجود اللذة ودوام السلامة. فيضطر إن أراد الأولاد أو السلامة إلى الدخول في الزواج الاجتماعي. أما في بلاد لا تمانع وجود أولاد خارج إطار الزواج الاجتماعي، فإن كل علاقة بين اثنين

تعتبر كأنها زواج اجتماعي من هذا الوجه، لأن منع العلاقة إنما يقوم بسبب الحفاظ على الأولاد وعلى تحريم وتجريم الصلة بين الرجل والمرأة إلا بشرط الإنجاب (والتفسير هنا فلسفي ميتافيزقي يرجع إلى اعتبار البدن كالشيطان وشهواته نارية دائماً ولا قيمة لها ولا روح فيها بالتالي تبرير وجودها يعتمد على الحاجة إلى الأولاد- الفكر الصليبي كنموذج).

الغاية: الغاية من الزواج الفردي هي سعادة الطرفين. الغاية من الزواج الاجتماعي هي بقاء المجتمع. القاعدة العامّة هي استحالة وجود سعادة في الزواج الاجتماعي، ولو بعد حين، والاستثناء معجزة خارقة للعادة. ومن أجل خرق هذه العادة، قام الرجال في الكثير من المجتمعات ببعض الأمور التي تضمن لهم وجود سعادة العلاقة الفردية السرّية مع بقائهم في العلاقة الأسرية الاجتماعية لرغبتهم في الأولاد والاستقلال وشئ من الاستقرار، ومن ذلك إنشاء نظام الإماء والجواري في الماضي، فتكون الجارية مطلوبة للذّة بينما الحُرّة مطلوبة للأسرة والوجاهة. ومن ذلك القبول بالمعشوقات والخيانات، وتبرر المرأة في بعض الأحيان ذلك بأنه من المقبول أن يفعل رجلها ما يشاء طالما أنه يرجع إلى البيت في نهاية اليوم، بمعنى أنها تطلب الأمن المعيشي والوجاهة الاجتماعية بوجود الزوج بجانبها، ولعلها هي الأخرى تفعل ما تفعله بالسرّ للحفاظ على شئ من سعادتها الممكنة في ظلّ هذه الظروف. الأمراء والأثرياء قد تسالموا عموماً على عدم قصر أنفسهم على امرأة واحدة حسب العلاقة الاجتماعية، بل كلّهم تقريباً يرى ضرورة وجود علاقة فردية سرّية من نوع أو آخر.

قد يرى البعض أن وجود العهر (أي الدخول في العلاقة بناء على المال) يمكن أن يساعد على معالجة سلبيات الزواج الاجتماعي. إلى حدّ ما قد يكون لذلك وجه، لكن في الحقيقة وحسب الصورة الشاملة ليس الأمر كذلك. لأن العهر، بالنسبة للعاهر والعاهرة على السواء، لا يوجد فيه تلك الكمالات الموجودة في الزواج الفردي. إذ إن العهر هو نوع من الزواج الاجتماعي، والمطلب فيه المال كما أن المطلب في الزواج الشائع هو الأولاد إنجاباً أو رعاية. ثم إن كان في الزواج الاجتماعي الشائع توجد علاقة رغبة بنفس الشخص لا أقلّ في بادئ الأمر، فإن العهر يفتقد حتّى لهذه الرغبة، والفرد معدوم فيه لأنه راجع إلى طلب أحد الأطراف للمال فهو لا يرى الطرف الآخر لكنه يرى المال. بالإضافة إلى السلبيات الأخرى. فالعهر هو أسوأ صنف من الزواج الاجتماعي. فإن كان زواج الأسرة شرّ لابدّ منه، فإن العهر شرّ لابدّ من رفضه.

لا يوجد حلّ ولا علاج لمشاكل الزواج الاجتماعي. هذه مُسلّمة. لكن ما يمكن القيام به يتعلّق بتخفيف حدّة المشاكل من طرف، مع رفع الإيجابيات من طرف آخر حتى تتشابه قدر الإمكان مع الزواج الفردي وتبقى على تلك الشاكلة. ولهذا بحث آخر ليس هذا موضعه، لكننا قد أشرنا إليه، والله المستعان.

قالت: الحل هو التجديد من الناحية المادية للزواج الاجتماعي. من ناحية الزوج فعليه ان يهدي زوجته كل فترة هدية او سفرة او اياً كان لاحساسها بان الحياة متجددة دائما وفيها حماس و شوق ولهفة لما هو جديد في المرة المقبلة لاعادة احساس الزواج الفردي. و على الزوجة تغيير مظهرها كل فترة من قص شعرها او تغيير لونه و تغيير شكلها بالعمليات المتعارفة لتصبح انسانة جديدة في نظر زوجها واحساسه بالتجديد والاثارة / طريقة اخرى متعارفة في علم النفس و هي جملة معروفة"take a break" اخذ اجازة من الطرفين كل فترة بحيث يسافر الرجل مع اصدقائه والمرأة مع صديقتها و لا يعرف شئ عن احد هذه الفترة.

...

لكل نَفَس قَبَس، مَن فعّله تكامل، و مَن خسره تسافل.

...

كل خطأ هو مخالفة لكتاب الله. حين أنظر في كل فعل أقوم به أو لا أقوم به ويؤدي إلى أمر سلبي وظلماني فإنني أجد أنه مخالف لما أمر به الله تعالى في كتابه، وأرى أنني لو قمت بأمر القرءان لانقطعت السلسلة التي أنتجت الظلمة والألم والكدر. ففي كل لحظة يوجد أمر إلهي ينبغي أن ننظر في تلك اللحظة إليه ونقيس إرادتنا به ونعمل على أساسه، وهو كمال تلك اللحظة وشريعتها.

...

فرق بين الاحتجاج على القيد الاجباري والقيد الاختياري.

حين نريد تقييد الآخر جبراً أي بتوجيه عقوبة مالية أو نفسية عليه في حال لم يتقيّد به، فإن واضع القيد هو المسؤول عن إيراد الحجّة الموجبة لذلك، بينما الذي يُراد تقييده معه حجّة الأصل وهي فاعلية الإرادة الفردية وإباحة الأشياء الموجودة ولذلك لا يحتاج إلى الاحتجاج بشئ غير ذلك الأصل وثبوته الذاتي. على الجابر القاهر البيّنة الكافية للخروج على القاعدة الكلّية للإرادة والإباحة.

بينما في التقييد الاختياري فإن الحجّة بالعكس تكون على الذي يريد الخروج على الطبيعة واستصحاب الأصل الذاتي. فمثلًا، لو أراد إنسان أن يثقب إذنه بحَلق، فإن المسؤول عن الحجّة والبيّنة هو الثاقب وليس الداعي إلى رفض الثقب، لأن الأصل الطبيعي هو بقاء الجسم غير مثقوب، والذي يخالف الطبيعة مسؤول عن الحجّة، ويكفي رافض عملية الثقب الاحتجاج بقاعدة الطبيعة واستصحابها (والاستصحاب هنا هو بقاء الكائن حسب كينونته الذاتية).

ونسمّي هذا القيد بالقيد الاختياري لأن رفض حجّية الطبيعة والاستصحاب لن يلزم عنه عقوبة مالية أو نفسية صناعية إنسانية من الخارج، فالإنسان في نهاية المطاف له اختيار قبول حجّية الطبيعة أو رفضها وخرقها. وهنا نصل إلى الفرق بين القيد الإجباري والاختياري من حيث العاقبة: في الإجباري الانتقام على عدم التقيّد يكون صناعياً، بينما في الاختياري يكون طبيعياً. الإجباري يكون بالقانون، بتدخّل إنساني. الاختياري يكون بالطبيعة والسنن الكونية، فالذي يأكل السمّ يتألم ويموت سواء وُجد قانون يمنع تناول السمّ أم لا.

في المجتمعات الآدمية تزداد القيود الاختيارية وتقلّ القيود الإجبارية. في المجتمعات الفرعونية تزداد القيود الإجبارية وتقلّ القيود الاختيارية. كلّما ازدادت قيمة العقل كلّما ازدادت الآدمية، وكلّما قلّت قيمة العقل كلّما ازدادت الفرعونية، إذ معاقبة الأبدان لتوجيهها إلى الأعمال دليل على عدم اعتبار العقل بل اعتبار الإنسان كبهيمة لا تفهم إلا بالضرب الخارجي.

...

الخاطرة زاوية، بينما الكتاب مجموع زوايا.

...

عدد الحروب في العلاقات الاجتماعية مخيف ورهيب. تأمل فقط في عدد الخلافات والمشاكل بين الأفراد وأسرهم، والأسر بعضها مع بعض، وستجد أن الكمّية كثيرة والكيفية كبيرة، حتّى لكأننا لم نُخلَق إلا للنزاع والخلافات والمشاحنات. حاول أن تجلس وتنظر في كل خلاف بين فرد وفرد وأسرة وأسرة تعرفه، ثم دقق في أسباب هذه الخلافات، وستجد التالي: أوّلًا عدد الخلافات مهول، وثانياً أسباب الخلافات تافه إلى حد غير معقول، في كثير من الأحيان. لا نستغرب من وجود الحروب الدولية إن كانت الحروب الأهلية لا حصر لها. وكيف نستغرب من وجود العنصرية والعصبية على مستوى الأمّة والدول إن كانت

موجودة وبصورة عنيفة ومخيفة بين الأفراد والأُسَر. بعض الكلمات التي ينطق بها المختلفون من وراء ظهور بعضهم البعض، لو دوّناها ونشرناها لأظلم العالَم، قمّة-أو قاع-اللامبالاة بالآخر واحتقاره وتشويه صورته واعتباره كأنه ليس إنساناً ولا حيواناً. ثم بعض العبارات مثل "طز في الناس" أو "الناس ما تسوى شيئ" أو "الحيوانات تشعر بك أكثر من الناس" أو ما شابه، هي تعميمات لا نكاد نعقل سبباً للطغيان والقبول به مثل الرضا بها واستمرائها. لابد أن ننظر في أصول هذه الحروب وحلّها قبل أن نحلم بحلّ الحروب الأخرى.

...

"اتّق شرّ الحليم إذا غضب": الحليم هنا ليس فقط من الحلم الذي هو ضدّ الغضب بل هو من الحلم ذي هو ضدّ الجهل، "أم تأمرهم أحلامهم بهذا" الأحلام هي العقول. فالمقصود: اتّق شرّ الهادئ إذا غضب لأنه لا يغضب إلا لسبب عظيم وبالتالي ردّة فعله ستكون عظيمة وقد يخرج عن كل طوره وفكره السليم في سبيل ذلك، وهذا هو المعنى الشائع. لكن المعنى الآخر هو اتّق شرّ العاقل والذكي والمفكّر إذا غضب، لأنه سينزل بك ناراً مدروسة وسيُعمل آلاته في أماكن حساسة من وجودك قد تأملها وعرف مدى خطورة تأثيرها عليك، ومن ذلك فنون التعذيب التي يبتركها العلماء مثل الضغط على بعض المواضع داخل الفم حتى تضرب على أعصاب معيّنة مثلًا. الغضب لو توسّل بالعقل أنتج جهنّم.

...

ما سوى الذكر والكتابة، لا قيمة له بنفسه. هذه خلاصة رؤيتي وأعمالي. وكلّما تأملت لأجد معنى لما سوى ذلك وجدته إما يعتمد على الذكر وإما لابد أن يكتمل بالكتابة. فالذكر أساس والكتابة ثمرة. وبدون أساس لا بناء، وبدون ثمرة ما قيمة الشجرة. السبحة والقلم، هذه أدوات الإنسان الكامل.

...

أقرأ كثيراً في كتب مختلفة، لكنّي أجد فيها مواضع تنفعي في كتاباتي، بغض النظر عن نوع النفع، فقد يكون النصّ شاهداً على فكرة، أو قد يكون تمثيلًا لها، أو موضوعاً للبحث، أو غير ذلك. ولأنني أقرأ لشتّى أنواع العقول وألوانها، وذلك حتى لا يتصخّر عقلي وينحصر ويتصحّر، فإنني أجد على الموضوع الواحد الذي يهمّني الكتابة فيه في كتاب أو مقالة، شواهد كثيرة من تلك الأنواع المختلفة والمواضع التي يرى الكثير من الناس أن لا تكاد توجد صلة بينها. إلا أنني موقن ومشاهد لوحدة العقل الإنساني ولاتصال العقول في نهاية التحليل ولبّ التأويل. ثم لو قرأت الكلمة، وعرفت أين تنفعي، فإنني عادة ما أنسى ذلك لاحقاً لتكاثر المواضيع والكلمات وكثرة الأشغال، فتذهب الفائدة في معظم الأحيان. ولذلك فكّرت في طريقة لعمل ذلك وتذكّرت طريقة رأيتها عند أحد الكتّاب العرب وأحسبها طريقة شائعة وقد رأيتها في مكتبه قبل خمس سنوات تقريباً على ما أذكر، وهي هذه مع إضافات من عندي: أن تجعل لكل موضوع تؤلف فيه مجموعة بطاقات وتعنونها باسم الموضوع وتجعل كل مجموعة لها نفس الاسم في موضع واحد وعلى رأسها في الزاوية تضع الحرف الأوّل من اسم الموضوع مثلًا "ح" لحرية تعبير أو "ع" لعنف، وتضعها بجانبك أثناء المطالعة، وحين تمرّ بك الكلمة النافعة تأخذ بطاقة وتسجّل عليها اسم الكتاب والكاتب إن كان الكتاب غير متميّز بذاته،وإن كان للكتاب أجزاء فتكتب رقم الجزء ثم ورقم الصفحة، ثم رقم السطر أو البيت إن كان بيتاً من الشعر وترقّم السطر بحسب أوّل كلمة من الاقتباس، وإن شئت الدقة فرقم الكلمة من بداية السطر. فمثلًا (الفتوحات المكية//٤/٣/٥/٣). أي الجزء الرابع الصفحة الثالثة السطر الخامس الكلمة الثالثة. وبالطبع لابد أن يكون تسلسلك واحداً حتى يكون مفتاحاً لكل ما في البطاقات، ومن الحسن أن تكتب مفتاحك في موضع في حال نسيته.

ومن الأمثلة التي ذكّرتي بهذا المعنى-غير الحوار الذي دار بيني وبين زوجتي حول هذا الموضوع وكانت تسأل عن كيفية تذكّر مواضع الأفكار التي تريد العودة إليها لاحقاً فذكرت لها ما مضى وما يأتي-هو المثال التالي: أحد أهم المواضيع التي أشتغل عليها الآن هي موضوع عدم تقنين البيان وحرية التعبير، بل لعله الموضوع الأبرز والأهم لأنه فاتحة بقية المواضيع من وجه. وتلقائياً حين أقرأ في أي كتاب أو أحياناً حتى حين أستمع أو أشاهد شيئاً أو أمر بتجربة اجتماعية، فإن كل ما يتعلق بهذا الموضوع ينجذب لقلبي ولله الحمد وأسعى للاستفادة منه سواء في الكلمات أو المقالات أو الكتب (مثل كتاب "تكلّم بما شئت" الذي أعتبره إنجاز حياتي الأعظم لو تمّ كما أريد بإذن الله وفضله). في ضوء هذه الحقيقة، بالأمس كنت أقرأ كتاب "الكوميديا الإلهية" لدانتي، وقد توقّفت عن قراءته منذ فترة بعد الحماس المبدأي له، لأنني وجدته إلى الآن "شعراً" بارداً إلى حد كبير، والفائدة المعرفية فيه ضئيلة ولابد من استخراجها من بواطنه كما يُستخرَج الذهب من الصخر مع صعوبة تكسير الصخر. إلا أنني أريد إكماله بإذن الله. فأعود إليه كل فترة. بالأمس دخلت إلى حيث توقّفت، فوجدت بيتاً يناسب موضوع عدم تقنين البيان. وهو من الأنشودة السادسة عشرة، أو حسب النظام السابق ذكره، (الكوميديا الإلهية/ ص٢٦٦ / س١٤) وكتبته بالسطر بدلًا من رقم بيت الشعر لأن الأبيات غير مرقّمة في هذه الترجمة العربية. والعبارة هي التالي {فسعيد أنت إذ تتكلّم كما يروق لك}. وبغض النظر عن سياق الكلام، فإن هذه الجملة مفيدة بحد ذاتها ولو استقلّت بنفسها. والعلاقة علمية، أي هو إعلام وإخبار بوجود علاقة بين السعادة وبين التكلّم الحرّ الراجع للمشيئة الذاتية للمتكلّم. {سعيد أنت} لماذا؟ {إذ تتكلّم بما يروق لك}. فالكلام الحرّ سبب والسعادة أثر. بالتالي قد تنعكس القضية وتصير: شقي أنت إذ لا تتكلّم كما يروق لك! وهذه أيضاً فائدة عظيمة ولها وجه في الحقيقة. ثم من هنا ننفتح على الأفق القرءاني الأعلى، فنجد أن القرءآن يقول عن الكفار يوم الحساب "فوقع عليهم القول بما ظلموا فهم لا ينطقون" فجعل عدم النطق أثراً للظلم والحكم بالشقاوة عليهم، فالشقاوة سبب وعدم النطق أثر. وهكذا نستطيع أن نأتي بهذه الأفكار والشواهد في مقالة تتحدّث عن علل عدم تقنين البيان وإزالة كل قيد عن حريّة الكلام، فنقول أن أحد العلل هي "السعادة" و "الشعور بالقيمة" و "العدالة" وما شابه.

من أبدع الأشياء أن تذكر شتّى أنواع الشواهد على الأفكار وأن تربط بين أمور مختلفة وتُظهر كيفية اتصالها وخدمتها لنفس المعنى.

...

ما التجأت إليه في ظلمة أبداً,
إلا وجدته خير نصّارِ.
وإذا بالليل ظلمته انقشعت,
وامتلا الوجود بفيض أنوارِ.

...

"إنا أنزلناه في ليلة مباركة" علم الطريقة. "أمراً من عندنا" حكم الشريعة.

...

"إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا". المقصود بالمشركين هم عرب ذلك الزمان من أهل مكة ممن حارب المسلمين ومنعهم من دخول المسجد الحرام, ولذلك ورد التخصيص "عامهم" ولم يقل: بعد هذا العام, فضلًا عن بقية القرائن. ويحق لأهل الكتاب من الموحدين من كل الملل الدخول إلى المسجد الحرام لأنهم ليسوا من المشركين, وهذا المفترض أن لا خلاف فيه لأن نص "إنما

المشركون" لا يتضمنهم وهم أصحاب الكلمة السواء في آل عمران فلو كان الشرك أصيلًا فيهم ويعبّر عن جوهر دينهم لما أمكن إيجاد الكلمة السواء بيننا وبينهم.

...

مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة إنما هو الموضع الذي كان مسجداً للنبي على عهد النبي. والتوسعة اللاحقة المحدثة لا توسّع شيئاً من حقيقة المسجد المذكور في الحديث الشريف وفضله, لكن لمواضع التوسعة فضل كونها من المدينة المنورة وفضل الجيرة وفضل الإلحاق والاتصال, أما أن تكون من ذات المسجد النبوي فلا.

وكذلك في المسجد الحرام, فإن بيوت الناس ومراحيضهم وأسواقهم ومعاطن إبلهم التي كانت في مكة وبجوار الحرم لا يمكن أن تكون من "المسجد الحرام", فلا هو محل نجاسة ولا هو موضع لا تجوز الصلاة فيه ولا هو من أبغض الأماكن إلى الله كما ورد في تلك المواضع. حدود المسجد الحرام الذاتية هي ما كان كذلك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت الآيات بالتكلم عنه.

...

المركز الكاذب خارجي ومحدود. المركز الحق قلبي مطلق. فمن كان مركز حياته كاذباً كان من الهالكين, ومن كان مركز حياته شريفاً كان من الناجين.

...

كيف توجد محكمة تجارية ومحكمة عمالية ومحكمة جنائية لكن لا توجد محكمة كلامية. وكيف توجد وزارة التجارة ووزارة داخلية ووزارية خارجية ولا توجد وزارة الكلام. على أقلّ تقدير, الكلام عمل إنساني مثله مثل بقية الأعمال التي خصصوا لها محاكم ووزارات, وجعلوا لها تنظيمات تعرّفها وتحددها وتكفل حقوق أهلها وتدبّر شؤونها, حتى حين تريد الحكومة ترك الشيء حرّاً من تدخّلات الحكومة والناس فإنها تنظّم ذلك وتجعله ظاهراً بدرجة أو بأخرى, وأما إن كان العمل سبباً للنزاع والاختلافات فحينها لابد من تخصيص وزارة تقوم عليه ومحاكم تفصل في النزاع فيه. وأما على التحقيق, فالكلام ليس فقط مثل تلك الأعمال بل إنه أعلى وأولى منها بالاعتبار وخصوصاً في مواضع التجمع الإنساني. الزواج والطلاق, التوظيف والنشر, الحرب والرئاسة والملك, كل الأعمال تقريباً توجد وزارات تنضوي تحتها تلك الأعمال ومحاكم أو طرق للفصل في النزاع فيها. لماذا لا يوجد مثل ذلك الاهتمام بالكلام الذي هو الخاصية الكبرى الظاهرة للإنسان. وتزداد الحيرة حين نرى أن كل الدول في الماضي والحاضر بلا استثناء واحدة منها لم تزل تواجه مشاكل وخلافات ومصائب بسبب الكلام وبسبب أمور تدور حول الكلام وتنبع منه ولا أقلّ دائماً يوجد أناس يريدون إسكات الآخرين ومنه بعض أنواع الكلام من الانتشار والظهور ومعاقبة من يظهرها, وكل الدول والممالك في الماضي والحاضر (باستثناء واحدة أو اثنتين) كانت تعاقب على الكلام. فكيف لم تهتم كل تلك الدول والممالك بموضوع الكلام بالقدر اللازم من الاهتمام والمناسب لخطورة الأمر. سبب وضع الوزارات والقوانين والمحاكم للمواضيع عموماً موجود في موضوع الكلام, فالقياس على ذلك السبب يوجب تخصيص وزارة وقانون ومحكمة للكلام. وقانون الكلام لا يعني تقنينه بمعنى وضع عقوبات على بعض أنواع الكلام, لا اقلّ ليس بالضرورة وإن كان الذي يريد أن يعاقب على الكلام لابد أن يوضح ذلك تفصيلا وبتفصيل ممل كامل ما الذي يقصده بجريمة الكلام وصورها كما أن كل الجرائم الأخرى لها تعريفات دقيقة وشروط إثبات وحيثيات وكيفيات وما إلى ذلك. ثم الذي يريد أن يعارض نوعاً من أنواع الكلام وإدخاله تحت العقوبات الحكومية لابد أن توجد جهة تهتم بالنظر في

قضيته ودعواه ورد حججه حسب رؤيتها وتوجهها في مسألة الكلام. ثلاثة أشياء لابد من صنعها في كل الدول: وزارة الكلام, قانون الكلام, المحكمة الكلامية.

...

الطغيان أن تقول "الخارج أنا". أي تتعامل مع ما هو خارجك كأنه كلّه مختزل ومختصر في نفسك, حتى بقية الناس فضلًا عن من سواهم من حيوانات ومخلوقات.

...

الزمان كيفي دائري, ومراحل الزمان هي الأفكار والصفات وليست القرون والساعات. فقد يدور الزمان دورة كاملة في سنة واحدة, وبالنسبة لبعض الأشخاص قد يدور في ساعة واحدة. تقسيم الدورة الزمانية بناء على مرور الأعوام دليل الذهنية الكمّية العدمية. من قمّة النور إلى قعر الظلام, ثم من قعر الظلام إلى قمّة النور, هذه دورة الزمان. الأفكار والصفات, هذه هي حقيقة الساعات.

...

في نهاية التحليل, كل شيء يرجع إلى الأفكار. العمل والقيم والمؤسسة والحزب واللباس والطعام والتاريخ والمستقبل والتطور والتقدم و كل شيء متعلق بالإنسان يرجع إلى أفكار. وكل بحث في أي فرع من تلك الفروع, إن كانت له قيمة, فهو بحث تحليلي تأويلي, أي لابد أن يصل إلى الفكرة الأولى والأفكار الكلية التي تمثّلت في الفرع والحادثة الجزئية.

مثال سخيف ولأنه سخيف فهو مهم لأن إثبات وجود الأفكار في هذا الشيء السخيف يدلّ من باب أولى على وجودها وفاعليتها وأولويتها في ما سوى ذلك من الأمور, والمثال هو: ربطة العنق. هذه الربطة التي يلبسها الغربيون والمتشبهين بهم مع البدلة ذات البنطال والقميص والسترة والحذاء. ما هو أصل هذه الربطة؟ أول ما نلاحظه أن ربطة العنق لا منفعة مادية مباشرة ورائها, من قبيل أن تدفئ في البرد وتبرّد في الحرّ, ولا أنها تسبب الراحة للبدن مثل لبس الحرير الملائم للجلد وحساسيته بل إنها في باب الراحة تعتبر إما منعدمة القيمة أو سلبية وأحياناً سلبية جدّاً لأنها تخنق الرقبة وتضعف وصول الهواء والدم من وإلى الدماغ في بعض الحالات وفي حال لم تكن معقودة جيّداً فإنها تبدو سيئة المنظر والعبرة من وضعها أن تكون معقودة لحد الرقبة, فإذا أضفت لذلك القميص الذي يصل إلى العنق ويعطيه ويقبل عليه بأزراره, تبين لك أن أصحاب هذه الربطة والقميص هم أناس لديهم شهوة خفية بتعذيب أنفسهم, ومن الواضح أن تعذيب النفس ولبس شيء مادي لا فائدة مادية منه من حيث الفوائد المرجوة بشكل أساسي من اللباس, من الواضح أن التفسير المادي لربطة العنق لا يفيد. بل إنها من وجه تعتبر ترف اقتصادي, لأنها استعمال لأقمشة مادية في غير فائدة مادية مباشرة. ولذلك أوّل ما نقطع به هو أن سبب وجود ربطة العنق ليس سبباً مادّياً مباشراً. (وليتنبه لذلك كل أولئك الذين يزعمون أنهم من الأحرار ولا يقلّدون إلا عقولهم, وكذلك الذين يزعمون أن كل شيء له تفسير مادي مباشر وسهل ومصلحة, وسيتبين المزيد بعد قليل إن شاء الله). فإن لم يكن مصدرها الحاجة الطبيعية المباشرة فمن أين جاءت؟

يقولون: أن وضع نوع من اللباس حول العنق قد ثبت للجنود الرومان كجزء من لباسهم الرسمي أو كرمز للانتماء لمجموعة معينة. أما ربطة العنق الحديثة الأوروبية فترجع إلى الحرب المعروفة بحرب الثلاثين عام في القرن السابع عشر اليسوعي (1618-1648م) وهي بين الدول الكاثوليكية والدول البروتستانتية والتي أثمرت تقريباً ثمانية مليون قتيل, والدول فيها وظّفت سفاحين مرتزقة ليحاربوا عنها ومعها. وأهم رؤوس هذه الحرب ملك فرنسا وعائلة هابسبورغ في النمسا. أحد مرتزقة ملك فرنسا هم من المحاربين الكرواتيين, نسبة إلى كرواتيا, كانوا يضعون شيئاً حول أعناقهم, وهذا الشيء أعجب ملك فرنسا لويس

الرابع عشر فبدأ يلبسه .من هنا كلمة "ربطة عنق" حتى في العربية السورية مثلا وغيرها هي "غرافه" أو "غرافاته" وكلها كلمات أصلها من "كرواتيا" حسب النطق الفرنسي لها "كرافات". ولذلك أهل كرواتيا إلى يومنا هذا يحتفلون بعيد ربطة العنق بتاريخ 18 أوكتوبر. فإذن الملك قرر لبس قطعة قماش لأنه أراد تعظيم المرتزقة الكرواتيين الذين يحاربون عنه فقام بأمرين: الأول فرض لبس الربطة في الاجتماعات الملكية, وأعطى الربطة اسم "لا كرافات".

بناء على ذلك, أصل ربطة العنق هو إما الجنود الرومان كجزء من لباسهم العسكري أو رمز على الانتماء إلى فئة معينة.ولعل الكرواتيين صاروا يلبسون ذلك بناء على تقليد العسكر الروماني. فالأمر إذن يرجع إما إلى فكرة تمييز العسكر عن بقية الناس أو تقسيم العسكر إلى فئات وإما إلى فكرة الخضوع لأمر الملك والتشبه ب"النبلاء". ومن هنا انتشر. لأن الناس صاروا يقلّدون الملك والنبلاء, وتأمل كم فكرة توجد في كل ذلك: الملك أراد تقدير الجنود بأن يفرض لبس شيء مثلهم على نفسه وعلى كبار الناس عنده, وفي ذلك فكرة التقدير بناء على تبني شيء عند الآخر, وأن الجنود أقرب للمادية فيفهمون قيمة تقليدهم بشيء محسوس يستعملونه أكثر من الاعتبارات المعنوية والمجردة, وغير ذلك من الأفكار الكامنة في وجود نفس الملك وأهمية الخضوع لأمره وتقليده حتى في اللباس.

وإن أرجعنا الأمر إلى الجنود الرومان فتوجد أيضاً أفكار كثيرة ومن أهمها فكرة التمييز بين الناس بناء على لباسهم وما يرجع ذلك له, وفكرة تقسيم الناس عموماً والغايات التي يهدف إليها هذا التقسيم والذي له صورة ظاهرية تدل عليه ونفس أسلوب جعل صورة ظاهرية للمعنى والصفة مبني على أفكار منها أن الناس عموماً حسيين ماديين يهتمون بالظواهر أكثر من الجواهر والإدراك العقلي للتمييز الواقعي إن كان ثمة تمييز.

لكن الأرجح أنها متفرعة عن تقليد نبلاء فرنسا الذين أمرهم الملك بذلك بناء على رغبته في تقدير مرتزقة كرواتيين حاربوا عنه في حرب ظالمة آثمة منشأها الإكراه الديني والتعصب السياسي البغيض المتلبس بالدين أيضاً. كل ذلك الظلم والإكراه والتعصب وتقدير المرتزقة والملك الدكتاتور الذي يفرض على من حوله جبراً ماذا يلبسون, كل ذلك كامن في ربطة العنق..."البريئة"؟! و "البسيطة" التي لا أفكار فيها؟! فتأمل.

وعلى هذا النمط, لو دققنا وأطلنا النفس في التحليل والتفصيل لوجدنا أن قضية ربطة العنق هي تكدّس لمجموعة من الأفكار وتنزيل لها في صورة هذه الربطة. وعدم الالتفات لارتباط الربطة بمرتزقة هو بحد ذاته أمر يرجع إلى أفكار معينة.

وقس على ذلك بقية الأمور. الإنسان رسول أفكار. فالروح مركز وجودنا الخاص.

...

البسملة أوّل آية من الفاتحة لأن الاسم الإلهي إنما هو عين الحقيقة الأولى الجامعة، التي هي الحقيقة المحمدية وهي أمّ كتاب الموجودات كالفاتحة في سور القرءآن. "مَن رآني فقد رأى الحقّ". ثم بالنسبة لبقية الموجودات فهي الظاهرة بالتجلي الإشراقي عليها عموماً، وذلك بوسيلة النور المحمدي، والاستثناء هو حين يظهر الاسم الإلهي لكن يكون غيبياً كما هو الحال في سورة التوبة، وهي الفاضحة لأنها تفضح السرّ القائل بأن الاسم الإلهي في كل شئ حتى في ما هو في الدرك الأسفل من الموجودات الظلمانية وإن لم تظهر لكل عين، فالبسملة مكتوبة في أوّل سورة التوبة لكن لا تراها إلا أعين المقرّبين المخلصين. وسرّ الاسم الإلهي موجود مع الخلق وظاهر كسليمان، وهو الذي له العلم والملك وبسط السلطان، فالاسم الإلهي مع الغالب، لكنه لا يبقى مع غالب واحد بل هو كما قال "تلك الأيّام نداولها بين

الناس"، لماذا؟ حتى لا يتم تأليه أحد من الغالبين، فكل غالب مغلوب إلا الغالب المطلق لا إله إلا هو وإنما الغلبة بسرّ الاسم الإلهي "إن ينصركم الله فلا غالب لكم" أي اسم الله إن يكن معكم ينصركم وإن نصركم فلا غالب لكم. ولذلك ورد الأمر بذكر الاسم الأعظم أثناء القتال.

ملحوظة: كل ما مضى خطر لي في أقلّ من ثانية أثناء افتتاح صلاة الوتر أمس بعد ليلة قضيتها في إعانة أهلى على عمل البيت. وإني لأكون في عمل ظاهره اللاشئ أو كأني لا أعمل شيئاً فكرياً أو روحياً، وإن ذرّة من الحقائق التي تظهر في باطني لو أشرقت لأحرقت ما بين المشرقين، بفضل الله نور النور وشارح الصدور سبحانه وتعالى.

...

على القائمين بآية "نقص عليك من أنباء ما قد سبق" وهم من وجه أهل التاريخ والباحثين عن الوقائع المتعلقة بالشخصيات التي عاشت على هذه الأرض من الناس, أن يجمعوا لكل شخصية كتاباً واحداً يكون فيه كل ما يتعلق به حسب تسلسل الخط الزمني, ثم في كل مرحلة من السلسلة توجد فيها معلومة أيا كانت قيمتها فلابد من وضعها في تلك المرحلة وفي حال لم يُعرَف زمن للمعلومة فيتم وضعها في خانة تاريخ اكتشافها أو المصدر الذي ذكرها.

ولابد أن توجد كتب هي متن التاريخ وكتب هي دراسات التاريخ.

في متن التاريخ لا يوجد إلا ذكر المعلومات المجردة بدون أي تعليق وأي تحليل وأي شيء من أي قبيل غير وصف الواقعة بأدق صورة ممكنة حسب المصادر, مثلا: فلان ولد في سنة 1 أو 2 أو 3. فلان دخل المدرسة ذات الاسم أ أو ب أو ج. فلان تعرض لعملية اغتيال على يد س أو ص. وعلى هذا النمط يتم ذكر الوقائع التي يتفق كل ناظر في المصادر أنها معلومة موجودة في المصدر, بغض النظر عن قيمة المصدر.

أما في دراسات التاريخ فيتم تقييم المتن من قبل الدارسين والمكاشفين. والأفضل أن يتم تقييمها حسب تسلسلها التاريخي. وبذلك يستطيع أصحاب الدراسات المقارنة لدراسات التاريخ أن ينظروا بتسلسل في أقوال الدارسين بخصوص كل مرحلة وكل فقرة وكل دعوى متعلقة بالشخصية التاريخية أو الحدث التاريخي.

الموجود الآن في كتب التاريخ, كثير منه إن لم يكن معظمه لا يجري على مثل ذلك النسق, وتاريخ الطبري يشبه ما ذكرناه من حيث أنه يقسّم التاريخ إلى مراحل زمنية وينظر في أهم حوادث تلك الفترة حسب رأيه وغايته من كتابة التاريخ. إلا أن ما ندعو إليه أوسع وأدق وأكثر نمطية وتجرّداً من ذلك. وأما الكتب التاريخية التي يختلط فيها الرأي والتحليل بالوقائع, بل الوقائع ذاتها يتم تخيّرها بتحيّز يزيد وينقص ثم يتخلل ذكر الواقعة تقييمها والتعليق عليها بل حتى طريقة صياغة الواقعة تكاد تكون شديدة التحيّز لدرجة تجعل النصّ فلسفة أكثر منه تاريخاً, فتسمية مثل تلك الكتب تاريخية هو مثل وصف كأس فيه بضعة قطرات من الماء وسط بحر من العصيرات والزيوت والبترول "ماء".

...

كل نص لا يكون صاحبه حاضراً ليشرح معناه ويجيب على أسئلة السامعين والدارسين, فإنه لابد من أن ينشأ عنه عاجلًا أم آجلًا-خصوصاً إن كان مهماً-سبعة مذاهب في التعامل مع ذلك النص: الظاهري والسلفي والمقاصدي والذاتي والشعبي والكفري والوراثي.

أما دعوى الظاهري فهي الأخذ بحروف النص والرجوع فقط إلى المعجم اللغوي لعصر النص لاكتشاف معناه.
أما دعوى السلفي فهي الأخذ بنية صاحب النص, سواء نيّته المباشرة أو غير المباشرة والمعروفة من ملاحظة من حوله وأوّل من تلقّى النصّ وعمل به.
أما دعوى المقاصدي فهي الأخذ بمقصد النص والغاية والقيمة الكبرى التي يعتبر النص تجلّياً لها ووسيلة لتحصيلها وفهم النص بعد ذلك في ضوء تلك المقاصد.
أما دعوى الذاتي فهي أن ليس للنص معنى موضوعي وإنما هي آراء قرائه له وقيمهم الشخصية وأهوائهم النفسية ومصالحهم الدنيوية وأوهامهم الأخورية.
أما دعوى الشعبي فهي أن معنى النص هو ما يريد الشعب وعموم الناس وجماهير الأمة أن يكون ويفيضون عليه ذلك بإرادتهم الجماعية والإجماعية الأكثرية التي لها سلطة تحديد المعاني الواقعة في أي زمان.
أما دعوى الكفري فهي ناتجة عن رؤية التناقض في الآراء وعدم قدرته على الحكم بموضوعية لبعضها دون بعض فيكفر بالنص ويرفضه ويلغي قيمته ويطلب المعنى في غيره.
أما دعوى الوراثي فهي أن للنص ورثة هم الذين يحق لهم دون سواهم تحديد معناه وهم أصحاب السلطة بناء على علاقة خاصة تربطهم بصاحب النص ليست لسواهم, وهم قد أخذوا المعنى منه وبواسطته بنحو من الأنحاء سواء بالسند التاريخي أو بالإلهام الباطني.
أوّل ست مذاهب لابد أن توجد في كل نص, أما المذهب الأخير فيختص عادة بالنصوص الدينية, ولكن له نوع ظهور في النصوص غير الدينية من حيث السلطة القائمة على التفسير من قبيل المحكمة الدستورية العليا التي تحدد معنى النص الدستوري. وما أعجب رؤية تلك المذاهب بعينها في الشرق والغرب, في النصوص الدينية وغير الدينية, وحين تنظر في حجج أصحاب المذاهب تجدها إما هي هي بعينها وإما من شدة التشابه بينها تقول: هذا الذي سمعنا من قبل.

...

كل موقف يعذبك, فهو مهما كان صعباً راجع إليك وبيدك الخروج من ظلمته إلى سعادتك. بعض الأمور الخروج منها سهل, وبعضها الخروج منها صعب, والبعض الثالث الخروج منها شديد الصعوبة, لكن مهما كانت فقد فتح الله لك طريقاً لتجاوز بحرها, إن كنت تعقل وترجع إليه.

...

يزعمون أن كتاب الله كلّه شرائع وحلال وحرام. انظر في سورة مثل سورة الدخان: كلها باستثناء كلمتين فيها, هي تعليم وعلوم وأسرار وأنوار ولا يوجد فيها أي أمر شرعي. الكلمة الأولى هي "فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين" والكلمة الأخرى في خاتمة السورة "فارتقب إنهم مرتقبون". إذن الأمر الوحيد هو "فارتقب" في موضعين.
على أهل القرءان أن يكتبوا كتاباً اسمه "الشريعة الإلهية" يقتصر على النظر في الأوامر الشرعية من كتاب الله, من أول آية إلى آخر آية. ولا يستنبطوا حكماً من معلومة, ولا مفهوم من قصة, ولا قياس ولا علل ولا شيء. بل يقتصرون على الأوامر الإلهية المباشر. والأوامر المتوجهة على رسول الله لا يتم القياس عليها وحملها على الأمة, بل ما توجه لرسول الله فهو لرسول الله, مثل قوله "فارتقب" فهو لرسول الله ولم يقل: فارتقبوا. وكذلك ما قالوا أحد الرسل لقومه ليس أمراً لنا, مثل قول موسى "ألا تعلوا على الله". فهذا أمر من موسى لقوم فرعون وليس لنا. فنحن غير مكلفين إلا بالأمر الموجه لنا من قبل الله ورسوله بأمر

الله. فأمر الله مثل "يأيها الذين ءامنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه", فالأمر هنا هو "اكتبوه" بالشروط والتفاصيل المذكورة. وأمر رسول الله بأمر الله مثل "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله" أو "قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن" لكن هذه ليست أمراً لنا حتى يقول لنا رسول الله ما حاصله: قولوا التي هي أحسن. لا تتوسعوا في الشريعة ولا تضيقوها, خذوا فقط بقدر ما أمرنا الله به ورسوله.
على كثرة ما كُتب في أحكام القرءان والفقه, لا تزال مثل تلك الدراسة غير موجودة. آيات الله مثل الحور العين: لم تفتض بكارتهن بعد. "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون".
...
سألني أحد الأصحاب عن شئ ذكرته في إحدى المجالس لكني نسيته فطلبت منه ذكر سياق الكلام قد الإمكان فقال أنه : بخصوص موضوع السبات البوذي، فهو كان على ما اذكر من ضمن خطابك عن اسم الله الشكور.
و سأل سؤالًا ثانياً وهو قوله : في عندي سؤال تقني. حينما اقراء اشارة لحديث من احاديث النبي في كتب العلماء، فيذكر جزئ من الحديث و اجد في هامش الصفحة footnotes : أخرجه مسلم (1/116)ما معنى ذلك؟ لأني حين أذهب لكتاب صحيح مسلم و اقراء الحديث رقم ١١٦ لا اجد نفس الحديث.ما خبرتكم مع ذلك؟ و شكرا.

فأجبته: على ما أذكر ، الفكرة هي ان اسم الشكور هو الدليل على وجود الانسان، لانه المشكور. و لولا ان الإنسان يعطي الله شيئا بمعنى ما لما كان الله هو الشكور. فالإنسان وجود و ليس عدما.
من هنا انتقلنا كمثال على البودية. و قلنا ان البودية حسب إحدى القراءات مبنية على اقناع الإنسان بأن يرفض وجوده عن طريق رفض الرغبة و الذات. انت لا شيء. هذا عندهم هو "الخلاص".
و في ملل أخرى و حتى كثير من المذاهب الاسلامية يقنعون الإنسان بأنه عدم عن طريق فكرة "الله غني عنك و عن عبادتك له". و هذه كلمة حق يراد بها باطل. لان الله كما هو غني فهو شكور. فهم ينقضون الاسم باسم اخر بدلا من معرفة حقيقة وحدة الأسماء.
و حتى الملاحدة الحداثيين يريدون اقناع الإنسان بأنه لا شيء او في حكم اللاشيء و بلا قيمة. فيقولون "أنت أقل من نقطة في بحر الكون اللانهائي و انت مجرد صدفة غير مقصودة و أفعالك محكومة بجينات لا دخل لك بها..الخ".
يعني الكل تقريبا يلف و يدور حول فكرة واحدة يريدون زرعها في عامة الناس: أنت لاشيء، لا قيمة لك و لما تعقله و لما تفعله، ونهايتك محتومة و لا وزن عند الحق و الحقيقة لذاتك و هويتك.
و لنقض هذه الفكرة نقول؛ الله شكور.

أما عن السؤال التقني: كل كتاب له طريقة.
مثلا (5/88) قد تعني المجلد و الصفحة.
وقد تعني المجلد و رقم الحديث.
و قد تعني رقم الباب و رقم الحديث

لكن تنبه الى ان واضع الرقم قد يعتمد على نسخة غير النسخة التي تملكها. فلابد أن تتأكد من كون نسخته مثل نسختك في كثير من الأحيان.

بشيء من التجربة قد تقترب من المعنى. فمثلا (66/5). الرقم 66 بالتاكيد لا يشير إلى رقم المجلد، لانه لا يوجد مجلدات عادة بهذا العدد. فيكون الاحتمال الاقرب هو الصفحة أو الحديث. فتبقى 5 اما تدل على رقم المجلد، أو رقم الباب أو الكتاب مثل كتاب الصلاة أو باب الصلاة حديث رقم 66.

و هكذا حين لا يصرح الكاتب بمعنى رمزه ستحتاج إلى القيام بتجارب.

قالت: بماذا يكون الله شكوراً؟

قلت: بنفسه. بتجليه الوجودي في صورة عبده. وإظهاره نور الوجود هذا لعبده في مرآة عقله. فيري العبد أنه نور من نور الله، فيه سرّ من سرّ الله.

...

سألني أحد الأصحاب عن تعليق بخصوص خطبة للدكتور عدنان إبراهيم عنوانها "أوروبا والجحود الأكبر". فقلت:

وجدتها تنقسم من حيث المعنى إلى أربعة أقسام:

1-المحور الظاهر و هو عنوان الخطبة و خلاصة فكرته ان اوروبا كانت لاشيء و بسبب المسلمين صارت شيئا.

ونقده: بالرغم من وجود حقيقة في ذلك التعبير، ففعلا اولا ما استفاده الأوروبيون من المسلمين لبقوا على حالتهم التي كانوا عليها قبل ظهور الإسلام و المسلمين على ساحة التاريخ. لان ما يزعم الغرب اليوم أنه سبب ما هم عليه من خير (وهو موجود ولاشك لكن يوجد شر كبير بازائه) و هو الثقافة اليونانية و الرومانية بالإضافة للتراث اليهودي واليسوعي، قد كانت موجودة بأيديهم من قبل ان يظهر المسلمون. فلو كانت علة نجاحهم هي تلك الثقافة والتراث، لكانت ستة قرون كافية لاظهار فضائلهم. لكن لما لم يحصل شي من ذلك، بل و حتى القرن الثالث عشر على أقل تقدير، أي تقريبا سبعة قرون بعد الإسلام، فإن العلة الحاسمة لابد أن تكون هي الإسلام. هذا القدر مقطوع به.

ولكن نأخذ على الدكتور المبالغة الشديدة في التهوين من شأن العوامل الكامنة في الغرب من جهة، إذ من البديهيات أنه لولا الاستعداد لما نفع الإمداد. و من جهة اخرى، لو كان مجرد الإسلام و ثقافة المسلمين كافية لجعل الناس "مثل الغرب في حضارتهم الراقية" فما بال كل اهل الإسلام من جاكرتا إلى طنجا لم يبلغوا ذلك المبلغ "العظيم" من "التقدم و التطور"، و حتى بعد أربعة عشر قرنا. نفس السبب الذي يجعلنا نرفض عقلا نسبة المنجز الحضاري الغربي إلى العامل اليوناني و اليسوعي فقط، هو هو الذي يجعلنا نرفض نسبته إلى العامل الإسلامي فقط.

ثم لو دققنا في وضعنا الراهن، سنجد أنه توجد مقاومة و لو باطنية و متخفية لقبول نمط التفكير و السلوك الغربي العام في كل العالم الاسلامي. و لو دخلنا في التفاصيل لظهر ذلك.

فكما أن الغربي المتطرف يصور المسلمين كمجموعة من الجهلة الذين لا يصلحون لشيء، فكذلك الاسلاموي المتطرف ينسب الغرب إلى الجهل المطبق وانهم لا يصلحون لشيء. مع الأسف، الدكتور أراد نقض تطرف بتطرف مثله او شبيه به.

والأقرب للتحقيق في فهم المنجز الغربي هو أنهم يشكلون خليطا من الخصائص اليونانية والرومانية واليهودية و اليسوعية و الاسلامية. ولذلك خرجوا بشيء لا يوجد في كل تلك الأجزاء لو نظرت لكل واحدة على حدة. و تفصيل ذلك له موضع يناسبه.

2-المحور الحقيقي و هو ما بدا الدكتور يشير إليه بعد ذلك أي رفع معنويات المسلمين في هذا الزمان.

نقده: و هنا المصيبة الأولى. لان المضمر في هذه الوسيلة هو ان قيمتنا كمسلمين تتعين بحسب المنتجات غير المقصودة لبعض أسلافنا و المختزلة في العوامل التي نحسبها حسنة فقط. اقصد بالمنتجات غير المقصودة، الحضارات الغربية الحداثية. وبعض أسلافنا، لأن الرازي و ابن الهيثم مثلا ماهم إلا أفراد يمكن عدهم على مسبحة واحدة في كل الأمة، و كأننا لا نغير اهتماما لمن سوى هؤلاء، و لماذا؟ لأن هؤلاء ينفعوننا في رفع المعنويات الساقطة ! قمة الانتهازية والتحيز غير المبرر وتفسير الأشياء بالهوى. و اقصد بالعوامل المختزلة التي نحسبها حسنة، هي تلك المنجزات الغربية الحداثية التي لسبب مجهول غالبا يقوم الناس بتعظيمها اليوم ويجعلونها معيار الخفض والرفع في قيمة الأشياء، وكأن الغرب ليس إلا هذه العوامل "الحسنة"، و لذلك يفتخر الدكتور و من يسلك مسلكه بأن المسلمين هم الذين "ولدوا" الحضارة الاوروبية. سبحان الله، هذا يشبه شخص يرى طالبا متفوقا في المدرسة و ينال شهادات التقدير والطالب المثالي حسب معايير تلك المدرسة، فيريد ان يفتخر هو بمنجزات ذلك الطالب فيبحث في شجرة نسبه ليجد أبا مشتركا أو حتى يخترع النسبة من العدم و يقول "انا والد هذا المتفوق". حسنا، لكن حين يكبر الطالب و يصير سفاحا مجرما يقتل عشرات الملايين في الحروب العالمية و المحلية، وينشر الإلحاد و الكفر والرقاعة العامية، ويصير رأسا في تجارة المخدرات والدعارة العلنية، ويصنع ويتاجر بالأسلحة التي ستبيد البشرية وكل المملكة الحيوانية و النباتية، بالرغم من امتلاكه لشهادات الطالب المثالي، فحينها كيف سيفسر ذلك المدعي كل هذه الأمور المشينة؟ هل سيقول "انا والده...في الحسنات فقط"!؟ يبدو أن هذا هو الموقف الضمني للدكتور و من جرى مجراه و هم كثر. يقولون "بضاعتنا ردت إلينا". هل كل أو حتى أكثر المنجزات و الآثار الغربية هي فعلا "بضاعتنا" ؟ والعياذ بالله اذا لكنا من الظالمين الخاسرين. هذا لا يعني أنه ليست لنا سيئات، لكن أيضا لا يعني حقنا في نسبة حسناتهم إلينا و سيئاتهم لهم. هذا احتقار لمقام الانسان، و الغربي انسان. كأنهم صاروا يدعون الألوهية بالنسبة للغرب فنقول لهم "ما اصابكم من حسنة فمنا و ما اصابكم من سيئة فمن أنفسكم". و من كان يريد ادعاء هذه الألوهية فليتخذ الموقف الكامل و يقول "قل كل من عند المسلمين بخيره وشره" و هذا فضلا عن بطلانه فلا أحد يريد ان ينال شرف ادعائه.

باختصار: من أجل رفع معنويات أناس يشعرون بالذلة، يريد هؤلاء ان يجعلوه يشعر بالألوهية. مرة أخرى، انتقال من تطرف إلى تطرف مقابل. مما يدل على انعدام المركزية الذاتية.

3-فقرات نقض الغرض لاشعوريا. اقصد ان الدكتور من حيث لا يشعر استعمل مبادئ و ذكر أمورا هي في الواقع سبب خطير لتدمير معنويات المسلمين في هذا الزمان.

بيانه؛ حين لا يستعمل الا مراجع غربية، و إلا حجج ماخوذة من مصادر غربية، و حين يذكر أنه لا يثق بما يقوله العرب و المسلمون لأنهم "يبالغون" (يعني ضمنا: نحن لا نعقل وأهل مبالغة، أما هم فأهل التقوى و أهل الدقة !)، فإن الغرض يكون قد انتقض. مرة اخرى، يعرف ذاته بواسطة ما يقوله غيره. و التحجج ببيت الشعر "و الفضل ما شهدت به الأعداء" لا يفيد. لا اقل لأن مسلك الدكتور لا يطلب فقط

من الأعداء الشهادة، لكنه يطلب منه تعريف المنقبة، تحديد اهلها، الختم عليهم بالقبول، ثم يأتي الدكتور ليقول "آمين". الشهادة لا تكون إلا على واقع ثابت بذاته، و المنقبة لا تكون إلا عند شخص يعرف ما عنده وما فيه و لا يفتقر إلى صديق او عدو ليشهد له. مصيبة مسلك الدكتور أنه يلعب بنفس الكروت التي يريد "الأعداء" ان نلعب بها. العدو يقول "أنت لا شيء، أنا اقول ما هو الشيء". فياتي الدكتور و أمثاله ليقولوا "كلا، بل نحن شيء، و الدليل ان فلان و فلان منكم ايها الأعداء قال أننا شيء" ! يعني لف و دار، وبحث وعبث، ثم انتهى إلى مقصودهم و رسخ فينا مفهومهم. "كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا".

4-انفكاك العلاقة بين المقدمات و النتائج المرجوة، و عدم التدقيق في المقدمات التي طرحها، و هذا برأيي أخطر ما في الخطبة و في كل الخطابات المشابهة لخطاب الدكتور و هي شائعة بدرجة رهيبة.

بيانه؛ أقصى ما يريده أصحاب نظرية "نحن ولدنا الغرب" هو ان يقولوا يمكن تلخيصه هكذا "أسلافنا كانوا علماء طبيعة عظماء، واليوم الاعلم بالطبيعة هو الأعظم بين الأمم، فاذن لنسع نحن لنكون علماء طبيعة عظماء حتى نصير عظماء بين الأمم". فالغاية و الباعث على كل ذلك ليس حب الاسلاف، ولا حب الله و رسوله واتباع طريقه، ولا حتى حب العلم وتعظيمه، الغاية من كل ذلك هي "حتى تعظمنا الأمم".

اول و أكبر مشكلة في هذه الغاية أنها لا تتناسب مع المقدمة. لان تقليد أسلافنا يقتضي تقليدهم في غايتهم وباعثهم. ولكن من المقطوع به ان أسلافنا (لا ابن سينا و لا غيره) كانوا يطلبون العلم و يجاهدون فيه من أجل أن يصيروا "عظماء في أعين الأمم". مثل هذه الغاية كانت أصلا غير مفهومة لهم فضلا عن سخافتها عندهم. لان عظمة ذواتهم و عظمة إسلامهم كان أمرا مقطوعا به، وما كانوا يرون غيرهم أشرف منهم و لا يرون انفسهم بعين الصغار و الاحتقار بالمقارنة به. فهم لو استقرات أحوالهم، أما يرون انفسهم فوق الأمم او يرون انفسهم مثل احسن الأمم و فوق البقية (من قبيل مقالة الجاحظ ان الأمم المعتبرة أربعة العرب و الفرس و الهند و الروم و البقية لا قيمة لهم، أو كما قال.او من قبيل مقالة الدينوري في فضل العرب ان كل عام عند الأمم نالته العرب و عند العرب ما ليس عند الأمم كزيادة على ذلك). الحاصل ان أسلافنا العظام كانت عظمتهم في أعين الأمم أمرا ثانويا خرج بدون قصد منهم كنتيجة عفوية لجهودهم و انجازهم. فما الذي بعثهم على بذل ذلك المجهود؟ الجواب بلا استثناء لا يخرج عن احد اثنين أو كلاهما: الرغبة في التقرب الى المعبود، أو الاعتقاد بأن العلم أشرف صفة يمكن ان يتصف بها الموجود. و الغالب هو الجمع بين المعنيين. حين نفهم هذا المعنى، و لا نلتفت لسواه، يأتي التعظيم من اهل السماء و أهل الأرض. من قبيل ان الذي يعبد الله تاتيه الدنيا راغمة وتخدمه، لكن من يعبد الدنيا تعذبه و تستخدمه.

هذه بعض الخواطر التي سنحت بعد استماعها، نسأل الله ان يلهمنا رشدنا ويكفينا شرها، و يهبنا حسن الإنصاف ومراتب العلماء الأشراف ويحول بيننا وبين التعدي على الخلق مهما بلغ بيننا الخلاف و الاختلاف.

...

قال: ما سر ذكر ثلاثة أسماء في البسملة؟

قلت: تجليات الهوية الأحدية. وذلك في قوله تعالى "هو الأول والآخر والظاهر والباطن, وهو بكل شيء عليم, هو الذي خلق السموات والأرض". فأوّل تعيّنات الهوية السمات, وثانيها المعلومات, وثالثها المخلوقات. والحق أن المخلوقات عينها المعلومات, والمعلومات عينها السمات, والسمات عينها الذات.
قال: فهل كل اسم من البسملة يتناسب مع مستوى من التعيّنات؟
قلت: نعم. اسم الله عبارة عن كل الحقائق الأسمائية, ومن هنا يقول "لله الأسماء الحسنى". واسم الرحمن عبارة عن المعلومات العلوية, ومن هنا قال الشيخ الأكبر أن نَفَس الرحمن هو الذي انبسط على الأعيان الثابتة وهي المعلومات ولذلك أيضاً أوّل ما ارتبط باسم الرحمن هو العلم "الرحمن علّم القرءان" وارتبط كذلك بالإحاطة العرشية "الرحمن على العرش استوى". واسم الرحيم إذن هو مبدأ كل المخلوقات, والخلق مجلى الرحمة الرحيمية, ولذلك قال "وكان بالمؤمنين رحيما" وحيث أن الخلق كله مؤمن من حيث أنه استمع للقول الإلهي "كن" واستجاب له وكذلك يسجد لله وعلم صلاته وتسبيحه ويسبح بحمده, ومن هنا أيضاً نقول "الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور" فلولا أن حقيقة الخلق والجعل رحمة رحيمية لما أنتجت الحمد, إذ الحمد يقترن دائماً برحمة مثل "الحمد لله الذي نجانا" و "الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الجنة" و "الحمد لله الذي نزل على عبده الكتاب". فمن قال "بسم الله الرحمن الرحيم" فقد عرف كل شيء وأحاط بكل شيء ونال بركة كل شيء.

...

أهل الملل يتعاملون بالمنطق الصارم حين يتعاملون مع خصومهم من أهل الملل الأخرى وليس حين يتعاملون مع ملّتهم هم. ولذلك إن أردت رؤية ملّة ما بمنطق صارم فانظر ما يقوله كل أهلل الملل الأخرى عنها.

...

حين أنظر في نفسي, أجد كأني هواء ملئ بكل شيء, لكن الأشياء تكون كامنة فيه, وفجأة أو بإرادة تظهر الأشياء من غيب ذلك الهواء إلى شهادة عيني, فأجد الهواء يتشكل بشكل أو يتلون بلون أو تظهر رائحة أو يضطرب بشعور معين. ثم يعود الهواء للوحدة باختفاء الظاهر فيه. فكأني عدم يظهر فيه الوجود, أو عدم حقيقته الوجود.

...

لو كانت الأشياء الطبيعية هي مجرد "أشياء في الخارج", فكيف تبقى في ذاكرتنا ولو بعد سنوات الرائحة والمشاعر التي شعرنا بها أثناء حادثة معينة. تأمل في الرائحة مثلًا. حين تنظر في صورة شيء وتبقى صورته في ذاكرتك, يقول المختزلة أنه توجد في عقولنا مثل الكاميرا التي تصوّر الأحداث, حسنا هب أننا سلّمنا ذلك. فكيف يفسّرون بقاء الرائحة, بل حتى بقاء الشعور المصاحب للرائحة بعد أن تفنى الرائحة في الظاهر بل وتمرّ سنين عليها, بل وأحياناً تبقى الرائحة والشعور وكذلك الشخص والموقف والتاريخ الذي شممت فيه تلك الرائحة. من المقطوع به أننا لو فتحنا دماغ الإنسان لن نجد غرفة فيه يتم تخزين عيّنات من تلك الرائحة التي دخلت ذرّاتها حسب تصوّرهم في الأنف وصعدت إلى الدماغ وتخزّنت هناك. فلا يمكن القبول ببقاء مادة الرائحة في الدماغ. لكن الرائحة باقية في النفس, فما الذي بقي منها؟ المعلوم أن الذي بقي كاف لجعلك تتذكرها وتعيّنها في الخارج لو شممتها مرّة أخرى ولو بعد فترة زمنية طويلة مما يدل على أن ذلك الباقي لم يجر عليه الزمن كما جرى على المادة التي شممتها أوّل مرة. فلو قلنا بأن المادة الخارجية للمشموم هي جوهره وجوهره الوحيد, لكان اللازم الضروري أن زوال المادة في الخارج هو زوال لكل آثارها وخصوصاً الجوهرية. وكوننا لا نجد بتركيز شيئاً من المحسوسات

مع بقائها وانفعالها من وجه أثناء النوم, يدل على أنه أثناء اليقظة يوجد عامل مهم هو الذي يسبب "اليقظة" ويؤدي إلى قبول تلك المحسوسات. والحق أنه لا توجد محسوسات إلا وهي معقولات. والخلاصة: الروح قابلة المحسوسات والمحسوسات روحانية.

...

كل مكان وكل زمان وكل حال يمكن أن تقرأ فيه القرءان فهو الجنة والنعيم كائناً ما كان.

...

من تغيّرت نفسه تغيّرت هيئة وجهه وبدنه. حقيقة لا مجازاً.

...

الولي إن عنّف شخصاً أو احتدّ معه, فلابد أن يكون فيه شيء من الخبث والنجاسة, وإلا لما ألهم الله الولي تلك المعاملة. فمن رضي بعمل الولي وراجع نفسه, طهره الله. ومن حارب الولي كان من المدّ في الغي "ونمّدهم في طغيانهم يعمهون".

...

لو تُركتُ وشأني, لنمت 12 ساعة كل يوم, لأني أعمل 12 ساعة ذهنياً وبدنياً دون توقف كل يوم. وإذا كان الأصل أن اليوم نصفه ليل ونصفه نهار, والليل سكناً, فإذن ما ألهمتني إياه نفسي صحيح. وأني أميل إلى النوم بعد الفجر والاستيقاظ عند الظهر أو العصر, هذا في حال لم يكن أحتج لكسب معاش. نومي عميق, ويقظتي جهاد, والحمد لله.

...

ما أمسك اليسوعيون يوماً بالسيف إلا وسفكوا به دم الأبرياء, ومن دماء إخوتهم في الملة قبل غيرهم. وأقصد بالسيف السلطة السياسية والدولة. راجعوا كل تاريخ دولهم, وكل مذهب نال دولة, وستجدوا هذا المعنى بجلاء. ليس من لا شيء يلحد الأوربيون, بارك الله في إلحادهم !

...

قرأت كلمة "الثقافة هي البطء" فاستوقفتني. البطء. شيء لم يعد موجوداً إلى حد كبير. الإحساس بأن الإنسان يملك وقتاً كافياً ليقوم بكل ما يريد القيام به, والشعور بأن الوجود لا يحتاج إلى هوس الحركة والاستعجال. قال النبي صلى الله عليه وسلم "العجلة من الشيطان", لأن العجلة ضد طلب المعرفة وتذوق الحقيقة. العجلة ضد الثقافة العالية. العجلة ضد التدقيق والتعمق الرفيق وطول النَفَس في التحقيق.
كيف نوقف العجلة؟ بالوعي بأساسها الباطل. أساسها أنك تظن بأنه عليك القيام بالكثير من الأمور لتنجح. والحق أن مجرد معرفة الله الواحد كافية للنجاح الأبدي, "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا". فإن قلتها فقد تم أمرك ولله الحمد, فكل ما سوى ذلك من وقت فهو مساحة واسعة لتفعل فيها ما تشاء ببطء وسكينة. ثم إنك تفضّل الكمّية على الكيفية, ولذلك تستعجل, ولو كنت تفضّل الكيفية لتمهّلت, وتفضيلك للكمية راجع إلى توهم أن الأكثر أفضل أي كأنك ترى الأكثرية دليل على حسن النوعية, والحق أن هذا المفهوم غير صحيح على كل المستويات وحتى المستوى التجاري الذي قد ينطبق ذلك المفهوم فيه فإنما ينطبق فيه من وجه إذ لو أنتجت الكثير من الأشياء لكنها كانت ضعيفة الكيفية وسيئة الصنع من قبيل ما يعتاد الصينيون على إنتاجه وتصديره, لتفوّق عليك غيرك ممن يصنع أقل لكنه يصنعه أفضل وبالتالي يكسب أكثر ويدوم زبائنه أكثر. فالمتفق عليه أن المجالات غير التجارية الكيفية فيها دائماً أفضل من الكمّية, وأهم هذه المجالات هو مجال الثقافة. والكيفية تأتي مع السكينة وتبطل عادة مع العجلة. وتظهر العجلة أشد ما تظهر في القراءة, حيث يرى الراغب كثرة الكتب وقلة الوقت فيريد التهام أكثر عدد من

الكتب بأقل وقت ممكن, إلا أن في هذا غلط خطير وهو أن الغاية من القراءة هي الفهم, والفهم يحتاج إلى بطء وإلى فراغ القلب من الهموم وحتى همّ الفراغ من الكتاب يعتبر همّاً من الهموم, ثم إن فهم الكثير من كلمات قليلة خير من فهم القليل مع بذل الجهد والوقت لقراءة كلمات كثيرة. ومثل القراءة الكتابة, الذي يكتب بسرعة لأنه يريد الكتابة عن أمور كثيرة, وأنا أعاني من مرض العجلة هنا وإن كان الله يوفّقني لضبطه وعدم الانسياق وراءه ولا أحمل نفسي على الكتابة إلا حين أجد نفسي مستعداً وحاضراً بالكلية وغير طالب لكثرة الكلمات ولا كثرة الصفحات لمجرد المكاثرة, وآخر ما وجدته من ذلك أني نويت إضافة فصل جديد لكتاب (تكلم بما شئت: الكتاب والسنة) حيث أنني خصصت فصلًا للأدلة من الكتاب وافتتحت بالفاتحة وقبل يومين على ما أظن انتهيت من سورة البقرة وبلغت الأدلة أكثر من مائة دليل وبحث بفضل الله وتعليمه, وأعجبتني هذه الدراسة الاستقرائية التي تنظر في كل الأدلة الموجودة, ونويت أن أكتب فصلًا خاصّاً بالسنة وليس كالفصل الحالي ذي يذكر بعض الأدلة فقط والقليل جدا منها مع كونها حججاً حاسمة في المسألة لكن ذلك لم يشبعني بعد ولم يحل المسألة بالقدر الذي شعرت به مثلًا حين فرغت من سورة الفاتحة والبقرة, فالآن لو قيل لي "هل تعرف كل أدلة عدم تقنين البيان من سورة الفاتحة والبقرة" لقلت باطمئنان كاف "الحمد لله نعم بقدر ما فتح علي في حينه وأحسب أنه لم يفتني شيء". لكن لو قيل لي مثل ذلك في السنة لما استطعت الاطمئنان من حيث ذهني لا من حيث قلبي الذي انكشفت له المسألة من قبل سواء على مستوى الكتاب أو السنة بفضل الله وإلهامه, إلا أني لا أكتب ذلك من أجلي فقط بل من أجل المسلمين والناس أجمعين ولا يغني كشفي شيئاً في الباب إن لم أستقرئ الأدلة وأدرسها بالنحو الذي يرضى به أولو الأذهان والألباب. وعليه, عزمت على القيام بدراسة شاملة لكتاب "جامع الأصول التسعة" للشيخ الشامي رحمه الله والذي جمع أهم تسعة كتب في السنة عند أهل السنة كمسند أحمد والنسائي والبخاري, مع حذف المكرر وذكر الفروق بين الروايات ذات القصة الواحدة وليس فيه تعليقات في متنه على الأحاديث اللهم إلا رأيه في صحة الحديث وشيء من معاني الكلمات في الحاشية. فلو درسنا الجامع من أوّله إلى آخره, ونظرنا في كل رواية لها علاقة بالبيان من حيث قبوله أو رفضه والحكم على الرفض, فأشعر بأن الفائدة ستكون عظيمة وواسعة. نسأل الله الإتمام. وبعد أن نويت ذلك, ورأيت مدى الوقت والجهد الذي يحتاجه إتمام الدراسة القرءانية, لأني لا أريد الاستعجال في النظر في الأدلة, بل أريد أخذ وقتي لأني أريد الفهم كما أريد الكتابة عن ذلك الفهم, حينها شعرت بأني أحتاج إلى الاستعجال, خصوصاً وكوني أطلب معيشتي بنفسي وأهتم بشيء من أعمال بيتي مع أهلي وأحتاج إلى النوم حتى يرتاح بدني وذهني وفوق كل ذلك أكتب كتب الكلمات حسب الخواطر التي تردني ولا أستطيع ولا أريد دفعها عني, وكتب المقالات وكتب أخرى ومنها نقض فتوى السبكي وهي من سلسلة "تكلم بما شئت" وكذلك دراساتي وسماعي حول قانون حرية الكلام عند الأمريكان, وغير ذلك من قراءات وكتابات وأعمال ورياضة ظاهرة وباطنة. كل ذلك جعلني أميل إلى الاستعجال أو شعرت بوجود قبول له في قلبي, فخفت من ذلك ورفضته لعملي بأن الاستعجال عدو الكمال. فتوقفت, وتريثت, والتقطت أنفاسي وقلت في نفسي: سيعينني ربي وسيكمل عملي إن شاء الله من بعدي من إخواني والمهم عند الله في الآخرة صدق نيّتي. استعجالي ليس استعجال كاره بل استعجال متشوق, كمن دخل الجنة ويريد أن يراها كلها ويحيط بها ويقف عند كل شجرة ويأكل من ثمارها, استعجالي في حب المعرفة والدراسة والكتابة هو من ذلك القبيل ومن النوع

الجميل. وهذه بإذن الله بشرى خير. ومع ذلك, لابد من التنبه واليقظة, والبطء للإحسان في الدراسة والكتابة, والله المستعان وعليه التكلان.

...

قال تعالى "قل ءامنوا به أو لا تؤمنوا". لماذا لم يقل: أو لا تؤمنوا "به", أي لماذا لم يذكر "به" حين ذكر نفي الإيمان كما ذكر "به" حين أثبت الإيمان. الجواب: لأن الكفر بالقرءان مستحيل. فالذي لا يؤمن "به" هو في الحقيقة لم يعرفه, بالتالي ما رفض الإيمان به ليس هو من الأساس. نعم من وجه هو لم يؤمن بالقرءان, وهذا الوجه من حيث الظاهر والعبارة والألفاظ والوهم الذي سماه "القرءان". لكن من الوجه الآخر وهو الحقيقة والتحقيق إنما لم يؤمن به لأنه لم يعرفه ويشعر به. ومن شعر به ءامن به بالضرورة, كما أن من شرب الماء ارتوى ولا يمكن أن لا يؤمن بالماء والارتواء, شاء أم أبى.

...

هل النفس الأشرف هي الثابتة أو المتغيرة؟ السؤال خاطئ. لأن النفس الطاهرة لها حكم غير النفس الخبيثة. النفس الطاهرة ثابتة في الطاهرة، متغيّرة من حيث الزيادة في النورانية. النفس الخبيثة ثابتة في الخباثة متغيّرة عادة في الانحدار لمزيد من الخباثة إلا لو حصل سبب من خارج يغيّرها. إلا أن النفوس الضعيفة المريضة، التي يبني أصحابها رؤيتهم لأنفسهم بناء على صورة مهزوزة مهترئة اعتباطية فوضوية، هؤلاء يجتنبون التغيير، ويكرهون التغيير، ويعتبرون أي محاولة لتغييرهم كشئ غير طبيعي وغير مرغوب بل وعمل عدواني ضدّ "هويتهم" وإعلان حرب ضد "شخصيتهم". وهؤلاء المرضى يدفعون التغيير عن أنفسهم بواسطة أسلحة متعددة، ومن أهمها ما يلي:

الأوّل يدّعون أن النفس لها طباع والطباع لا يمكن تغييرها. فإذا أثبت لهم أن النفس تتغيّر والطباع حادثة وقابلة للتغيّر، فإنهم ينتقلون إلى السلاح الثاني وهو الادعاء بأن نفوسهم ليست بحاجة لتغيير من الأساس بحكم أنها جميلة وطاهرة وحسنة وكاملة، ومن شفرات هذا السلاح فكرة نسبية الأخلاق والطباع والقيم والغايات، فإذا أثبتّ لهم أن ما هم عليه قبيح وخاطئ، وأن النسبية ليست حجّة لصالح أي واحدة من تلك الخصائص لغيرها بالتالي إن كانت الأمور متساوية فعلًا عندهم فلماذا لا يتغيّرون من شئ إلى شئ آخر بدلًا من التمسّك بما هم عليه وبناء على النسبية وتساوي القيم والطباع فالمفترض أن مثل هذا التغيّر لا يؤثر جوهرياً عليهم، وبعد لو أثبت لهم وجود مبدأ أعلى وأشرف ينبغي التمسّك به بدلًا من الحالة الساقطة التي هم عليها، انتقلوا إلى السلاح الثالث وهو صعوبة التغيير، فإذا أثبت لهم ومن واقع حياتهم أن الجهاد ضرورة في كل مطلب عموماً وكل مطلب راقي خصوصاً والصعوبة ليست استحالة وليست حجْة معتبرة في حال وجدت القوّة، انتقلوا إلى السلاح الرابع وهو أنهم لا يملكون القوّة على ذلك التغيير، فإذا أثبت لهم وجود قوّة أو دللتهم على منابع القوّة، انتقلوا إلى السلاح الخامس وهو أنهم يجهلون كيفية تحصيل القوّة، فإذا دللتهم على الكيفية، قالوا بأنهم لا يفهمونها، وإذا صبرت عليهم وفهّمتهم إياها وقمت عليهم حتى يقوموا عليها، انتقلوا إلى السابع وهو أنك تفرض عليهم ذلك وأسلوبك في تعليمهم غير لائق وينفّر، فإذا بيّنت لهم أن الأسلوب لا يؤثر على المضمون جوهرياً أو أنه عليهم أنفسهم والنافع بغض النظر عن القائل أو أن أسلوبك لم يكن سيئاً في الواقع وإنما يتهربون من التغيير بالأباطيل والأعذار، انتقلوا إلى السلاح الثامن وهو أن كل الناس عندهم مثل تلك الصفات السيئة والدنيا كلّها سيئة والطبيعة متوحشة والوجود غابة وفوضى، فإذا بيّنت لهم أنهم لا يرضون بمثل هذه الأعذار لو تعرّضوا لعمل مسئ من غيرهم فضلًا عن وجود صفات حسنة ودنيا جميلة والطبيعة ليست في كل حالاتها متوحشة وفي الوجود نظام وسنن وقدر وكمالات، انتقلوا إلى

السلاح التاسع وهو أنهم لا يملكون الوقت الكافي لإحداث تلك التغييرات لأنهم مشغولين بأمور المعيشة والكسب وتدبير المنزل، فإذا بيّنت لهم وجود وقت فارغ بل وإمكانية توظيف تلك المشاغل للتطهير والفائدة، انتقلوا إلى السلاح العاشر وهو أنهم ينوون التغيير ويريدونه صدقاً وسيبذلوا وسعهم وإن شاء الله خير. وحينها لا تملك إلا الصبر والمراقبة.
المقطوع به أن من يريد التغيير سيحصّله، والذي يريد المعاذير سيرفضه. مريد التغيير لا علاقة له بالمعاذير، لا يحبّها ولا يستعملها ولا يبالي بها، بل يسارع في لوم نفسه حتى يسارع في ترقية حاله. إذا سمعت اللوم مع العمل فاعلم أنك أمام طالب تغيير، وإذا سمعت المعاذير فإما أن تحتج عليهم إن كانوا يهمّمونك وإما أن تعرض عنهم فإنهم من أهل الجحيم، "ولا ينبئك مثل خبير".
...
قال: أليس القرءآن يترك مجالًا لإنزال العقوبات بالذين يفسدون في الأرض في آية "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتّلوا أو يُصلّبوا أو تُقطّع أيديهم وأجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الحيوة الدنيا"؟
قلت: كلّا. إذ يوجد فرق كبير وخطير بين حرف (و) وحرف التخيير (أو)الآية تبدأ بذكر المحاربين، الذين يبدأون بالحرب، ويحاربون الله ورسوله (و) يسعون في الأرض فساداً. ولم تقل الآية: يحاربون الله ورسوله (أو) يسعون في الأرض فساداً. لو كانت (أو) لكان المفهوم هو وجود قضيتين: القضية الأول هي جزاء الذين يحاربون الله ورسوله. والقضية الثانية هي جزاء الذين يسعون في الأرض فساداً. وتكون الجزاءات الأربعة المذكورة بعد ذلك مرتبطة بحكم كل من القضيتين. لكن الآية ليست كذلك. الآية تبدأ بالوصف الجوهري وهو {يحاربون الله ورسوله} ومحاربة الله ورسوله تعني محاربة الإنسان الذي يدعي أنه رسول الله لا لشئ إلا لأنه رسول الله، أي لا يحاربونه من باب ردّ عدوانه عليهم مثلًا (على فرض أنه اعتدى عليهم بالحرب)، كلا، بل يحاربونه فقط لأنه قال ربي الله وأنا رسول الله، أي يحاربونه بسبب دعوى دينية، أو بتعبير القرءان "يقاتلوكم في الدين" و "أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله". فالحرب بدأت منهم. والحرب هنا هي الحرب المعروفة أي المسلّحة الدموية التي يقع فيها القتل والأسر وما أشبه. "كلّما أوقدوا ناراً للحرب". فهؤلاء الذين يحاربون الله ورسوله جزاؤهم كذا وكذا. وأما الواو التي قبل "يسعون في الأرض فساداً" فهي واو تفسير وتعليل إضافية، لأن الله الجزاء من صنف العمل كما قال تعالى في مبدأ العدل "وجزاء سيئة سيئة مثلها"، وحيث بدأت الآية بذكر الجزاء "إنما جزاء الذي يحاربون"، فورد التعليل ضمناً في وصف الفعل والجريمة. والمعنى أن هؤلاء يستحقّون لك الجزاء لأنهم أوّلًا يحاربون الله ورسوله، وثانياً يسعون في الأرض فساداً. فكل محارب لرسول الله هو أيضاً يسع في الأرض فساداً. لأن كونه يحارب شخصاً أو جماعة بالسلاح بدون وجود أي عدوان أو تهديد خطير مباشر حي فعلي بعدوان مسلح من الطرف الآخر، هو في حدّ ذاته من الظلم والفساد في الأرض. ولذلك قال في سورة التوبة "هم بدأوكم أوّل مرّة". فالمشركون بدأوا بالعدوان والحرب والقتال. وكما قال في آية أخرى "أُذن للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلِموا". فالقتال وقع عليهم والظلم وقع عليهم، وبعد حكم الرحمة والصبر فالآن يأتي الجزاء وهو ردّ القتال بقتال والوعد بالنصر على الظالمين المقاتلين البادئين. الخلاصة: الآية لم تجعل الجزاء للذين يحاربون وجزاء للذين يفسدون، بل جعلت الجزاء لصنف واحد هو الذين يحاربون ويفسدون في آن واحد لأن حربهم بحد ذاتها فساد وغاياتهم فاسدة وأسباب حربهم فاسدة مفسدة، هذا وصف لهم، تلك واو شرح وتفسير وتعليل. ولذلك لم يجعل حكم كل المحاربين حكماً واحداً، بل حكم ب(أو) التخيير. فقال {يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض}. أربعة أنواع

من الجزاء، لماذا؟ لأن المحاربة الفاسدة تتضمن أربعة أنواع من الأفعال. فقد تكون حرب تؤدي إلى مقتل الأبرياء، فهؤلاء يجوز قتلهم. وقد تكون أدّت إلى تقطيع أعضاء أبرياء، فهؤلاء يجوز قطعهم. وهكذا، ولسنا بصدد تفسير وتعليل كل حكم وإنما نشير إشارة. ولو كان كل محارب يستحقّ القتل، لما ورد الحكم بالنفي من الأرض. إذ النفي من الأرض ليس إلا الإخراج من البلاد إلى بلاد أخرى في أرض الله الواسعة، فلو ارتكب عدواناً معيّناً لوجد ردّ العدوان عليه بحكم العدل، لكن يبدو أن بعض المحاربين المفسدين لم يكن من القاتلين أو قد يكون قد تعرّض لفدية قبلها أولياء المقتول فيتم نفيه من الأرض حتى لا تتنامى الأحقاد لفترة، أو شئ من هذا القبيل لسنا بصدد تفصيله. الحاصل؛ ليس في الآية أي إجازة لأحد، لا إمام ولا مأموم، بأن يحكم على شخص بالإفساد في الأرض ثم يطبق عليه تلك الجزاءات الأربعة. ما لم يتحقق وصف "يحاربون الله ورسوله" فلا مجال للحكم بناء على وصف "ويسعون في الأرض فسادا" باستقلال عن الوصف الأوّل.

قال: فهل من ردّ آخر على الذين يفصلون وصف "يسعون في الأرض فساداً" ويجعلون مسوّغاً للحكم بالجزاءات الأربعة على كل من يرونه مفسداً في الأرض؟

قلت: الردّ الآخر هو أن تنتظر من أي واحد من هؤلاء ليفعل أقلّ وأصغر شئ يمكن أن يعتبر إفساداً في الأرض، حتى لو ألقى منديلًا على الأرض أو قشر بزر ويتم قتله بناء على ذلك، لأن هذا أيضاً من الإفساد في الأرض. وأحسب أن كل من يحرّف كلام الله بذلك المستوى لن يفهم إلا هذه اللغة.

...

النيّة غير التبرير. النيّة قبل الفعل، التبرير بعد الفعل، والتبرير عادة لا علاقة له بالنية والفكرة السابقة على الفعل والتي تجلّت بالفعل. كل إنسان تقريباً قادر على التبرير، ورؤية فعله في ضوء حسن، لكن بعد وقوع الفعل ومجابهة الشكوى أو اللوم من الآخرين، فيبدأ يبحث في فكره عن أجمل طريقة لجعل فعله السابق في ضوء جميل وغاية شريفة ومقصد نبيل. الذي لا يريد التغيير سيمارس التبرير. التبرير ذلّ، التبرير جهل، التبرير قبيح. وإن كان الفعل يثبت قبحك، فالتبرير يثبت جذورك القبيحة. اقبل النقد وسارع في التغيير، وحتى لو كان عندك تبرير حسن فإن أردت الدرجة العالية فعليك بقبول النقد والتفتيش في نفسك عن محمل صحيح لذلك النقد ولو غصت في أعماق نفسك غوصاً. الطاهر يبحث عن أسباب لاعتبار نفسه نجساً إذ بذلك يتطهر حتى من وهم النجاسة. النجس يبحث عن أسباب لاعتبار نفسه طاهراً ولذلك تزداد نجاسته يوماً بعد يوم. إن كنت طاهراً فتعرّضت للنقد فقبلته وسعيت في تغييره فإن ذلك القبول لن يجعلك نجساً، كما أنك لو لبست ثوباً أبيضاً ناصع البياض كالثلج ثم رماك لابس نظارة سوداء بأن ثوبتك متسخ وأسود، فإن قبولك لذلك الكلمة مبدئياً لن يجعل الثوب يتحول من البياض إلى السواد، لكن لعل إعادة نظرك في الثوب والتدقيق فيه يكشف لك عن وجود نقطة سوداء هنا أو هناك فتغسلها فيزداد ثوبك بياضاً. لكن لو كنت تلبس ثوباً مغمّس في روث البقر وخراء الخنازير، فلو ادعيت بأن ثوبتك أبيض من القمر وأضوأ من الشمس، فإن ذلك سيجعلك الناس يعتبرونك مجنوناً زيادة على كونك متّسخاً، ولن يزيد ثوبك إلا اتساخاً لأن الأوساخ حين تبقى طويلًا تبقى البقع والرائحة ويصعب إزالتها وأحياناً يكاد يصير التغيير مستحيلًا. غالباً وفي الواقع النقد دائماً يكون له محمل صحيح، حتى لو كان نادراً أو دقيقاً، لكنه صحيح. فاقبل النقد، واعرف سرّ اتجاهه عليك، وحينها وبعد فترة فعلًا قد تصير "فوق النقد"، بالحقيقة لا بالدعوى. ما مارست ذلك القبول يوماً إلا وازددت به فرحاً وكمالًا.

...

لعب دور الضحية، أسوأ أدوار البشرية. الضعيف فقط يحبّ لعب دور الضحية، والذي يريد أن يكسب الأشياء من الآخرين وعلى حساب الآخرين لا لشئ إلا بناء على جعلهم يشعرون بأنهم سبب بؤسه وتعاسته. هم فعلوا كذا، هم قالوا كذا، هم منعوني من كذا، أنا لا حول لي ولا قوّة ولا إرادة ولا حيلة. ألا تشمّ رائحة ادعاء العظمة داخل صوت لاعب دور الضحية؟ كأنه يقول ضمناً: لولا أنهم فعلوا فيّ كذا وكذا لكنت إنساناً عظيماً وكاملًا. ثم ادعاء آخر بالعظمة في صوته يظهر من حيث اعتباره نفسه شخصاً مهماً وقويّاً إلى درجة أن "الناس" تضطهده وتفعل فيه الأفاعيل لأنه شخص عظيم ومهم تحديداً. اليهود يفعلون ذلك كثيراً. السود أيضاً في أمريكا بالأخصّ. والنساء في أكثر البلدان. أنا شخص عظيم ومهم، لذلك أتعرّض للاضطهاد. أنا شخص عظيم ومهم، فقط لو تركوني أتحرر وأُظهر ذاتي الجبارة. حسناً أيها المضطهد، ماذا ستفعل الآن؟ جوابه: لاشئ. سأبكي وأشتكي. سأسبّ وأشتم عدوّي. سأدعو ربّي. ثم سأنام مرتاحاً لكوني بذلك مجهودي، وأبقى على سفالتي وحقارتي ووضاعتي. نقول : مبروك !

...

دليل إيمانك بالآخرة يظهر في أمرين: عدم إرادة العلو في الدنيا، وَ إعطاؤك الدنيا لمن يريد الدنيا. أكثر الذين يزعمون أنهم على طريقة الأنبياء ودينهم، هم قوم لا ترى فيهم ولا واحد من الأمرين، بل عكسهما تماماً. تراهم يتاكلبون على الدنيا مثل أهلها أو أكثر منهم، بل ويتوسّلون بدينهم ولا يبالون بتحريفه والكذب فيه. وتراهم يحسدون أهل الدنيا ويحقدون عليهم ويسعون في نهبهم وسرقتهم واستغلالهم وتسخريهم لشؤونهم الخاصة الدنيوية ولكسب السلطة.

أما الأمر الأول، وهو عدم إرادتك العلوّ في الدنيا، فقد قال تعالى "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين". لأن أهم أشغال الآخرة هي الذكر والفكر. والذكر والفكر يحتاج إلى تفرغ وسلام، ولذلك قال "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها". وقال عمّار "بذل السلام للعالم". المؤمن بالآخرة يريد السلام في الدنيا، بالضرورة. وإلا فهو كافر بالآخرة وكذّاب أشر. نعم، صنع السلام قد يحتاج إلى حرب، لكن الحرب بالشروط والقيود التي وردت في كتاب الله، والتي ينبغي الالتزام بها من قبل نشوء الحرب مروراً بإعلانها ووقعوها ونهايتها وآثارها، ووجود محطات لإنهاء الحرب في كل مرحلة من تلك المراحل وتخفيف الأضرار إلى أقلّ حد ممكن. هذا الأمر الأول معلوم ولن ندخل فيه.

ما يهمني والذي ألهمني هذه المقالة ظاهراً هو الأمر الثاني والذي كنت أشعر به وبضرورته وكونه لازم منطقي عن الإيمان بالآخرة، ثم وجدت أثناء قراءتي للآيات والروايات ما يدلّ عليه بوضوح، ليس لأني كنت أشعر به بل كمصدّق لما كنت أشعر به. أما الآيات، فمنها تلك الآيات التي يقول فيها الله "من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها" و أمره بالعفو والصفح عن أهل الدنيا، وغيرها. أما الرواية وهي التي ألهمتني هذه المقالة فهي رواية صحيحة وردت في مسند الربيع الإباضي ورواها أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة و مالك-وأنقل عن الربيع:

{عن أبي سعيد الخدري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى حُلّة سيراء (فيها خطوط صفر) عند باب المسجد فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم "لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة والوفود إذا قدموا عليك". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنما يلبس هذه من لا خَلاق له في الآخرة". ثم بعد ذلك جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها حلل فأعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه منها حلة سيراء فقال له عمر "البستنيها وقد قلت فيها ما قلت". فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "أعطيتكها لتُلبِسَها"، فكساها عمر بن الخطاب أخاً له بمكة مشركاً}.

أقول: الحلّة الفخمة التي رأى عمر أنها مناسبة للرسول ليلبسها أمام العامّة وأمام الوفود، أي لإظهار علوّ الشأن بواسطة اللباس على نمط الملوك والنبلاء في ذلك الزمان، هذه الحلّة وصفها النبي فقال {إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة}. أي أنها من لباس أهل الدنيا ومطلبهم. فماذا فعل بها عمر؟ بحث عن شخص من أهل الدنيا وطلابها وأهداها له، بالرغم من كونه من أهل مكّة المعادي كبارهم للنبي بل وكان مشركاً. فأعطى أشياء الدنيا لأهل الدنيا، مجاناً وطيبة بها نفسه. فكأنه يقول له: نحن لسنا بحاجة لهذه لأننا من طلاب الآخرة، لكن أنت حسب وضعك الحالي ممن سيهلك في الآخرة فخذ هذه واستمتع بها في الدنيا لأنك وراءك يوم عسير. وهذا من قبيل ما ورد عن بعض الأئمة أنهم سألوه عن رجل قتل نفساً بغير حق ماذا يفعل فقال "ليكثر من شرب الماء البارد"، إشارة إلى كونه من أهل النار في الآخرة، فلما علم أنه من أهل النار دلّه على التنعْم بالدنيا قدر وسعه وذلك بالإكثار من شرب الماء البارد. الفكرة واضحة: على المؤمنين بالآخرة إعطاء أمور الترف والدنيا للكافرين بالآخرة، فإن ذلك من الرحمة بهم، والرحمة صفة أساسية في كيفية تعامل المؤمنين مع إخوانهم من الآدميين، ولذلك قال الراوي أن عمر أعطاها ل {أخا له} فسماه أخاً، وهي أخوّة البشرية. حتى لو كان من بلدة معادية، وحتى لو كان مشركاً من دين مختلف، فهو لا يزال {أخا له} يستحق منه رحمة الدنيا وهدايا الدنيا ليتنعم بها. أهل البسملة هم أهل المرحمة، والرحمة بغير المؤمن بالآخرة والساعي لها سعيها أن تعطيه من الدنيا بقدر وسعك ليتنعم بها.

والآن، تأمل الفرق بين المؤمن الحقيقي بالآخرة وبين كثير من عامة وخاصة الملل والنحل الذين يزعمون في كتب عقائدهم وألفاظهم أنهم من المؤمنين بالآخرة. تزعم أنك من أهل الآخرة: لا تطلب العلو في الدنيا، واملك الدنيا ثم خذ حاجتك منها وهب ما سوى ذلك لإخوانك من المشركين والملحدين والكافرين والمنافقين الذين تعلم حسب إيمانك بأنهم سيعانوا عناءً شديداً في الآخرة إلا ما شاء الله. ولو فعلوا ذلك وصدقوا الله، لصارت نفوسهم عند العرش، وصارت الدنيا وأهلها تحت أقدامهم. لكنهم لم يفعلوا، فصارت نفوسهم تحت الفرش، وصارت الدنيا وبالاً عليهم وأهل الدنيا يدوسونهم بأقدامهم.

...

{ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به}. أربعة مطالب، ولولا أن الأصول تحتمل المعاقبة لما ورد الدعاء بعدم المؤاخذة. ما وجه المعاقبة على النسيان والخطأ والإصر وعدم الطاقة؟

أما النسيان فلأننا قصّرنا بعدم الكتابة. قال موسى "علمها عند ربّي في كتاب لا يضلّ ربّي ولا ينسى".

أما الخطأ فلأننا قصّرنا بعدم التحرّي والاستشارة والاستخارة. قال رسول رسول الله "أجتهد رأيي" وقال النبي صلى الله عليه وسلم "ما خاب من استشار" وقال الله "ومن يتوكّل على الله يهد قلبه".

أما الإصر على الذين من قبلنا فلأن من قبلنا كانوا يطلبون الشواهد المادّية السفلية فإذا لم نكن مثلهم وصرنا نطلب الشواهد المعنوية العقلية على الطريقة المحمدية لقوله تعالى"أولم يكفهم أنا أنزلنا إليك الكتاب يتلى عليهم" وقال "سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم"، فحينها لا يحمل علينا ما حملهم عليهم كما قال في أصحاب عيسى "فإني أعذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين".

أما ما لا طاقة لنا به فلأننا قصّرنا في الاستعانة بالله وبأولياء الله، قال رسول الله "استعينوا بالله" وقال النبي "استعن بالله ولا تعجز" وقال الله "هو الذين أيّدك بنصره وبالمؤمنين" وقال "تعاونوا على البر والتقوى"، فما لا طاقة لك به واحدك يصير لك طاقة به باستعانة بغيرك. ثم عدم التكليف إلا بما لك طاقة

به يعني أنه لن يكلّف إلا بتكاليف فردية تخصّك وحدك، ولن يجعلك مصيرك متوقّفاً على ما تفعله مع غيرك، ولذلك قال تعالى "يأيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم" وقال لنبيه "لا تُكلَّف إلا نفسك".

...
المنتجات الحضارية الحداثية متعلقة بالعمليات العضلية والروتينية الميكانيكية والحسابية الكمّية.

الكمبيوتر لا ينتج الشعر. ولو فعل فيُخرج احتمالات كثيرة معظمها فاسد وقد يوجد فيها الصالح لكن الذي يميّز بينهما روح الإنسان. فلا ثقة بمنتجاته الكيفية.

المنتجات الحداثية وسائل ومباني، الثمار العتيقة غايات ومعاني. لذلك رضي الأوائل بالقليل من المباني لتوفّر الكثير من المعاني. بينما يسخط الأواخر مع الكثير من الوسائل لفقدهم للغايات. العلاقة عادة عكسية بين الوسيلة والغاية.

مثلًا السيارة وسيلة للانتقال من مكان إلى مكان، لكن ليس فيها سبب الانتقال ولا الغاية من الانتقال ولا مدى الفائدة والمعنى للنفس كثمرة للانتقال.

مثال آخر الهاتف وسيلة للاتصال، لكن ليس فيه سبب ولا غاية ولا نوعية الكلام ومضمون التواصل.

مثال ثالث الآلة الحاسبة وسيلة حساب كمّي لكن ليست فيها المحسوب ما هو وما غاية عملية الحساب وما القيم التي تحكم العملية الحسابية وآثارها.

وهكذا لو تأملت ودققت في كل منتج حضاري حداثي ستجد أنه شئ يخفف من الجهد البدني العضلي، مثل الحاملة والرافعة والقنابل والطائرة والسفينة. أو شئ يُغني الإنسان عن العمل الروتيني التكراري المنهج ظاهراً مثل عملية صناعة شئ والتي يمكن تصنيع آلة لتقوم بتلك العملية الروتينية الميكانيكية وتكرر العمل بدون أثر نفساني سلبي. أو شئ يغني عن الجهد الذهني الواعي الكمّي الخالي عموماً من المعنى والوجدان مثل الآلة الحاسبة. باختصار، هي وسائل لراحة البدن. لكن بعد راحة البدن، ماذا سنفعل بكل تلك الطاقة والفراغ؟ هنا تعلن الحداثة إفلاسها، وتبدأ تكشف عورتها. لأن الجهلة الحداثيين قد اشتغلوا على صناعة وسائل راحة البدن على حساب قتل المعاني والغايات والأهداف من الوجود والأمور الكيفية والنوعية والجمالية والروحية والعقلية. أي من أجل تحصيل الوسيلة دمّروا الغاية، وليس في الجهل مذهب أشنع من هذا، كمن يريد أن ينجب ولداً فيتناول دواءً يجعله عقيماً، الدواء وسيلة للصحة، لكن هذا الجاهل تناول دواءً يؤدي إلى العقم والعنّة والخصاء التام. كمن يريد أن يتذوق العسل فيقطع لسانه. أو يريد أن يرى السماء بنجومها فيقلع عينيه. قصة الحضارة المعاصرة: طلب الشئ بواسطة تدميره. الانتحار في سبيل الحياة، الجوع في سبيل الشبع، المرض في سبيل الصحة، القبح في سبيل الجمال. تخيّل النجاح في قعر الفشل، والتفاخر بالجهل باسم العقل.

...
ذكر الله في قصّة الرزق من سورة الكهف، الأعناب ثم النخل ثم الزرع. وعليه: ثلاث وجبات في اليوم. الفطور من الأعناب، الغداء من النخل، العشاء من الزرع. من الألطف إلى الأكثف. حتى تشبع بالألطف وتستعد معدتك، فتتقلل من الأكثف وتقتصر على حاجتك.

...
قال: أين مرجع "لا حول ولا قوّة إلا بالله" في القرءان؟

قلت: في قوله تعالى عن صاحب الجنّتين "وما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً". فقوله "فئة ينصرونه" تعني "لا حول" وهم الذين ينصرونه ممن حوله وغيره. وقوله "وما كان منتصراً" تعني "لا قوة" أي قوّته الشخصية النفسية. وقوله "من دون الله" يعني "إلا الله" وهو الاستثناء والتوحيد.

...

حين ننظر في قصّة رمزية، ونتعمق في حلّ ألغازها وتأويل أمثالها، ثم نظفر بالمعنى العلمي أو الأخلاقي، فإننا نشعر بقبول لذلك المعنى أكثر وأقوى من لو عُرِض علينا نفس المعنى بنفس الصيغة التي انتهينا إليها بدون أي قصّة وأي حاجة للمجاهدة. لماذا؟ لأننا حين نجاهد ونكتشف "بأنفسنا" و"بعقولنا" المعنى، يحصل فينا أمران: الأوّل نوع من إرهاق الذهن، وإرهاق الذهن يفتح باب القبول القلبي واللاواعي والسريع للمعاني. الثاني الشعور بالملكية، كما أننا لو صنعنا شيئاً مهما كان حقيراً فإننا نشعر بأنه ملكنا وننسبه لأنفسنا لكون جهدنا وطاقتنا قد اختلطت بالمصنوع، فصار المصنوع جزءاً منّاً، وكذلك عقلنا حين يختلط بالقصّة والرمز والنصّ ويحلله ويفسره ويجادله ويستخلص منه فكرته فإن الفكرة تصير كجزء من العقل وبينهما أُلفة، إذ في عالم العقل المجادلة هي النسبة، حين نجادل الشئ فنحصل منه على نتيجة تصير المجادلة كالنكاح والنتيجة كالولد وهو ولدنا في نهاية المطاف مهما كان فاسقاً ! "ربّ إن ابني من أهلي".

...

العوام يميلون للتقييد، سواء كانوا من العوام أصحاب السلطة الفكرية أو غيرهم. فلو عرضت عليهم السلطة العسكرية مسألة، وكانت المسألة تحتمل التقييد والتحرير، فإن العوام عادة ما يميلون إلى التقييد، لأسباب خاصّة غير كونهم يخضعون عادة لرغبات السلطة العسكرية. أهم ثلاثة أسباب: تقليد الطغاة، فإنهم يتشبّهون بملوكهم وساداتهم الذين يحبّون دائماً عموماً تقييد الناس ولا مصلحة لهم في حريتهم عادة، وحتى لو أذنوا لهم بالحرية فإنهم يقيّدونهم بالحرية ! السبب الثاني الاعتياد على الضعف والتقيّد، وذلك لأن العوام لا يملكون سلطة السلاح التي تبيح لهم مجابهة القهر الخارجي المغاير لفكرهم وإرادتهم، ولذلك استمرأت نفوسهم السلاسل والأغلال التي يفرضها أصحاب سلطة السلاح، وحيث أن العادة هي كون الذهن يعكس طبيعة النفس المفكّرة، فإن النفس التي اعتادت القيود تفكّر بالقيود وتطلب القيود. السبب الثالث العبودية الباطلة في الدين، وذلك باستعمال مفاهيم الدين عن عبودية الله بنحو مُحرَّف يجعل العبودية لله تساوي العبودية للبشر، ثم يتم تغيير معنى العبودية لله (قبول العبد لعطايا الله) ليصبح المعنى خدمة الله (إعطاء العبد أشياء لله)، ثم يتم إسباغ معنى العبودية/الخدمة على البشر، فيصير فهمهم للعبودية لله هو خدمة البشر بغير مقابل وبغير سعادة وبغير إرادة، أي بأسوأ معنى للقيود. إعطاء العوام سلطة التفكير من أنفع وسائل التدمير وقمع الألوان والتنوير.

...

قالت: لماذا تحوّلت القبلة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الأقصى إلى الكعبة؟
قلت: ثلاثة عشر سنة في مكّة، كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يستقبل المسجد الأقصا كما يظنّ العامّة. بل كان يستقبل الكعبة والمسجد الأقصا في آن واحد، فيقف في الجهة التي تكون الكعبة أمامه والمسجد الأقصا من وراء الكعبة. ولا يوجد نصّ في كلام الله ورسوله أن النبي كان يستقبل المسجد الأقصا فقط في مكّة، وإنما هو شئ فهمه البعض مع إعراضهم عن واقع سنّة وممارسة النبي صلى الله عليه وسلم. ثم هاجر إلى المدينة، والمدينة تقع في الوسط، خلفها الكعبة وأمامها المسجد الأقصا، فلا يمكن له أن يستقبل القبلتين في آن واحد كما كان الحال في مكّة، وهي الحالة المثالية، ولذلك حتى اليوم

لو أراد العبد الأفضل وهو في مكّة فعليه استقبال الوجه الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبله ويجمع بين القبلتين، وفي الواقع سيكون جامعاً بين المساجد الثلاثة الحرام والأقصا والنبوي. حين هاجر إلى المدينة المنورة، وقع خلاف بين قيمتين، والخلاف في القيم وتضاربها يقع في هذا العالَم لأنه عالم اختلاط واختلاف، والمبدأ الشرعي والعقلي هو أنه حين يحصل التضارب في القيم يتم الأخذ بالأحسن منها حسب الظروف ولو تنقّل بينها ثم يستقرّ عند الأسلم، كما في النهي عن زيارة القبور في ظرف معين وكانت القيمة المطلوبة هي القطيعة مع سيئات الجاهلية فمنعهم عن زيارة القبور لأنهم كانوا يذهبون للنياح وأغراض الجاهليين، وحيث أن التخلية قبل التحلية، تم تقديم قيمة القطيعة مع سيئات الجاهلية على قيمة تذكّر الآخرة والدعاء للموتى أثناء زيارة القبور، ثم لما حصلت التخلية قال النبي صلى الله عليه وسلم "كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكّركم الآخرة"، أي الآن حسب ظرفكم النفسي الجديد صار من الممكن أن تذكّركم الآخرة لا الدنيا كما كنتم في جاهليتكم. فكما ترين، حين يقع التضارب بين القيم يتم التنقل بينها حسب الأولى في الحال ثم يقع الاستقرار على الأسلم والأقرب للكمال. حين هاجر النبي إلى المدينة، كانت القيم المتضاربة هي: الأولى (إظهار رفض الشرك واختلاف دين محمد القرشي المكي عن دين أهل قريش ومكّة المتمثل في الكعبة وما فيها وحولها من أصنام) أي إظهار ذلك للمجتمع المدني الجديد المكوّن من اليهود والأوس والخزرج عموماً. القيمة الثانية (إظهار رفض النبي لدين اليهود والنصرانية وكون ملّته مغايرة لملّتهم وأنه صاحب ملّة جديدة وأمّة جديدة مستقلّة) أي إظهار ذلك لليهود والنصارى والأوس والخزرج ولأهل مكّة ولجميع العرب. القيمة الثالثة وهي الكبرى (التوجّه إلى بيت الله في الصلاة) وهذه القيمة على درجتين، الدرجة العليا (التوجه إلى بيت الله الأكبر) وهو الكعبة، وَ الدرجة الأدنى بالنسبة لها (التوجّه إلى بيت الله الأصغر) وهو المسجد الأقصا بالنسبة للمسجد الحرام، مع شرفه وعظم شأنه. فحين وصل النبي إلى المدينة، لم يكن من الممكن الجمع بين الصلاة للكعبة والصلاة للأقصا بحكم موقع الأرض، فالمدينة في الوسط، فمن استقبل الكعبة استدبر الأقصا ومن استدبر الأقصا استقبل الكعبة. وحيث أنه لا يمكن الجمع كما كان الحال في مكّة وهو الأولى، وحيث أن القيمة الكبرى تقتضي التوجّه إلى بيت الله في الصلاة، وحيث أن الأكبر أولى بالرعاية من الأصغر، فإذن كان الأولى من وجه هو التوجّه إلى الكعبة بالصلاة. لكن هنا دخلت القيمة الأولى التي هي إظهار رفض النبي لدين مشركي مكّة واختلاف دينه عنهم بالنسبة للمجتمع اليثربي الجديد الذي دخل فيه، وأوّل ما يراه الناس في الغريب هو أنه يمثّل قومه الغرباء، فكان الأولى تقديم قيمة إظهار مغايرة دينه لدين أهل مكّة، فقام بتقديم القيمة الأولى وذلك عن طريق عدم استقبال الكعبة في الصلاة، وحيث أن القيمة الكبرى تقتضي التوجه إلى بيت الله في الصلاة فتم الأخذ بالدرجة الدنيا بدلًا من العليا حفاظاً على القيمة الأولى ومراعاة الظرف الخاص، بالتالي صار يتوجّه للأقصا في صلاته. وبعد مرور سنة وأربعة أشهر، أي بعد مرور فترة كافية بغض النظر عن العدد، لكن بعد حصول الوعي بدين النبي الجديد واستقلاله عن أهل مكة الغرباء، صار من الواجب إظهار اختلاف ملّته عن ملّة اليهود والنصارى الذين قد يظنّوا أن استقبال النبي لأورشليم يعني اتباعه لملّتهم، فصار الأولى الآن مراعاة القيمة الثانية، وحيث أن القيمة الكبرى تقتضي التوجه إلى بيت الله، والقيمة الثانية توجب ترك التوجه للأقصا، كان الأولى هو الأخذ بالدرجة العليا وهي التوجه إلى الكعبة. وبذلك يستحيل الظن بأن النبي تابع لأهل مكة لأنه أظهر شيئاً غير ما هم عليه، ولا الظن بأنه تابع لملّة اليهود والنصارى لأنه أظهر شيئاً غير ما هم عليه، وفي الحالتين -وهذا أمر جوهري- النبي ما خرج عن القيمة الكبرى، أي لم يظهر اختلافه عنهم

وتميّز ملّته عن ملّتهم عن طريق اختراع شئ باطل والقيام بعمل فاسد في نفسه من باب "خالف تعرف" مثلًا، بل التوجه لبيت الله في مكّة حقّ والتوجه لبيت الله في بيت المقدس حقّ، لكن بعض الحقّ أحق من البعض الآخر، والذي يحدد الأحقية من بعض الوجوه هي الظروف، ثم يتم الاستقرار على الأحقّ مطلقاً بعد تحقيق كل القيم المطلوبة. فظهر للجميع بأن النبي صلى الله عليه وسلم له دين وملّة تخالف ما عليه العرب والعجم، فلم يبق لأحد شبهة من هذا الوجه. وكان الله هو القبلة دائماً. "سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا".

...

قال: ما العلاقة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصا؟

قلت: المسجد الحرام للمسلمين، المسجد الأقصا للعالمين، وكلاهما بيت رب العالمين.

...

انشر ولا تفكّر. ما تنشره لا يمكن أن يخطر ببالك أين يمكن أن يصل وفي أذن من قد يقع.

...

قال صليبي لي مرّة: في القرءان خطأ لأنه يدعي أن داود كان نبياً وأن سليمان كان نبيّاً, وهذا خطأ لأن داود في العهد القديم لم يكن إلا ملكاً وكذلك ابنه سليمان.

أقول: أوّلًا ليس في القرءان النصّ باللفظ على أن داود وسليمان كانا من الأنبياء كما قال مثلًا عن بعض الرجال "كان صديقا نبيّا". ثانياً القصص القرءاني مستقل عن أي قصص في أي كتاب آخر, ونحن لا يهمنا ما تقولونه أنتم عن أي شخصية مذكورة في الكتاب الذي تسمونه "العهد القديم" أو الجديد أو أياً كان, لكنني أتنزل معك وأقبل أن داودنا هو داودكم ولو من وجه, وكذلك سليماننا هو سليمانكم. ومع ذلك لا حجّة لك. لأن ملّتك الصليبية بأشخاصها بداية من يسوع إلى تلاميذه الأوائل وحتى كتبها الدينية من سفر التكوين إلى ملاخي, كل ذلك يرجع إلى العبرانيين واليهود. بالتالي اليهودية أصل اليسوعية. فإذا رجعنا إلى كلام علماء اليهود, سنجد أن في التلمود يذكرون وجود مليون ومائتين ألف نبي, منهم الإسرائيلي وغير الإسرائيلي كبلعام. وسنجد أنهم يقولون: في ما تسميه أنت "العهد القديم" يوجد 55 نبي, ويعدّون من هؤلاء الملك داود والملك سليمان. وذلك لأنهم لا يعتبرون النبي فقط الذي يخبر عن المستقبل, ولذلك لا يعدّون دانيال نبيّاً بالرغم من ذكره لبعض الأحداث المستقبلية. فالنبي عندهم يشمل كل من اختاره الله ليتكلّم بتعليم ورسالة معيّنة ويخبر بها الناس. وحين تقرأ في العهد القديم تجد أن الله كلّم داود وتراءى له, وكذلك كلّم سليمان وتراءى له, وذلك بالنصّ. فسواء نظرت في القرءان وحده, أو نظرت في القرءان مقارنة بكتبكم, فلا حجّة تثبت وقوع الخطأ من ذلك الوجه. وهذا لا يعني أننا لا نقبل إلا ما ورد في كتبكم, بل كما قلت الكتب مستقلة عن بعضها, ولكن في زعمك السابق أنت مخطئ من كل وجه حتى على مستوى ملّتك وحدود كتبك.

...

أردت ترجمة كتاب توماس باين, عصر العقل, إلى العربية مع التطابق مع الأصل قدر الإمكان مع التعليق على كل فقرة وشرحها واستخراج أفكارها وتحليلها والإضافة إليها ومقارنتها بالأفكار الإسلامية, وكذلك كتابه الحس المشترك والذي يتحدث فيه عن الملكية والحرية, والذي أسس به فكرة الولايات المتحدة الأمريكية وأعطاها اسمها. فهو مفكر يستحق التأمل في نتاجه.

وهذه ترجمة لأول فقرة من كتابه عصر العقل, وتعليقي المبدئي عليها حين تسليت ب"الشخبطة" على صفحة بيضاء بها أثناء فراغ صادفته اليوم في الوظيفة الكسبية وكنت أشعر بالنعاس والتعب من القيام

والمشي فجلست على المكتب وكتبت هذه الترجمة والتعليقات والتي لا تسير مع النص المترجم وتعلّق على الكلمات بحسب ظهورها في النص.

1-(قد كانت نيّتي منذ سنوات, أن أنشر أفكاري عن الدين: أنا أعي جيّداً الصعوبات المتعلقة بالموضوع, ومن هذا المنطلق, تحفظت عليها حتى فترة متقدمة من الحياة. أنا أنوي جعلها آخر القرابين التي سأقدمها لإخواني المواطنين من جميع الأقوام, وفي وقت طهاة مقصدي الذي بعثني عليه لا يمكن السؤال عنه, حتى من أولئك الذين سيرفضون العمل).

أقول:

- الكتابة قربان للأمة, وهذا يتضمن تأليه الأمّة. والأمة هي جميع الأقوام, فهو ينظر للإنسان من حيث جوهره العقلي المتعالي على كل الفروق الظاهرية الأخرى, بالتالي اعتبار كل صاحب عقل كأخ مواطن في العالَم. الأخوة العقلية العالمية.

- ما هي الصعوبات؟ 1-سياسية (معاقبة). 2-جماهيرية (تشكيك في النية).

- (أفكاري عن الدين): الافتراضات 1-للأفكار مدخل في الدين. 2-للأفكار الشخصية مدخل في الرين. تصح الافتراضات لو أن الدين نزل على الفكر أو خرج من الفكر, حسب مبدأ المناسبة.

- خلاصة فكر باين: عقلي مملكتي (كتاب الحس المشترك), و"عقلي كنيستي" (كتاب عصر العقل).

- تعبير (لا يمكن السؤال عنه): بمعنى التشكيك. فكأن كل ما يمكن السؤال عنه هو موضع للتشكيك. وحيث أنه يجعل تلك القرينة كرافعة لأصل كل سؤال, فإذن هو يرى إمكانية اليقين, وبواسطة القرائن أيضاً.

- افتتح بالزمن, وتجاوزه في آن واحد. لأنه أثبت وجود نفس النية على ممر السنوات, فلم تتغيّر. لكنه أثبت فاعليتها في الزمن من حث تحقيقها. فالنية لها علو ودنو.

- ملاحظة الزمن المتغير تدل على شعور بثبات المكان. فهو يكتب في مدينة, في بلدة معينة, وهو رجل مدني.

- الناس قسمان: قابل ورافض. الرافض يريد تقريبه لآخر حد ممكن, فعلى الأقل أن يتبين له صدق المقصد وسلامة النية. وذلك بأنه سينشر الكتاب في آخر عمره (شعور بدنو الأجل: ما الفاصل؟) وفي ذلك: 1-نضج الأفكار مع العمر في التفكر. 2-القرب من الموت ومواجهة الحساب (من قول أبي بكر في وصيته لعمر).

- افتتح بالنية, وصدقها. (إنما الأعمال بالنيات). إذ الفكر نية وصورة وزينة. قد يقتصر الكاتب على الصورة, وهي الدعاوى وبيناتها. والزينة كالبلاغة وفنونها. والنية شأن خاص لا يعلمه إلا الله والمستنير العارف بنفسه, وقد تدل على النية قرائن من الخارج. الجمهور يهتم بالصورة والزينة, الخاصة يركزون على الصورة, العامة على الزينة, وأما الدخول في النية فهو شأن المتعصبين من أهل الديانة والسياسة الذين لا يحسنون التعامل مع الصورة....

- قوله (وفي وقت طهارة مقصدي الذي بعثني عليه) يدل على أنه يكتب لأناس (يعرفونه) و يعرفون (تاريخ الكتابة). بالتالي يحتاج هذا الموضع حتى يصير الكتاب مخاطباً لجميع الأقوام تعريف الناس بسيرة مختصرة عن حياته, وكذلك تاريخ كتابة هذا العمل.

ثم أقول: بإذن الله تعالى يتيسّر إتمام هذا العمل, لأننا في زمان ومكان نعاني فيه من نفس ما كان يعاني منه أولئك, ملكية طاغية, وكنيسة طاغية. فلعلنا نجد في تجربتهم ما يفيد على أساس قوله تعالى

"قل سيروا في الأرض فانظروا" و "سنّت الله التي خلت في عباده" و "وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال".

...

بدون حقيقة الآخرة والقيامة, كثير من "الحقوق الإنسانية" لا قيام لها.

...

لكل حق وفكرة حقيقة, والحقيقة التي تعني الإنسان هي التي تعني الإنسان. ويعني الإنسان الفائدة في الدنيا والمنفعة في الآخرة. الفائدة والمنفعة في كلمة واحدة هي "المصلحة". وحين يقال "تصرفات الإمام منوطة بالمصلحة" فالمقصود مصلحة الدنيا والآخرة. وأما تعريف "المصلحة" عند ورثة فرعون وقارون, فهذا ليس من الشريعة ولا الطريقة.

بعض الأمور نستطيع تفسيرها والاقتناع بها بناء على الفائدة, لكن مع ذلك العامل الحاسم في أمر الشريعة والطريقة هو المنفعة, أي الباطنية والأخروية. في كل أمر مصلحة, لكن قد تكون المنفعة أعظم من الفائدة, فيتم الأخذ بالأمر. والذين لا يفهمون إلا معنى الفائدة حسب اصطلاحنا, قالوا "لا تنفروا في الحر", فجاء الردّ "قل نار جهنّم أشد حرّاً". هم قصدوا حرّ الدنيا, بالتالي طلبوا الفائدة فقط. فجاء الرد بحرّ الآخرة مقارنة ببرد الدنيا المؤقت الذي قد يناله الذين لا ينفرون مع رسول الله, بالتالي جعل المنفعة هي المعيار الأولى بالاتباع في حال التعارض.

حصل نقاش بالأمس بين أمّي وبيني حول مسألة "القتل الرحيم". وذلك لأن لي أخ أصغر مني بسنتين تقريباً, اسمه محمد. بعد ولادته أخطأ المستشفى بإعطائه دماً فاسداً وارتكبوا عموماً ثلاثة أخطاء طبية فادحة أدّت إلى توقف قلبه, فأنعشته المرضة بإبرة في قلبه فاشتغل لكن دماغه تقريباً مات بالكلية وصار يسمع فقط ولا يرى تقريباً بالكلية, ولا يتحرك بنسبة 99%. وقال أطباء الأرض في حينه أنه لن يعيش أكثر من ثلاثة أشهر, لكن يبدو أن لطبيب السماء قول آخر في المسألة لأنه لا يزال حيّ يرزق معنا إلى يومنا هذا وعمره تقريباً 26 سنة. إلا أنه بالرغم من إعاقته المزمنة, وعدم قدرته على الكلام أو الحركة أو إظهار معرفة من حوله (إلا في حالة واحدة ليس هذا محلّ سردها), بل يقتصر على سماع الأغاني التي تشغلها له الخادمة, ويأكل مرتين أو ثلاثة في اليوم, ويلبس الحفائض كالأطفال, ولا يصدر منه صوت عادة وأحياناً يبكي وأحياناً يضحك بقدر قليل. وعلى مر السنين تعرّض لإصابات إضافية, فمثلاً مرّة والخادمة تضعه في سريره ضربت رأسه بالحافة فانشق رأسه. ومرّة وقع على الأرض. وقبل بضعة أشهر, كانت ممرضته الفليبينية اليسوعية والتي كانت تحبه كثيراً وتعامله جيّداً وكنّا نُكبر ذلك فيها وكنا نعطيها مرتب يبلغ ضعف ما كنا نعطيه لغيرها, فضلًا عن كونها سمينة تلتهم أكل البيت لأننا لا نمنع الخدم من التناول من نفس طعامنا وأغراضنا, بالإضافة لكوننا نتركها لتخرج مع صاحباتها و "أصحابها" لتمارس ما تشاء من عهر وعربدة ثم ترجع وقتما تشاء, وكذلك أذنا لها بإحضار صويحبتها إلى البيت وتحويل المطبخ إلى شبه مطعم فليبيني أحياناً وأعطيناها كل حرية تريدها مقابل حسن رعايته وقد فعلت حتى جاء يوم قررت فيه ترك البيت بدون أن تخبرنا خشية من شيء لم نكتشفه بعد, فأغلقت التكييف على محمد, وتركته بدون أكل وبدون رعاية وبدون أن تخبرنا, وظل كذلك يغرق في عرقه من حرارة الغرفة لمدة قدرناها بعشر ساعات وكاد يموت ولعلها قصدت قتله لتخليصه من معاناته (وحصل شيء يشبه هذا على مر السنين من أقارب لنا أيضاً), حتى ألهم الله أخي الأصغر سلمان وقام من نومه على غير عادته مطلقاً وصعد إلى الدور الثالث حيث توجد غرفة محمد, وأذكر أني رأيت سلمان يمشي وهو شبه نائم في ذلك اليوم وأنا خارج من البيت, ثم اكتشفنا ما حصل لاحقاً ولم يمت. الحاصل أنه

بقي على مر السنوات فضلًا عن إعاقته وأمراضه, يعاني أيضاً من إصابات ومضايقات ومحاولات قتل متعددة (على الأقلّ: ثلاث مرات). وبغير حول منه ولا قوة, لم يزل حيّا, وبالمناسبة الدكتور صاحب المستشفى في الرياض والذي كان يخوّف والدي بأمير الرياض وكونه الداعم الأول للمستشفى حتى لا يشتكيه ثم حصل تلاعب من قبلهم حتى ذهبت كل الأوراق والشكوى أدراج الرياح, ذلك الدكتور الخبيث وهو عبدالرحمن المشاري, "ذو الأصابع الذهبية" (التي تقتل الأطفال وتهدد الآباء بالأمراء) أقول قد هلك الخبيث وأخي محمد لا يزال حيّاً.

في ضوء هذه القصة, كانت والدتي على مر السنوات كلّما دخلت عليه ورأت حالته تخرج وتبكي وتعاني هي الأخرى ما لا يعرف مثله إلا أم مثلها. وشاهدت على ما يبدو في الأيام الماضية فيلماً يتحدث عن اليوثيناجيا أو "القتل الرحيم", وخلاصة الفيلم أن ولداً كان يعاني فقرر أهله الإذن للمستشفى بقتله حتى يرتاح وفعلوا ذلك لتخليصه من عذابه. وقالت لي أمّي ما حاصله وإن كان من باب الفكرة المجردة ولم تقصد التفعيل: كيف يرضى الله أن يرى معاناة محمد, يا ليت لو كانت المرضة في حينه لم تنعشه, ويا ليت لو أخذناه إلى دولة في الخارج حتى نخلصه من معاناته. وكانت تبكي بحرقة بسبب كونها خرجت من عنده قبل قليل على ما يبدو. فسكتّ, ولم أعرف بم أجيب لأن المسألة شائكة. لكن قلت لها ما خلاصته, مع حدوث أخذ وردّ بيني وبينها وفي حضور أخي الأكبر مني, وانتهينا إلى التالي:-

كل أمر ننظر فيه فيمكن النظر إليه من معيار دنيوي أو معيار أخروي.

إن نظرنا من معيار دنيوي فإن إباحة شيء لابد أن تبيح كل ما يشابه ذلك الشيء ويشترك معه في علّته. فلو قلنا أنه يجوز قتل الشخص لأنه يعاني, فهذا يعني أنه يجوز قتل كل إنسان يعاني, ومن ذلك كل مريض بالسرطان وكل معاق إعاقة تسلبه لذّة الحياة, ثم يمكن سحب ذلك على كل عرق وجنس وجماعة من الناس نعتبرها نحن سبباً لمعاناة بقية الناس أو كتكلفة زائدة على البشرية كما فعل النازيون مثلًا. فلو قلنا بأن قيمة الإنسان هو فقط حين ينتج مادّياً, فهذا يعني جواز قتل العجائز المتقاعدين الذين يعيشون في دور العجزة أو كعبء محض من ناحية التكلفة مقارنة بالانتاج. ثم قلت في حالة محمد خاصة: هو لا يعاني دوماً, لأنه في معظم الأحيان لا يصدر أي شعور, وأحياناً يضحك وأحياناً يبكي حين يتألم, بالتالي لو كان يتألم دوماً كان ينبغي أن يبكي دوماً أو في معظم الأحيان, بل إنه أقلّ معاناة وإظهار لآثارها من كثير من الناس من الأصحاء بل والأثرياء, فإن هؤلاء في أكثر أحوالهم إما في حالة غمّ وكآبة وإما في بكاء سري أو علني وإما في نوع من اللهو يجعلهم ينسون حياتهم وأنفسهم حتى لا يبكوا على ما يبدو. أما محمد فإنه في سكينة وضحك في معظم أحواله, وفي قلة منها يبكي. وقد اعتاد على حالته وهو لا يملك القيم والرغبات التي نملكها نحن حتى يشعر بأنه ينقصه شيء (فكرة أخي). ثم المجتمع القوي الملئ الفاضل لا يعامل أفراده فقط بحسب مدى انتاجهم, لأنه يملك من فائض القوة ما يجعله قادراً على إسباغ النعم وحسن المعاملة عليهم حتى لو لم ينتجوا شيئاً من حيث الظاهر وبالمعنى الشائع, وعلى التحقيق هم ينتجون, وذلك من حيث أنهم يسمحون لنا بإخراج فائض قوّتنا ونعمتنا المحضة إلى حد كبير في معاملتنا لهم بدون انتظار مقابل. ثم ضربت لها مثلًا: لو جاءك رجلان (هي مطلقة) كلاهما أديب ووسيم وثري بنفس المقدار, لكن أحدهما يريدك لأنه يحبك والآخر يريدك لأنه يريد هذا القصر الذي تسكنين فيه وأموالك, فأيهما تختارين؟ وكان الجواب متوقعاً: الذي يريدني لنفسي. قلت: كذلك الأمهات عموماً ينجبون الأولاد لأنهم يريدون منهم فائدة وهي الاعتناء بها حين تكبر وتعجز ولعل أكثر النساء أن الرجال لن يهتموا بالمرأة حق الاهتمام أو بأي اهتمام بعد أن تكبر لفقدانها مؤهلات

جذب الرجل من حيث الجمال والمتعة. لكن أنت بعنايتك بمحمد تقومين بتجسيد الحب الأعلى, وهو كونك تعتنين به لأنك تحبينه لا لانتظار مقابل منه فإنه يكلّفك مالياً ويرهقك نفسياً ولا يفيدك فائدة مباشرة في الدنيا. فمن هذا الوجه أنت تظهرين الفضيلة والأخلاق والحب. ومن هنا ننفتح على البُعد الأخروي والمعيار الإلهي في النظر للأمور. لأن الله يعظّم ويقدّر الذين يعطون مثل ذلك العطاء الخاص على نمط "لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً". ثم حكيت لها ما وقع لي أثناء سفرها, وذلك بعد هروب الخادمة الفليبينية الساقطة وهروب خادمتين حبشيتين لم تكن لهم إقامات رسمية أيضاً, كانت البلاد تمرّ ولا زالت بعجز في الخادمات وصعوبة في توظيف غير الحائزات على إقامة رسمية, فبقينا لمدة يومين بدون خادمة, واضطررت أنا وأخي سلمان على القيام بمهام إطعام محمد وتغيير حفاضته وتنظيف جسمه. وكنت أثناء قيامي بذلك أشعر بسكينة عجيبة في قلبي ولا أجد أي نفرة ولا أبالي برائحة ولا صعوبة المنظر. وكنت كلّما اقتربت منه لتغسيله وتغييره يضحك ضحكاً قوياً وينظر للأعلى, على غير عادته مطلقاً ولم أشهده بمثل هذه الحالة أبداً, حتى حين جاءت الخادمة الجديدة وصارت تغيّره بحضوري لأتأكد من حسن عملها كان وجهه جامداً عادياً ليس فيه أي انفعال بالرغم من كونها تقوم بنفس ما كنت أقوم به, لكنها كانت تقوم به كوظيفة وكنت أقوم به من محبة, ولعله شعر بالفارق. المهم, كنت أغيّره وفي الليلة الثانية, وهو على ضحكه الشديد وفرحه العامر كلّما اقتربت منه, وأنا في طرف وأخي سلمان في الطرف المقابل يعينني, قمنا باللازم. ثم خرجت من عنده وصعدت للاستحمام. وبعد الاغتسال وقعت واقعة, وهي أني أخذت من نفسي, ورأيت نفسي شهوداً وحضوراً عند باب الجنّة, وغبت عن المكان الذي كنت فيه, وصرت عند باب الجنّة, وانفتح الباب ورأيت أخي محمد سيتقبلني, وهو طويل القامة, بارع الجمال, له شعر أسود طويل, أبيض وملامحه فيها لمحة من وجهه الأرضي لكن مع أضعاف مضاعفة من الجمال, وأخذ بيدي إلى مجلس بجانب نهر فيه أخي سلمان أيضاً, وجلسنا وضحكنا, وقال لي "من أجل هذا كنت أضحك" يشير إلى سبب ضحكه حين كنت أعتني به مع سلمان, أي أنه كان يضحك لأنه كان يرى الكرامة التي أعدّها الله لنا بفضله بسبب عنايتنا به. ثم عدت إلى الطبيعة. وفي قلبي أن الليلة هي آخر ليلة سنعتني به فيها وكأن المهمة قد انتهت, وحصلت الغاية من هروب تلك وصبرنا واستجابة دعائي بحضور خادمة ممتازة رحيمة تهتم به, ولم يكن في الأفق أي دليل خارجي يثبت ذلك, بل كنا نظن أننا سنضطر على البقاء على ذلك الحال بدون خادمة لا للمحمد ولا للبيت ككل, ولا سائق, وكنت بنفسي أخرج وأحمل زبالة البيت أيضاً, وكل ذلك حين يأتي دفعة واحدة لأناس لم يعتادوا على مثل ذلك يكون صدمة قوية. لكن ما نزل في قلبي من الراحة والعلم كان يقيناً بالنسبة لي, ولم أحدث به أحداً في حينه. وفعلًا في اليوم التالي مباشرة, وقبل الحاجة لأي تغيير آخر لمحمد وعناية غير أكله السهل الذي كان يقوم به سلمان, حضرت أحسن خادمتين عرفناهما في تاريخنا مع الخادمات والحمد لله. أقول: ذكّرتها بذلك وأفهمتها إن كانت هذه هي الكرامة لعناية يومين, فكيف كرامته بك وأنت تعتنين به كل تلك السنوات. وكان مما قلته أيضاً: قد اعتنيت به كل تلك السنوات فلا تكوني كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً, أي لا تحملي أفكاراً تجعلك على غير ما كنت عليه.

العبرة من تلك القصة هي تبيان فكرة المعيار الدنيوي والمعيار الأخروي للنظر في الأمور. وفعلًا بدون المعيار الإلهي والأخروي, كثير من الأمور لا يمكن إثباتها إثباتاً باتّاً يطمئن له القلب. بل تكون مجرد فكرة ضمن غيرها, وتحتمل وتحتمل, ثم الذي بيده السلاح يفرض فكرته على غيره في نهاية المطاف.

....انتهى ولله الحمد رب العالمين.